بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية بمكةالمكرمة
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صياغتها النهائية بعد إجراء التعديلات.

الاسم (رباعي): عبد الله بن مديس بن علي العمري — القسم : التربية الإسلامية والمقارنة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة :الماجستير — التخصص : تربية إسلامية مقارنة

عنوان الأطروحة : المضامين التربوية في آي لفظ العلم القرآنية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى اله وصحبه ... وبعد

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٦ / ١١ / ١٤٢٥ هـ . بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي باجازة الأطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه .

والله الموفق ،،،

أعضاء اللجنة

المشرف	مناقش من داخل القسم	مناقش من خارج القسم
أ . د / محمد جميل بن علي خياط	أ . د / حامد بن سالم الحربي	د / محمود بن عطا بن محمد الباز
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد ،،،

رئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنة

د / نايف بن حامد بن همام الشريف

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الرسالة في كل نسخة من الرسالة .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أُم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٥٠٢٦

المضامين التربوية في آي لفظ العلم القرآنية

إعداد الطالب :
عبدالله بن مديس بن علي العُمري
إشراف الأستاذ الدكتور :
محمد جميل بن علي خياط

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية
الفصل الدراسي الأول
١٤٢٥هـ

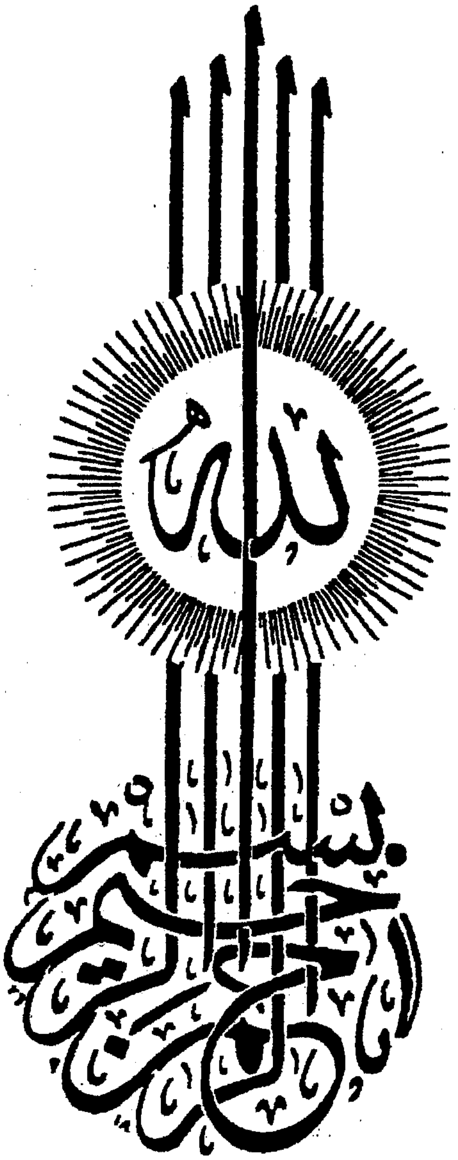
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة :

موضوع الرسالة : المضامين التربوية في آيّ لفظ العلم .

الهدف من الرسالة : تسليط الضوء التربوي على الآيات القرآنية المشتملة على كلمة العلم ، واستنباط المضامين التربوية منها ، ومحاولة وضع الأُطر التطبيقية لها على أرض الواقع .

منهج الرسالة : اعتمد الباحث في بحثه على المنهج الاستنباطي ، متبعاً في ذلك القراءة المتمعّنة للنص القرآني ، والرجوع إلى تفسير الآيات الكريمة ، والخروج منْ ذلك بما أمكن من الاستنباط للمضامين التربوية فيها .

المُلخص : خَلُصَ الباحث في ختام بحثه عن المضامين التربوية المكنونة في آيّ لفظ العلم إلى عدد من الحقائق التربوية ، ومنها :

١) أنّ الإسلام دين العلم .

٢) أهمية الأخذ بالعلم كمعيارٍ للتفضيل ومحكٍ للتنفيذ .

٣) ضرورة الالتزام بالتحقق العلمي في القول والفعل .

٤) ضرورة العمل بالعلم تطبيقاً لمحتواه ، ونشراً لمبادئه .

٥) أنّ على طالب العلم أنْ يتحلّى بالأخلاق النبيلة التي تُنبئ عنْ مدى التزامه بآداب الإسلام السّامية .

٦) أهمية التقيد بآداب الحوار التي بينتها آيات لفظ العلم لضمان تحقيق الأهداف المرجوة منْ إقامة الحوار .

التوصيات :

١) بثّ الوعي – عبر وسائل الإعلام المختلفة – بين أفراد المجتمع بأهمية العلم ، كوسيلة مهمة منْ وسائل تقدم المجتمعات في جميع المجالات .

٢) إعداد المناهج الكفيلة بتربية النشء على الاعتماد على كلّ ما أيّده الدليل ، ونبذ ما سِوى ذلك من الأساطير والظنون ، وليكن مُسمّاها على سبيل المثال : (كيف تكون علمياً لا وهمياً ؟) .

٣) إقامة المحاضرات التي منْ شأنها تبيان آداب طالب العلم التي جاء بها الإسلام في الكتاب والسّنة .

٤) عقد الدورات التدريبية لتدريب طلبة العلم خاصة والناس عامة على كيفية التحاور الأمثل والتخاطب الأنجح مع الآخر .

المقترحات :

١) تفعيل الجوانب النظرية في هذا البحث بدراسة ميدانية ، للنظر عنْ كَثَب لمدى تطبيق المجتمع لما حواه البحث منْ مضامين تربوية قيمة .

٢) وضع المشتقات الأُخرى لمادة (ع ل م) في القرآن الكريم بعين الاعتبار البحثي ، وتخصيص كلّ مُشتقٍ منها بدراسة علمية تربوية مُستقلّة .

عميد كلية التربية :	المشرف :	الطالب :
د. زهير أحمد الكاظمي	أ.د.محمد جميل بن علي خياط	عبدالله بن مديس بن علي العُمري

The Abstract

The theme of thesis: Educational contents in the verses of expression of knowledge.
The objective of thesis: To throw the educational light on the Qura'nic verses that including the work of knowledge and to extrapolate the educational contents thereof in attempt to construct applicable frames concerning them in reality.

The method of thesis: The researcher had depended on the deductive method with regard to his research, where he has pursued the scrutinizing reading of the Quranic text and returning to the exegisis of the holy verses in order to come up with possible extrapolition that concerning their educational contents.

The abstract: The researcher concluded that the educational contents which enshrined in the verses of the term knowledge certainly are leading to the following educational facts:

1) *Islam is the religion of knowledge and learning.*
2) *The importance of taking the knowledge as a criterion of superlativeness and yardstick of execution.*
3) *The necessity to obligate to scientific verification in word and in deed.*
4) *The necessity to do according to the knowledge by applying it is content and to disseminate it's principles.*
5) *The student must be characterizing by noble characters which indicate to the extent of his obligation with regard to the sublime morals of Islam.*
6) *The importance of complying with the morals of the dialogue which have been explained by the verses concerning the expression of the knowledge to be as certained that the objectives of the dialogue.*

The Recommendations:-

1) *Spreading conscienceness via different mass media among the individuals of society with respect of the knowledge importance as an essential instrument of the progress of the societies in all aspects of life.*
2) *Preparing the methods that necessary for the education of the youth depending on all that supported by the evidence and abandon the others such like the myths and suspicions, let it to be called for example "how to be scholar not false".*
3) *Delivering of lectures which their objectives is to explain the morals of religious student that have been mentioned in the Quran and Sunnah.*
4) *Holding of training courses in order to train the knowledge students in particular and people in public about the formality of the ideal dialogue and the successful address with the others.*

The Suggestions:

1) *Activating of theoretical aspects in this thesis with field study to see at close quarters what have been applied of this thesis and it's value educational contents by the society.*
2) *Putting the other derivatives regarding the subject (Aeen- Lam – Mean) in the Holy Quran with precise consideration and to assign every derivative with independent, educational and scientific study.*

The student: Abdulaah Madees Ali Al-Omari.

Under supervision of : Dr. Mohammed Jamil Ali Khayat.

Dean of Faculty :Dr. Zohair Ahmad Al-Kazime.

قبس من الوحيين :

قال الله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ .

[سورة طه : الآية ١١٤] .

قال رسول الله ﷺ : (منْ سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ؛ سهَّل الله لـــه بـــه طريقاً إلى الجنة) .

سنن الترمذي ، رقم الحديث (٢٦٤٦) .

الإهداء :

❁ إلى كلّ طالب علمٍ ؛ أعْمل فِكره ، وأشغل وقته ، وقضى نهاره ، وأمضى ليله ، في إخراج الجواهر المكنونة ، والدرر المنثورة ، واللآلئ المنضودة منْ كتاب الله ﷻ ومنْ سنة نبيه محمد ﷺ ، ليقوّم بها المعوج ، ويُقِيل بها عثرة منْ تلمّس طريق الحق ثم عرج ، ويُثبت بها منْ على طريق الهدى درج .

❁ إلى كلّ طالب علمٍ ؛ يسعى إلى نفع نفسه وأُمته ، بطرْق سُبل العلم النافعة ، الدينية منها والدنيوية ، ليزيل عنْ نفسه شبح الجهل ، وعنْ أُمته شبح الذلة والهوان .

إلى هؤلاء جميعاً أُهدي لهم هذا العمل ....

الشكر :

❁ الشكر كلُّه والحمد جلُّه والثناء فوق ذلك كلّه ؛ لله ﷻ ، والذي لولاه لما خرج هـذا العمل إلى النور ، فلله الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجْهه وعظيم سُلطانه .

❁ ثم الشكر بعدُ لمنْ كان سبباً في ظهور هذا العمل بهذه الصّورة ؛ وهم مع تقليد وِسـام الشكر لهم :

❁ أشكر الوالدين العزيزين على تهيئة السّبل وتذليل العقاب التي واجهتني أثناء القيام بهـذا العمل ، فجزاهم الله عني خير ما جزى والدين عنْ ولدهما ، وأقـول : ﴿ رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء : ٢٤] .

❁ والشكر موصول للزوجة والأبناء ؛ الذين عانوا معي كما عانيت ، وتعبوا كما تعبـت فلهم مني جزيل الشكر وعبيق الامتنان .

❁والشكر مرسول والثناء محمول على أكفّ العرفان بالجميل ، لمنْ تفضل بالإشراف علـى العمل ، وساهم فيه برأْيه ، وهو سعادة الأستاذ الدكتور : محمد جميل بن علـي خيـاط ، الذي ما فتئ ليلاً ونهاراً ، يستقبل استفساراتي ، ويجيب تساؤلاتي ، بصدر رحب ، مفعـمٍ بالمحبة ، ودافقٍ بالمودة ، فأسأل المولى تبارك وتعالى أنْ يُعظم له المثوبة ، ويُضاعف له العطيّة ويمده بالمطيّة التي تبلغه إلى دارِ السّلام ، حيث السّلام فيها تحيّة .

❁ كما أشكر كافة منسوبي جامعة أم القرى ، سواء كانوا أعضاء هيئـة التـدريس ، أم إداريين ، وأتمنى لهم المزيد منْ توفيق الله تعالى .

محتويات الدراسة :

الموضوع	الصفحة
ملخص الرسالة (عربي)	أ
ملخص الرسالة (إنجليزي)	ب
قبس من الوحيين	ج
الإهداء	د
الشكر	هـ
محتويات الدراسة	و
الفصل الأول : (خطة البحث) :	١
المقدمة	٢
موضوع الدراسة	٣
تساؤلات الدراسة	٤
أهداف الدراسة	٤
أهمية الدراسة	٥
منهج الدراسة	٦
حدود الدراسة	٨
مصطلحات الدراسة	٩
الدراسات السّابقة	١٢

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني : (الإسلام والعلم) :	٢٤
توطئة	٢٥
المبحث الأول : مفهوم العلم :	٢٧
- المحور الأول : العلم في اللغة والاصطلاح	٢٧
- المحور الثاني : العلم والمعرفة	٢٩
- المحور الثالث : مفهوم العلم في القرآن الكريم	٣٢
- المحور الرابع : أضداد العلم :	٣٦
المبحث الثاني : أقسام العلم	٣٨
المبحث الثالث : أهداف العلم	٣٩
المبحث الرابع : مصادر العلم :	٣٩
المبحث الخامس : أهمية طلب العلم في الإسلام	٤١
المبحث السادس : العلم الذي يدعو إليه الإسلام	٤٣
الفصل الثالث :(المضامين التربوية المرتبطة بالمبادئ الأساسية للعلم):	٤٤
توطئة	٤٥
المبحث الأول : مكانة أهل العلم	٤٨
المبحث الثاني : أقسام العلم	٦٦
القسم الأول : أنواع العلم منْ حيث الشمول	٦٦

الموضوع	الصفحة
القسم الثاني : أنواع العلم منْ حيث المحتوى	٧٧
المبحث الثالث : استمرارية العلم	٨٥
المبحث الرابع : العلم معيار التفاضل	٩٦
المبحث الخامس : التحقق العلمي :	١٠١
الفصل الرابع : (المضامين التربوية المرتبطة بتبعات العلم) :	١١١
توطئة	١١٢
المبحث الأول : العمل بالعلم :	١١٣
– المحور الأول : العلم النافع يُثمر عملاً نافعاً	١١٥
– المحور الثاني : العمل بلا علم جهلٌ محض	١٢٢
المبحث الثاني : تعليم العلم :	١٣٤
– المحور الأول : البدء بتعليم الأقربين	١٣٥
– المحور الثاني : منْ يقبل العلم ؟!	١٣٧
– المحور الثالث : عقبات في طريق نشر العلم :	١٤٤
– أولاً : عقبة الجهل	١٤٤
– ثانياً : عقبة التعصب للباطل	١٤٧
– ثالثاً : عقبة تتبع الهوى	١٥٢
– رابعاً : عقبة الاغترار بالعلم	١٥٧
– المحور الرابع : كيف ينجح المعلم في تخطي تلك العقبات ؟	١٦٠

الصفحة	الموضوع
١٦٤	المبحث الثالث : المنهجية العلمية : ....
١٦٥	– المحور الأول : النعي على المستندين علـــى الأوهـــام والظنـــون والدعوة إلى الاعتماد على العلم اليقيني : ....
١٦٥	أ- النعي على المستندين على الأوهام والظنون . ...
١٧٢	ب- الدعوة إلى الاعتماد على العلم اليقيني . ...
١٧٧	– المحور الثاني : الإسلام يحذر من التقليد اللامنهجي . ...
١٨١	**الفصل الخامس: (المضامين التربوية المرتبطـة بـأخلاق أهـل العلم) :** ....
١٨٢	توطئة . ...
١٨٣	الخلق الأول : استحضار النية والرغبة في طلب العلم . ...
١٨٦	الخلق الثاني : النهي عنْ إرجاع العلم إلى الذات والاغترار به . ...
١٩١	الخلق الثالث : حفظ العلم والحذر منْ أسباب النسيان . ...
١٩٧	الخلق الرابع : القدرة على إنجاز صعاب المهام . ...
١٩٨	الخلق الخامس : التواضع . ...
٢٠١	الخلق السّادس : الجرأة في الحق . ...
٢٠٦	الخلق السّابع : الثبات على الحق وإنْ قلّ أتباعه . ...
٢٠٨	الخلق الثامن : الرفق بالمتعلم . ...
٢١٠	الخلق التاسع : عدم الحرج منْ نفي العلم عن النفس . ...

الموضوع	الصفحة
الفصل السادس:(المضامين التربوية المرتبطة بآداب الحوار):	٢١٥
توطئة	٢١٦
آداب الحوار في آيات العلم :	٢٢٠
– الأدب الأول : النهي عن الجدال بغير علم	٢٢٠
– الأدب الثاني : استحضار الدليل	٢٢٢
– الأدب الثالث : طلب الدليل من الآخر	٢٢٤
– الأدب الرابع : الأسلوب الأمثل في التعامل مع المتعنت	٢٢٨
خلاصة البحث :	٢٣٥
١– الخاتمة	٢٣٦
٢– التوصيات	٢٤٣
٣– المقترحات	٢٤٦
قائمة المصادر والمراجع	٢٤٩
الملاحق :	٢٦١
مُلحق [أ] : آيات العلم القرآنية	٢٦٢
مُلحق [ب] : فهرس الشواهد القرآنية	٢٧٣
مُلحق [ج] : فهرس الأحاديث النبوية	٢٨٣
مُلحق [د] : الخرائط	٢٨٦

الفصل الأول :

(خطة البحث)

- المقدمة .
- موضوع الدراسة .
- تساؤلات الدراسة .
- أهداف الدراسة .
- أهمية الدراسة .
- منهج الدراسة .
- حدود الدراسة .
- مُصطلحات الدراسة .
- الدراسات السّابقة .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، القائل في محكم التنزيل : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه : الآية ١١٤] ، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً ... أما بعد :

فإنَّ الله تعالى قد وَهَب لهذه الأمة معيناً لا ينضب ، تستقي منه تعاليم ربها ﷻ وتستمد منه توجيهات نبيها محمد ﷺ ، ذلكم هو كتاب الله ﷻ وسنة نبيه محمد ﷺ ، حيث جعلَهما الله تبارك وتعالى المنهاج القويم ؛ والشّرع الحكيم ؛ الذي يهدي المسلم ويُرشده إلى كلّ ما ينفعُه ويصلحُه منْ أمور دينه ودُنياه .

وهذا بحقٍ ما بَهَر الأمم الأخرى ، الحائرة في ظُلمات كفرها ، الأمر الذي دعاها إلى السعي الحثيث للتعرف على الإسلام عنْ كَثَب ، والبحث عنْ أسرار السَّعادة والكمال في هذا الدين الحنيف ، الذي شملت توجيهاتُه دُنيا المؤمن وأُخراه .

إنَّ المتأمل في الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة لَيجد أنهما قد تضمَّنا القيم والمبادئ التربوية القادرة على إصلاح وتطوير نُظم التربية والتعليم في بلاد المسلمين ، والكفيلة بإخراج جيلٍ إسلامي فريدٍ منْ نوعه ، شبيهٍ بسَلَف هذه الأمة ، وقادرٍ على تصدر ركب الأمم وقيادتها كما كان عليه أسلافنا في القرون المفضلة .

وهنا تأتي وظيفة الباحث المسلم في استخراج تلك الكنوز والدّرر التربوية ، وإبراز جوانب أهميتها وتميزها ، والدعوة إلى تطبيقها في ميادين التربية والتعليم على وجه الخصوص وسائر مجالات الحياة بوجه عام ، وذلك منْ أجل تبيان كمال الشّريعة الإسلامية ، وشمولها لجميع جوانب حياة المسلم الدينية والدنيوية ، وذلك مصداقاً لقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[سورة المائدة: الآية٣].

ولذلك فإنَّ أشرف مجالات البحث هو ذلك البحث الذي قَصُر اهتمامه على التنقيب في خزائن الكتاب والسّنة ، واستنباط ما فيهما منْ مضامين تربوية صالحة للتطبيق على مرّ الأزمان ومختلف الأمصار .

وإنَّ منْ أعظم ما نال المكانة العالية والمنزلة السّامية في الكتاب والسّنة هو بيان فضل العلم ، والحث على طلبه ، والتنويه بأهميته ، وبيان عُلو منزلة حامله ومُعلّمه ،

والدعوة إلى التخلّق بأخلاقه والتحلّي بآدابه ، وتبيان فوائده على الفرد والأسرة والمجتمع ، كما حذّر الإسلام منْ مغبة الوقوع في ظلمات الجهل ، وبيَّن خطره وضرره على الأمة أفراداً وجماعات .

وفي القرآن الكريم – مجال هذه الدراسة – نجد العلم قد نال أعلى المنازل وأشرف المقامات وأكبر الاهتمام ، وبالتحديد في آيات العلم التي تناولت عدداً من المحاور حول هذا الموضوع الهام ، والتي سيتم طرْقها وبحثها – بمشيئة الله تعالى – في ثَنايا هذه الدراسة .

موضوع الدراسة :

إنَّ مما لا شك فيه أنَّ للعلم فوائدُ قيّمة وكبيرة ، وآثارٌ إيجابية جمَّة وعظيمة ، حيث يتعدَّ نفْعُه الفرد والمجتمع على حد سواء ، فبالعلم تنهض الحضارات ، وتتقدم الشعوب ، ويقلّ الظلم ، ويفْشُو الخير ، لأنَّ الإنسان إذا عَلِمَ أدرك ماله من الحقوق وما عليه من الواجبات ، فلا يأْخذ أكثر مما له من الحقوق ، ولا يُقصر في أداء ما عليه من الواجبات .

ونظراً لأهمية هذا الموضوع ؛ فقد ارْتأى الباحث العمل على استنباط ما احْتوته آيات لفظ العلم في القرآن الكريم منْ مضامين تربوية عظيمة ، وإبراز ما تضمّنته هذه الآيات الكريمة منْ مبادئ وقِيم تربوية وثيقة الصلة بميدان التربية ، وشديدة الارتباط بمجال التعليم ، وعظيمة الأثر على شخصية المسلم العامل بها ، وكبيرة الفائدة في جميع جوانب حياته في الدنيا والآخرة .

وقد قام الباحث جاهداً على إعْمال فِكره ، وبذل الجهد الذهني والنفسي الكبيرَيْن لتبويب مباحث الرسالة المستنبطة من الآيات الكريمة ، وجمع شَتَات الآيات الموزّعة على سُور القرآن الكريم المختلفة ، ووضعها على هيئة فصول لهذه الدراسة ، وتقسيم تلك الفصول إلى مباحث ومحاور متفرعة منها ، مع توضيح الصّورة المثْلى لإسقاطها على الواقع التربوي ، وبيان كيفية تطبيقها في الميدان التعليمي ؛ والتي أسأل المولى تبارك وتعالى أنْ يعُمّ بنفعها الجميع ، وأنْ يجعل لها صدىً وقبولاً في ميدان التربية والتعليم .

تساؤلات الدراسة :

تهدف هذه الدراسة للإجابة على التساؤل الرئيس التالي :

س/ ما المضامين التربوية المستنبطة منْ آيّ لفظ العلم ؟ وما أهم التطبيقات التربوية لها ؟ .

وينبثق عنْ هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية ، تُساعد الإجابة عليها في تكوين الصّورة الكاملة للإجابة على التساؤل العام للدراسة ، وهي :

س/ ما المضامين التربوية المرتبطة بالمبادئ الأساسية للعلم في آيّ لفظ العلم ؟

س/ ما المضامين التربوية المرتبطة بتبعات العلم المذكورة في الآيات القرآنية المشتملة على لفظة العلم ؟

س/ ما المضامين التربوية المرتبطة بأخلاق أهل العلم منْ خلال الآيات القرآنية مدار البحث ؟

س/ ما المضامين التربوية المرتبطة بآداب الحوار في الآيات القرآنية المتضمنة لفظة العلم ؟

س/ ما التطبيقات التربوية للمضامين المستنبطة من آي لفظ العلم ؟

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى استعراض الآيات القرآنية المشتملة على لفظة العلم ، وتفسيرها واستنباط المضامين التربوية منها ، ويمكنْ إيجاز أهداف هذه الدراسة فيما يلي :

١- التعرف عنْ كَثب على مفهوم العلم وأقسامه ، وأهدافه ومصادره ، وموقف الإسلام منه .

٢- إبراز نظرة القرآن الكريم المتميزة نحو العلم ، وذلك منْ خلال بيان المضامين التربوية المرتبطة بالمبادئ الأساسية للعلم ، والتي تضمنتها آي لفظ العلم .

٣- استعراض المضامين التربوية المرتبطة بتَبِعات العلم المبثوثة في الآيات المتضمنة لفظة العلم .

٤- استخلاص المضامين التربوية المرتبطة بأخلاق أهل العلم منْ خلال الآيات القرآنية المشتملة على لفظة العلم .

٥- ذكر المضامين التربوية ذات العلاقة بآداب الحوار الواردة في آيات لفظ العلم .

٦- إظهار التطبيقات التربوية للمضامين المستنبطة من آي لفظ العلم .

أهمية الدراسة :

تنبع أهمية هذه الدراسة منْ خلال اكتسابها المزايا التالية :

١- تظهر أهمية هذه الدراسة بالدرجة الأولى منْ أهمية ميدان البحث الرئيسي لهـا ، ألا وهو كتاب الله ﷻ ، ذلك الكتاب العزيز الذي :﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [سورة فصلت : الآية ٤٢]، إنَّه الكتاب الذي احْتوى بين دفْتيه خيري الدنيا والآخرة ، وما منْ أُمة تمسكت به وعملت بما فيه إلا عــزَّت وظهرت على سائر الأمم ، وما منْ أمة تخلَّت عنه وتركت العمــل بــه إلا ذلّــت وتقهقرت خلف الأمم ، وتخلَّت عنها الحضارة جزاء تخلُّفها عنْ كتاب ربهـا ﷻ .
ولذلك فإنَّ هذه الدراسة تكتسب أهميتها منْ أهمية العمل البحثي في رِحاب القرآن الكريم ، وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : " أعلى الهمم في طلــب العلم طلب علم الكتاب والسّنة ، والفهم عن الله ورسوله - ﷺ - وعلــم حــدود المنــزَّل ، وأخسُّ همم طلاب العلم ؛ قصر هِمّته على تتبُّع شواذ المسائل ، ومــا لم يُنــزل ولا هو واقع ، أو كانت همته معرفة الاختلاف وتتبع أقوال الناس ، وليس له همة إلى معرفة الصحيح منْ تلك الأقوال ، وقلَّ أنْ ينتفع واحد منْ هؤلاء بعلمه "(١).

٢- كما تنبع أهميتها أيضاً بالحاجة الملحة في تفسير آيات العلــم بــالرجوع إلى ســنة المصطفى ﷺ كمصدر ثانٍ منْ مصادر تفسير القرآن الكريم ، كما تُعتبر السنة النبوية المصدر الثاني منْ مصادر التشريع الإسلامي ، ولذلك فإنَّ الاعتماد على هذا المصدر المهم يُكسِب هذه الدراسة الأهمية والمزية الواضحة .

٣- كما ترجع أهمية هذه الدراسة إلى أهمية المضامين التربوية المســتنبطة مــن الآيــات القرآنية المشتملة على لفظة العلم ، والتي أبْرزت مكانة العلم وأهلــه في الإســلام ، وأوْضحت فوائد وآثار العلم على حامله ، وبصّرت القارئ بأضرار الجهل وأخطاره على صاحبه .

٤- كما تأتي أهمية الدراسة من أهمية الموضوع الذي تتناوله ألا وهو العلم ، والذي يُعدّ السبب الرئيس في تقدم الأمم التي اهتمت بتعليم أبنائها كل نافع ومفيد ؛ الأمر الذي

---

(١) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، الفوائد ، الرياض ، مكتبة المؤيد ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، تحقيق : بشير عون ، ص١١١-١١٢ .

أثمر عنه خروج أجيال مُتعلمة ، وقادرة على التعامل مع مُعطيات الحضارة ووسائل التقنية الحديثة .

٥- ومما يُوضح أهمية هذا الموضوع المهم ارتباطه الشديد بميدان التربية والتعليم ، حيث تحدث هذا الموضوع عنْ عددٍ من الجوانب التربوية المتعلقة بالعلم ، والتي ينبغي على كل مربٍ أن يعمل على ترسيخها في نفوس الناشئة ، حتى ينشأ ذلك الجيل على معرفة قدْر العلم ومكانته العالية في الإسلام ، ويُدرك أهميته منْ خلال الاطلاع على الدور البارز والحيوي الذي يُقدمه العلم في تطوير مجالات الحياة المختلفة .

٦- وكذلك فإنّ مما يزيد درجة الأهمية لهذا الموضوع هو احْتواؤُه على العديد من الفوائد التربوية التي يستطيع كل والدٍ غرسها في قلوب أبنائه ، وذلك منْ خلال تربيتهم على محبة العلم وأهله ، وشحذ هِمَمهم نحو طلب العلم والاستزادة منه في جميع صنوف المعرفة المختلفة ، حتى يعود عليهم بالنفع العظيم في عاجل أمرهم وآجله .

٧- وتزداد أهمية هذا الموضوع وضوحاً حينما نُدرك أهمية قيام المعلمين بإكساب طلابهم آداب التحلي بالعلم ، وضرورة العمل على إخراج جيل مسلم متعلم ينفع نفسه وأمته .

٨- وتبرز الأهمية الكبرى لهذا الموضوع ، حينما يتم الاعتناء به منْ قِبل شرائح المجتمع المختلفة ، فإنه حينئذ سوف يصبح هذا المجتمع متمسكاً بدينه وعقيدته ، ومتقدماً في شتى مجالات الحياة ، ومتسلحاً بسلاح العلم والمعرفة .

منهج الدراسة :

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على استخدام المنهج الاستنباطي ، باعتباره المنهج الأصيل في الدراسات التي تتناول النصوص الشرعية منْ زاوية تربوية ؛ حيث أنّ الاستنباط له أهمية خاصة في دراسة نصوص الوحييْن ؛ فقد " جاء التصريح بأهمية الاستنباط في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ

﴿يَسْتَنبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [سورة النساء : الآية ٨٣] ، حيث تشير الآية الكريمة إلى أهمية الاستنباط من القرآن الكريم " [١] .

إنَّه يكفي هذا المنهج شرفاً وفخراً أنَّ الله ﷻ جعله من المهام العظيمة الموكلة إلى الرسول ﷺ وإلى أُولي الأمر – كما جاء في الآية السَّابقة – ولذلك فإنَّ هذا المنهج يكتسب أهميةً بالغةً ومكانةً عاليةً حينما يكون مجال عمله مُقتصراً على تنقيب واستخراج الكنوز المختلفة من الكتاب والسّنة ، سواءً كانت تلك الكنوز في مجال التربية أم السّياسة أم الاقتصاد وغيرها منْ مجالات الحياة المتنوعة .

وفي ذلك جوابٌ شافٍ وردٌّ كافٍ على الذين يمقتون هذا المنهج ، بدعوى أنَّ مجال عمله يقتصر – على حدّ زعمهم – على الدراسات النظرية دون العملية منها ، وفي واقع التطبيق نجد الحقيقة تجانب موقفهم ؛ حيث أنَّ استخدام الاستنباط كمنهج لا يمنع البتة منْ تطبيق ما توصل الباحث إليه منْ مضامين تربوية على الواقع التربوي كميدان ، أو محاولة التعرف عنْ كَثب لمدى تطبيقها الفعلي في الميدان التربوي ، وذلك منْ خلال قيام الباحث المستنبِط بوضع بطاقة استبانة تتضمن المضامين التربوية التي توصل إليها منْ خلال عملية الاستنباط ، فتصبح عندها تلك الدراسة نظرية وعملية في نفس الوقت .

قال الإمام السَّعدي – رحمه الله تعالى – في تفسير الآية الكريمة الآنفة الذكر : " أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السَّديدة وعلومهم الرشيدة ، وفي هذا دليل لقاعدة أدبية ، وهي : أنه إذا حصل بحثٌ في أمر من الأمور ؛ ينبغي أنْ يُولّى منْ هو أهلٌ لذلك ، ويُجعل إلى أهله ولا يُتقدم بين أيديهم ، فإنه أقرب إلى الصَّواب وأحرى للسَّلامة من الخطأ ، وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور منْ حين سماعها " [٢] .

وهذا بالضبط ما قام به الباحث في هذه الدراسة ، حيث لم يبتّ الحديث التربوي عنْ أيّ آية منْ آيات العلم ، إلا بعد أنِ استشار أهل التفسير فيها ، وذلك بإيراد آرائهم

(١) الحدري ، خليل عبدالله ، منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة . رسالة دكتوراه غير منشورة مُقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى ، ١٤٢٢ هـ ، ص ٢٦ .

(٢) السَّعدي ، عبدالرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٥ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م ، ص ١٥٤ .

وأقوالهم في تفسير تلك الآيات الكريمة ، حتى تكون مُنطلقاً له للحديث التربوي حول آيات العلم .

كما أننا لا ننسى أنَّ المنهج الاستنباطي يمكّن الباحث منْ إعْمال عقلــه ، وتعميــق فِكره في الأمر المعني بالاستنباط ، حتى يستطيع في ختام عملية الاســتنباط الإلمــام الكــافي بجوانب الموضوع المتناثرة الأطراف ، ولــمِّ شملها في قالبٍ واحد ، وإبداء رأيه حولها بشكل شامل ، ولا شك أنَّ في ذلك جهداً عقلياً كبيراً ، لم يكن ليحصل في مثله مــن البحــوث الميدانية ؛ والمقتصرة على استقراء الواقع فحسب .

ويمكن تعريف المنهج الاستنباطي على أنه : " الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببــذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص ، بهدف استخراج مبادئ تربوية مُدعمــة بالأدلة الواضحة " [1] .

حيث قامت هذه الدراسة – بفضل الله تعالى – على حَصْر الآيات القرآنيــة الــتي وردت فيها لفظة العلم ، والرجوع إلى تفسيرها في مظانها منْ كُتب أهل التفسير ، وتصنيف الآيات إلى مجموعات حسب المواضيع التي تتحدث عنها ، ثم تبويبها وتنظيمها حسب المحاور الرئيسة لهذه الدراسة ، واستنباط ما يمكن استنباطه من المضامين التربوية منها ؛ وذلك عــنْ طريق التأمّل في هذه الآيات الكريمة ، وبذل الجهد العقلي والنفسي المســتطاع ، ومحاولــة الاستفادة منها في إبراز تطبيقاتها التربوية في شتى مجالات وميادين التربية والتعليم .

حدود الدراسة :

يتضح من عنوان الدراسة بأنَّ مجال البحث فيها هو : القرآن الكــريم كــلام ربّ العالمين ، كما يُفهم من العنوان أيضاً بأنَّ حدود هذه الدراسة هي الآيات القرآنية المشــتملة على لفظة "العلم " سواءً كانت مقترنة بـــ "ال" التعريف ، أم مجردة منها : (العِلْم ، عِلْم) وقد وردت كلمة العلم في ثمانين موضعاً منْ كتاب الله ﷻ ، مُوزّعة على تسعٍ وسبعين آية كريمة من القرآن الكريم .

وقد اخْتار الباحث هذا التصنيف بناءً على تصنيف المعجم المفهرس لألفاظ القــرآن الكريم ، لمؤلفه / محمد فؤاد عبد الباقي ، حيث قسَّم المؤلف مــادة (ع ل م) الــواردة في

(١) عبدالله ، عبدالرحمن صالح وآخر ، المرشد في كتابة البحوث التربوية ، مكة المكرمة ، ١٤٠٨ هـ ، مكتبة المنارة ، ص ٤٣ .

القرآن الكريم إلى عدة تقسيمات ، منها التقسيم الذي اختْاره الباحث ، وهو التقسيم المبنى على جمع الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة " العلم " المقترنة بـ " ال " التعريف والمجردة منها في قسم واحد .

وبذلك يُعلم أنَّ بقية تصنيفات وتقسيمات مادة (ع ل م) الواردة في القرآن الكريم ليست ضمن حدود هذه الدراسة ، وهذه التقسيمات هي :

" عَلِمَ ، عَلِمْتُ ، عَلِمَتْ ، عَلِمْتُمْ ، عَلِمْتُمُوهُنَّ ، عَلِمْتَهُ ، عَلِمْنَا ، عَلِمَهُ ، عَلِمُوا ، أَعْلَمُ ، تَعْلَمُ لَتَعْلَمُنَّ ، تَعْلَمُهَا ، تَعْلَمُهُمْ ، تَعْلَمُوا ، تَعْلَمُونَ ، فَسَتَعْلَمُونَ ، تَعْلَمُونَهُمْ، تَعْلَمُوهُمْ ، نَعْلَمُ ، نَعْلَمُهُمْ ، يَعْلَمُ ، سَيَعْلَمُ ، لَيَعْلَمَنَّ ، يَعْلَمُهُ ، يَعْلَمُهَا ، يَعْلَمُهُمْ ، يَعْلَمُوا ، يَعْلَمُونَ ، سَيَعْلَمُونَ، اعْلَمُ ، اعْلَمُوا ، لِيُعْلَمَ ، عَلَّمَ ، عَلَّمْتُكَ ، عَلَّمْتُمْ ، عَلَّمْتَنَا ، عَلَّمْتَنِي ، عَلَّمَكَ ، عَلَّمَكُمُ ، عَلَّمْنَاهُ ، عَلَّمَنِي ، عَلَّمَهُ ، تُعَلِّمَنِ ، تُعَلِّمُونَ ، تُعَلِّمُونَهُنَّ ، وَلِنُعَلِّمَهُ ، يُعَلِّمَانِ ، يُعَلِّمُكَ ، يُعَلِّمُكُمُ ، يُعَلِّمُهُ ، يُعَلِّمُهُمُ ، يُعَلِّمُونَ ، عُلِّمْتَ ، عُلِّمْتُمْ ، عُلِّمْنَا ، يَتَعَلَّمُونَ ، عَالِمُ، الْعَالِمُونَ ، عَالِمِينَ ، عُلَمَاءُ ، مَعْلُومٌ ، مَعْلُومَاتٌ ، مُعَلَّمٌ ، عَلِيمٌ ، عَلِيماً ، عَلَّامُ ، عِلْماً ، عِلْمِهِ عِلْمُهَا، عِلْمُهُمْ ، الأَعْلَامِ ، الْعَالَمِينَ ، عَلَامَاتٍ " (1) .

ومما تجدر الإشارة إليه هَهنا أنَّ التصنيف الذي اختْاره الباحث منْ بين هذه التصنيفات يشتمل على العديد من الموضوعات التربوية وثيقة الصلة بميدان التربية والتعليم ، الأمر الذي أثَار رغبة الباحث في تسليط الضوء التربوي على هذه الآيات الكريمة ، واستنباط الدُّرر التربوية منها .

مصطلحات الدراسة :

تتضمَّنُ الدراسة عدداً من المصطلحات التي تكرر وُرودها في البحث بين الفيْنة والأُخرى ، والتي تحتاج إلى تعريف وتوضيح لمعانيها عند أهل اللغة ؛ وهي كالتالي :

١- المضامين : جاء في لسان العرب في مادة (ض م ن) ما نصه : " وضمن الشيء الشيء : أَوْدعه إياه ، كما تُودع الوعاء المتاع والميت القبر ، وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضمَّنته إياه ، وكل شيء أُحرز فيه شيء فقد ضمنه...والمضامين : ما في بطون الحوامل منْ كل شيء كأهنَّ تضمنه...ويُقال ضمن الشيء بمعنى تضمنه ،

---

(1) عبدالباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة ، دار الحديث ، ط1 ، ١٤١٧ هـ ، ص ٥٧٦-٥٩١ (باختصار).

ومنه قولهم : مضمون الكتاب كذا وكذا... وفهمت ما تضمَّنه كتابك : أي ما اشتمل عليه وكان في ضمنه ، وذكرته في ضمن كتابي ، أي في طيّه " [(١)] .

٢- التربية : ترجع التربية في أصلها اللغوي -كما جاء في قواميس اللغة - إلى : " رَبَّ الأمر يَرُبُّهُ رَبّاً وربابة : أصلحه ومتنه ؛ أنشد ابن الأنباري :

يرب الذي يأتي من العُرْف إنه *** إذا سئل المعروف زاد وتمما

وربُّ القوم : ساسهم ؛ أي كان فوقهم...وربَّ الشيء : ملكه ، قال ابن الأنباري : الربُّ ينقسم على ثلاثة أقسام :

- يكون الربُّ : المالك .
- ويكون الربُّ : السيد المطاع .
- ويكون الربُّ : المصلح .

وربَّ ولَدَه والصَّبِيَّ يرُبه ربّاً : ربَّاه ؛ أي : أحسن القيام عليه ووليه حتى أدرك ؛ أي : فارق الطفولية ، كان ابنه أو لم يكن " [(٢)] .

وقال الفيومي : " ربَّ زيد الأمر ربّاً منْ باب (قتل) إذا ساسه وقام بتدبيره ، ومنه قيل للحاضنة رابَّة وربيبة أيضاً فعيلة بمعنى فاعلة...رَبَا الشيء يربو : إذا زاد " [(٣)] .

وبالجملة فإنَّ التربية في اللغة لها ثلاثة معانٍ ، وهي :

١) " السيادة : (رب - ربا القوم) : ساسهم وسادهم وكان فوقهم..
٢) التنمية والزيادة والتطوير والتحسين : (رب — ربا — يربو) بمعنى زاد ونما..
٣) التربية والإصلاح والتنشئة (رب — ربا الأمر) أصلحه وتربب الصبي : رباه حتى أدرك " [(٤)] .

---

(١) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، د . ت ، ج١٣ ، مادة (ض م ن) ، ص ٢٥٨ (باختصار) .

(٢) الزبيدي ، محمد مُرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، الكويت ، وزارة الإرشاد والأنباء ، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م ، تحقيق : علي هلالي ، ج٢ ، مادة (ربب) ، ص ٤٦٣-٤٦٤ (باختصار) .

(٣) الفيومي ، أحمد محمد علي المقري ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، القاهرة ، دار المعارف ، تحقيق : عبدالعظيم الشناوي ، ص ٢١٤-٢١٧ (باختصار) .

(٤) باقارش ، صالح سالم و آخر ، أصول التربية العامة والإسلامية ، حائل ، دار الأندلس ، ط ٢ ، ١٤١٧ هـ ، ص ١٥ .

والتربية في الاصطلاح التربوي هي : " عملية نمو شامل ومتكامل للشخصية الفردية " (١) .

كما يرى سعيد إسماعيل علي التربية الإسلامية بأنها : " تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد ، يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام ، والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العملية ، يُؤدِّي تنفيذها إلى أنْ يسلك سالكها سلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام " (٢) .

والتربية الإسلامية في نظر الباحث هي : عملية تأسيسٍ وبناء ؛ وإصلاح وتقويم للنفس البشرية وِفق منهاج الشّريعة الإسلامية ، وإمدادها بكلّ ما يُصلحها ويُهذبها في شتى جوانبها العلمية والاجتماعية والجسمية والنفسية ...

٣- تعريف المضامين التربوية منْ منظور التربية الإسلامية :

" هي الدلالات والمبادئ التربوية المستنبطة من الآيات الكريمة والأحاديث الشّريفة ، والتي تُسهم في إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع " (٣) .

والمضامين التربوية في نظر الباحث هي : كلّ ما اشتملت عليه النصوص الشّرعية - ومنها آيات العلم مَدار البحث - وتضمَّنته مدلولها من مبادئ وقيمٍ تربوية ؛ يُعوَّل عليها في بناء نظام تربوي متكامل ، وشامل لجميع جوانب شخصية الإنسان .

٤- العلم : جاء في مختار الصحاح في مادة (ع ل م) : " العَلَمُ بفتحتين : العلامة... ورجل علامة أي عالم جداً ...والمعلم : الأثر يُستدل به " (٤) .

وقال المناوي : " العلم صفة تُوجب تمييزاً لا يحتمل النقيض ، أو هو حصول صورة الشيء في العقل " (٥) .

---

(١) شفشق وآخرون ، محمود عبدالرزاق وآخرون ، التربية المعاصرة : طبيعتها وأبعادها الأساسية ، الكويت ، دار القلم ، ط ٢ ، ١٩٩٥م، ص ١٨ .

(٢) علي ، سعيد إسماعيل ، الأصول الإسلامية للتربية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ط٣ ، ١٤١٢هـ =١٩٩٢ م ، ص ١١ .

(٣) الراشدي ، عمر ، المضامين التربوية للتثبت والتبين في التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى ، ١٤١٨ هـ ، ص ١٥ .

(٤) الرازي ، محمد ، مختار الصحاح ، القاهرة ، دار المنار ، د.ت ، ج١ ، ص ١٨٩ .

(٥) المناوي ، محمد عبدالرؤوف ، كتاب التوقيف على مهمات التعاريف ، بيروت ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، ص ٥٢٣ .

والعلم في نظر الباحث هو : معرفة كُنْه الشيء وحقيقته طبقاً لما عليه في الواقع .

ويقصد الباحث بالعلم في رسالته بالدرجة الأولى العلم بأحكام الشّريعة الإسلامية المبني على معرفة ما تستند عليه تلك الأحكام منْ أدلة الكتاب والسّنة وأقوال العلماء ، ثم العلم الدنيوي النافع الذي يقوم عليه معاش الناس وقضاء مصالحهم المتنوعة .

٥- القرآن الكريم هو : " كلام الله المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته " [١] .

وقد زاد بعض أهل العلم وأطال في تعريف القرآن الكريم ، وأطنب بذكر جميع خصائص القرآن التي امتاز بها ؛ حيث عرفوا القرآن الكريم : " بأنه الكلام المعجز ، المنزل على النبي – ﷺ – المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته " [٢].

وأوْرد السَّعدي في كتابه { اختصاص القرآن بعوده إلى الرحمن الرحيم } عنْ عمرو ابن دينار المكي – وهو منْ ثقات التابعين وأئمتهم – قوله : " أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة يقولون : القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود...وقد وردت هذه اللفظة عنْ جماعة منهم عبد الله بن مسعود وسفيان الثوري ووكيع بن الجراح وأبو نعيم الفضل بن دكين وعبد الله بن المبارك ، وروى المروزي أحمد بن محمد قال : قال أحمد بن محمد بن حنبل – رحمه الله تعالى – لقيت الرجال والعلماء والفقهاء...فرأيتهم على السّنة والجماعة ، وسألت عنها الفقهاء فكلٌّ يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ؛ منه بدأ وإليه يعود " [٣] .

٦- آيات العلم : يرد هذا المصطلح كثيراً في ثنايا البحث ، ويعني به الباحث الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة العلم .

الدراسات السّابقة :

لم يسبق إلى علم الباحث أنِ اطّلع على دراسة تتعلق بالآيات القرآنية المتضمّنة لفظة العلم في القرآن الكريم ، سواءً كانت دراسة شرعية أم تربوية ، وقد تبين له ذلك بعد اتصاله بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض ، عنْ طريق معهد البحوث

---

(١) القطان ، مناع ، مباحث في علوم القرآن ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، ص ١٧ .

(٢) الزرقاني ، محمد ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، بيروت ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٩٩٦ م ، ج ١ ، ص ١٥ .

(٣) السَّعدي ، محمد بن عبدالواحد ، اختصاص القرآن بعوده إلى الرحمن الرحيم ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ط ١ ، ١٩٨٩ م ، ج١، ص ٢٠-٢١ (باختصار) .

العلمية التابع لجامعة أُم القرى بمكة المكرمة ، وكذلك عنْ طريق البحث في فهارس مكتبة الملك فهد الوطنية ، وفي المكتبة المركزية التابعة لجامعة أم القرى ، ومكتبة جامعة الملك عبدالعزيز المركزية .

وبناءً على رأي من يرى أنَّ الدراسات التي تناولت بعض الأجزاء المعنية بالبحث تُعدّ من قبيل الدراسات السّابقة – وإنْ كانت مختلفة في عنوانها – فقد اطّلع الباحث على عدد من الرسائل العلمية والتربوية التي تحدثت عن بعض الجوانب التي تم تناولها في هذه الدراسة ، وهي في مجملها تتناول موضوعي : (أخلاق أهل العلم) و (آداب الحوار) وفيما يلي عرضٌ لتلك الدراسات ، مع توضيحٍ لأوجه الشبه والاختلاف بينها وبين الدراسة الحالية :

الدراسة الأولى : آداب المعلم المسلم وواجباته خلال الموقف التعليمي [1] .

المنهج المتبع : في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي والوصفي والاستنباطي .

هدف الدراسة : إبراز أهم آداب المعلم المسلم وواجباته التربوية خلال الموقف التعليمي ، ثم التعرف على مقدار توفر بعض هذه الآداب الإسلامية والواجبات التربوية لدى طلاب الدراسات العليا بكلية التربية بمكة المكرمة .

وقد أبرز الباحث أهمية دراسته في جانبين ، وهما :

أولاً : الجانب النظري :

١- توضح هذه الدراسة الأصول الإسلامية للآداب والسمات التي ينبغي أن يتحلى بها المعلم المسلم .

٢- توضح هذه الدراسة الخصائص التي تميز سمات المعلم المسلم عن غيره من المعلمين .

٣- تشكل هذه الدراسة محاولة متواضعة للحث على بناء مقاييس إسلامية في ميدان الدراسات التربوية والنفسية .

ثانياً : الجانب العملي :

١- تبصر هذه الدراسة المعلم المسلم بالآداب الإسلامية التي ينبغي أن يتحلى بها خلال قيامه بواجباته التربوية .

---

[1] أبو رزيزة ، محمد علي ، آداب المعلم المسلم وواجباته خلال الموقف التعليمي ، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى ، ١٤١٦هـ .

٢- تزود الدراسة القائمين عل برامج إعداد المعلمين بإطار يحدد نمط شخصية المعلم المسلم المنشود .

٣- تكشف الدراسة الميدانية مدى الفرق بين المثال والواقع فيما يتعلق بآداب المعلم المسلم وواجباته .

وقد تناولت هذه الدراسة الجوانب التالية :

١. استعراض طبيعة العملية التعليمية من منظور إسلامي .
٢. توضيح طبيعة آداب المعلم المسلم من ناحية خصائصها ومصادر اشتقاقها .
٣. إبراز آداب المعلم المسلم الدينية ومتطلباتها التربوية .
٤. إبراز آداب المعلم المسلم الشخصية ومتطلباتها التربوية .
٥. إبراز آداب المعلم المسلم الاجتماعية ومتطلباتها التربوية .
٦. إبراز آداب المعلم المسلم الأخلاقية ومتطلباتها التربوية .
٧. إبراز آداب المعلم المسلم العقلية ومتطلباتها التربوية .
٨. إبراز آداب المعلم المسلم العلمية والمهنية ومتطلباتها التربوية .
٩. كما قام الباحث في هذه الدراسة ببناء (مقياس لآداب المعلم المسلم) .

أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث في دراسته :

- إن تربية المعلم المسلم وإعداده بشكل جيد يجب أن ترتكز على مجموعة من الآداب الدينية ، والشخصية والاجتماعية ، والأخلاقية ، والعقلية ، والعلمية والمهنية .
- إن القيمة التربوية الحقيقية لهذه الآداب تتجلى من خلال قدرة المعلم على تحقيق مجموعة من المتطلبات التربوية أثناء الموقف التعليمي .
- إن الآداب الإسلامية للمعلم نابعة من مصادر أساسية تشمل القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وأخرى ثانوية تشمل التراث الإسلامي وخصائص المتعلم المسلم وحاجات المجتمع المسلم المعاصر .
- هناك مجموعة من الخصائص التي تميز آداب المعلم المسلم منها : الربَّانية ، التوازن والوسطية ، الواقعية والإيجابية ، الإنسانية والعالمية ، والمرونة والثبات ، والشمول والتكامل .

أبرز توصيات الباحث في هذه الدراسة :

- يجب أن تتضمن المناهج الدراسية في مؤسسات إعداد المعلمين على مواد تعالج آداب المعلم المسلم .
- تزويد مؤسسات إعداد المعلمين بأفضل المعلمين الإسلاميين الأكفاء .

علاقة هذه الدراسة بالدراسة الحالية :

تتفق الدراسة المذكورة مع الدراسة الحالية في اشتراكهما حول الحديث عن أخلاق أهل العلم واستخدام المنهج الاستنباطي ، وتختلف هذه الدراسة عن الدراسة الحالية في أنها أفردت الدراسة بأكملها للحديث عن آداب المعلم المسلم ، بينما كان هذا الموضوع مبحثاً من مباحث الدراسة الحالية بالإضافة إلى مباحث أخرى ، كما تختلف الدراسة الحالية عن الدراسة المذكورة بأنها دراسة نظرية ، بينما انقسمت الدراسة المذكورة إلى جانبين أحدهما نظري والآخر ميداني ، كما استخدم الباحث فيها المنهج التاريخي والوصفي ، وهذا ما لم استخدمه في الدراسة الحالية .

الدراسة الثانية : آداب الحوار في ضوء الكتاب والسنة [1].

المنهج المتبع : هو جمع النصوص الشرعية حول الموضوع وترتيبها ترتيباً موضوعياً ثم تحليلها .

هدف الدراسة : تهدف هذه الدراسة إلى تأصيل آداب الحوار تأصيلاً علمياً شرعياً مبنياً على نصوص الكتاب والسنة .

وقد تحدثت هذه الدراسة : عن تعريف الحوار وبيان أهميته وأهدافه وحكمه وأصوله وعلاقته بالخلاف . وتوضيح آداب الحوار وهي :

- آداب الحوار النفسية ، ومنها : الإخلاص ، والإنصاف ، والتواضع ، والمحبة .
- آداب الحوار العلمية ، ومنها : العلم ، والتدرج ، والتثبت ، والرجوع إلى الحق .
- آداب الحوار اللفظية ، ومنها : حسن العبارة ، وأدب السؤال ، والتعريض والتلميح .

---

[1] زمزمي ، يحيى محمد ، آداب الحوار في ضوء الكتاب والسنة ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ، ١٤١٣هـ .

- آداب ومباحث عامة ومنها : اختيار الوقت المناسب ، وحسن التصرف ، ومراعاة الأفهام والعقول .

أهم النتائج :

١- إن الأدب في الحوار لا يقل أهمية عن الحوار نفسه ، إذ أن فقدان الأدب وعدم مراعاة الظروف والمواقف قد يؤدي إلى نتائج سلبية ويزيد التنافر والاختلاف ، أو يقضي على الحوار ويهدمه من أساسه .

٢- لقد احتوت نصوص الكتاب والسنة على أقوم الطرق وأهدى السبل وأفضل المناهج في الحوار وآدابه ، وعلى كل من أراد النجاح في حواره أن يسلك سبيلهما ، ليصل إلى مقصوده بأيسر طريق وأخصره .

٣- إن للحوار شروطاً لا بد منها وأهمها القدرة على إدارة الحوار والتزام آدابه لتحقيق نتائجه وتجنب سلبياته .

٤- إن الحوار طريق صحيح ومهم إلى إصلاح كثير من الأوضاع سواء كانت دعوية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها .

علاقة هذه الدراسة بالدراسة الحالية :

تشابهت الدراستان في تناول موضوع آداب الحوار ، واستخلاص هذه الآداب من القرآن الكريم إلا أن الدراسة الحالية اكتفت باستنباط هذه الآداب من خلال آيات العلم فقط ، بينما كان مجال الدراسة المذكورة أوسع ، حيث شمل مجال بحثها آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وكذلك كانت معالجة هذا الموضوع في الدراسة المذكورة معالجة علمية شرعية ، بينما تناولت الدراسة الحالية هذا الموضوع بأسلوب شرعي تربوي، ومن أوجه الاختلاف كذلك أن الدراسة المذكورة استخدمت المنهج التحليلي ، بينما كان المنهج الاستنباطي هو المنهج المتبع في الدراسة الحالية ، وكذلك فإن هذه الدراسة تناولت موضوع آداب الحوار بشكل أوسع حيث تحدثت أبواب البحث الخمسة عن هذا الموضوع ، بينما كان هذا الموضوع مبحثاً من مباحث الدراسة الحالية بالإضافة إلى عدد آخر من الموضوعات.

الدراسة الثالثة : أخلاق العالم والمتعلم عند أبي بكر الآجري [1] .

المنهج المتبع : هو المنهج التاريخي التحليلي .

هدف الدراسة : الكشف عن دور الآجري في التأكيد على أخلاق العالم والمتعلم ، حيث استهدفت هذه الدراسة تبيان أمور عدة يأتي في مقدمتها :

١- أهم الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها العلماء والمتعلمون وحملة القرآن الكريم كما بيَّنها الآجري .

٢- الأساليب التربوية وطرق التدريس التي أكد عليها الآجري .

٣- الإسهام في بلورة القواعد الأخلاقية لمهنة التعليم .

أهمية الدراسة : ترجع أهمية هذا الموضوع إلى أمرين :

أحدهما : مكانة الآجري العلمية فهو من أبرز العلماء في مدرسة المحدثين وتتلمذ على يديه كثير من العلماء .

الثاني: الفوائد التي يرفدها الموضوع للوضع القائم في عصرنا حول أخلاقيات المعلمين وبلورة أخلاقيات مهنة التعليم مما يساعد الدوائر التربوية في تحديد الأسس التربوية الأخلاقية المبنية على وجهة النظر الإسلامية.

وقد تضمنت هذه الدراسة الحديث عن الجوانب التالية :

١. طبيعة عصر الآجري ، والحياة العلمية في عصره ، بالإضافة إلى التعريف بالآجري وبكتاباته وشيوخه وتلاميذه والعوامل التي أثرت في تفكيره وشخصيته .

٢. السمات الخلقية للعُلماء والمتعلمين عند الإمام الآجري .

٣. الأخلاق المتعلقة بمهنة التعليم .

٤. ذكر أهم معايير هذه المهنة ، وتبيان أهمية الأخلاق في مهنة التعليم عند الإمام أبي بكر الآجري.

---

[1] عبدالرحمن ، عبد الرؤوف يوسف عبدا لقادر ، أخلاق العالم والمتعلم عند أبي بكر الآجري ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى ، ١٤٠٨هـ .

وخلصت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج ، وهي :

١- يجب أن لا تتركز العملية التربوية على الجانب المعرفي وإمداد الطالب بالمعلومات ، وإنما يجب أن تمتد لتشمل جوانب الأخلاق والسلوك .

٢- أن تنمية القدرات الأخلاقية تحتاج إلى إعداد خاص للمعلمين وإلى حسن اختيارهم لأن المعلم يشكل عاملاً رئيسياً في هذا الميدان .

٣- يجب أن تكون الأساليب في طرق التدريس مستوحاة من الواقع الثقافي والاجتماعي، لأنها ستكون ملائمة وناجحة .

علاقة هذه الدراسة بالدراسة الحالية :

اتفقت الدراستان حول تبيان أخلاق أهل العلم ، بينما اختلفتا في أن الدراسة المذكورة استخلصت هذه الأخلاق من فِكر الإمام الآجري رحمه الله تعالى ، في حين قامت الدراسة الحالية على استنباط هذه الأخلاق من آيات العلم في القرآن الكريم ، ومن أوجه الاختلاف كذلك أن المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي التحليلي ، بينما كان المنهج المتبع في الدراسة الحالية هو المنهج الاستنباطي . وكذلك فإن الدراسة المذكورة قد ركزت بحثها بالكامل حول هذا الموضوع ، بينما كان هذا الموضوع أحد المحاور التي تحدثت عنها الدراسة الحالية بالإضافة إلى محاور أخرى ، وهي : توضيح نظرة القرآن الكريم إلى العلم، وتبيان فوائده على نطاق الفرد والمجتمع ، ومعرفة موانع وعوائق قبول الحقائق العلمية.

الدراسة الرابعة : آداب المعلم والمتعلم عند الإمام العلموي من خلال كتابه (المعيد في آداب المفيد والمستفيد) [1] .

المنهج المتبع : هو المنهج التاريخي .

هدف الدراسة : تهدف هذه الدراسة على التعرف على الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها كل من المعلم والمتعلم عند الإمام العلموي .

---

(1) العصيمي ، معيوض عوض حميد ، آداب المعلم والمتعلم عند الإمام العلموي من خلال كتابه (المعيد في آداب المفيد والمستفيد) ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى ، ١٤١١هـ .

أهمية الدراسة : تكمن أهمية هذه الدراسة في أن هذا الموضوع :

- يرسم للقائمين على إعداد المعلم نمط شخصية المعلم المبتغاة والسير على طريقها .
- يرسم للقائمين على توجيه وإرشاد المتعلم أخلاقيات المتعلم المرغوب فيها ، وتعديل سلوكه وفق هذه الصفات .

فصول الدراسة : تناولت هذه الدراسة القضايا التالية : التعريف بالإمام العلموي وعصره وما صحب ذلك من حروب وفتوحات وفتن وحالة البلاد الاجتماعية والعلمية الفكرية . وكذلك الحديث عن الجوانب التالية :

- آداب المعلم في نفسه وفي معاملته لتلاميذه وفي أدائه لدرسه .
- آداب المتعلم في تعامله مع معلمه ومع درسه .
- آداب مشتركة بينهما .
- القواعد والآداب المبتغاة لمهنة التعليم في ضوء آراء الإمام العلموي .

تم توصل الباحث إلى عدة نتائج أهمها ما يلي :

١- أهمية الآداب التي يجب أن يتحلى بها المعلم والمتعلم في نجاح العملية التعليمية .

٢- أن تلك الآداب يمكن اتخاذها قواعد لمهنة التعليم في العصر الحاضر والتي يمكن في ضوئها إعادة النظر في برامج مؤسسات إعداد المعلم .

وعلى ضوء هذه النتائج قدّم الباحث عدداً من التوصيات ، كان من أهمها :

١- اتخاذ الآداب التي وجه إليها الإمام العلموي قواعد لمهنة التعليم لأصالتها في الفكر الإسلامي .

٢- يمكن للجهات المسئولة عن تقويم المعلم اتخاذ تلك الآداب معايير لتقويم أداء المعلم في الوقت الحاضر .

٣- على الباحثين في مجال التربية الإسلامية محاولة الوصول إلى نظرية شاملة في أخلاقيات العملية التربوية مستمدة من الفكر الإسلامي الأصيل .

علاقة هذه الدراسة بالدراسة الحالية :

اتفقت الدراستان حول تبيان أخلاق أهل العلم ، بينما اختلفتا في أن الدراسة المذكورة استخلصت هذه الآداب من فكر الإمام العلموي رحمه الله تعالى ، في حين قامت

الدراسة الحالية على استنباط هذه الآداب من آيات العلم في القرآن الكريم ، ومن أوجه الاختلاف كذلك أن المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي التحليلي ، بينما المنهج المتبع في الدراسة الحالية هو المنهج الاستنباطي ، وكذلك قامت الدراسة المذكورة على تناول هذا الموضوع عبر فصولها الخمسة، بينما استعرضت الدراسة الحالية هذا الموضوع في أحد مباحثها ، وأضافت إلى ذلك عدداً من المباحث الأخرى .

الدراسة الخامسة : آداب المعلم والمتعلم عند بعض المفكرين المسلمين [1] .

المنهج المتبع : هو المنهج الاستنباطي .

هدف الدراسة : تهدف هذه الدراسة إلى الخروج بدستور أخلاقي لمهنة التعليم ، بحيث يمثل هذا الدستور الروح الأخلاقية التي سادت تعليمنا عبر العصور ، ويشمل جوانب مهنة التعليم الشخصية والمهنية والاجتماعية ، كما كان ينظر لها في تاريخنا ، ويبين ما تحتله من قدسية وتعظيم في حضارتنا التي أولت المعلم والمتعلم مكانة عالية .

أهمية الدراسة : برزت أهمية الدراسة في أهمية التحلي بالآداب للمعلم والمتعلم ، حيث إن دراسة الأدب قد أخذت ونالت من علماء الإسلام أهمية كبيرة ، حيث جعلوا له جزءاً خاصاً في كتب الحديث عموماً أسموه كتاب الأدب ، واعتبره بعضهم ثُلثي الدين .

فصول الدراسة : تضمنت هذه الدراسة الحديث عن الجوانب التالية :

١. الآداب الشخصية للمعلم والمتعلم .
٢. الآداب الاجتماعية للمعلم المتعلم .
٣. الآداب المهنية للمعلم والمتعلم .
٤. دستور أخلاقي لمهنة التعليم .

كما توصل الباحث إلى عدة نتائج ، من أهمها :

١- أثر الفكر الإسلامي في شخصية المعلم وإرشاده إلى التخلق بالخلق الإسلامي القويم.

٢- أهمية العلاقة بين المعلم المتعلم وأنها علاقة أُبوة تُوجب على المعلم العطف والشفقة الاهتمام بالمتعلم .

---

[1] النفيعي ، مطلق هلال ضويحي ، آداب المعلم والمتعلم عند بعض المفكرين المسلمين ، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى ، ١٤١٦هـ .

٣- أهمية التعاون بين المعلم وزملائه المعلمين وأثر ذلك في تقدم المؤسسة التعليمية.

وعلى ضوء تلك النتائج قدم الباحث عدداً من التوصيات ، ومنها :

١- أن يكون إعداد المعلمين أثناء الدراسة في كليات إعداد المعلمين مهتمـــاً بتكـــوين اتجاهات موجبة نحو مهنة التعليم .

٢- أن تكون هناك إدارة أو هيئة علمية تعمل على فرض شروط خاصة للالتحاق بمهنة التعليم وتمارس بعد ذلك رقابة معينة على سلوك المعلمين ولها صـــلاحية في تطبيـــق عقوبات خاصة في حالة خروج المعلم عن هذه السلوكيات .

٣- ضرورة أن تتضمن المناهج الدراسية توجيهات تربوية وأخلاقية تغرس في المتعلم حب طلب العلم واحترام أهله وتقديرهم .

علاقة هذه الدراسة بالدراسة الحالية :

مما سبق يتضح أن أخلاق أهل العلم والمنهج -الاستنباطي -المتبـــع همـــا العناصـــر المشتركة بين هاتين الدراستين ، بينما تختلفان في أن الدراسة المذكورة استنبطت هذه الآداب من فِكر بعض العلماء المسلمين وأفردت له فصول الدراسة جميعها ، بينما استنبطت الدراسة الحالية هذه الآداب من كلام رب العالمين في آيات العلم ، كما أن هذا الموضوع هو أحـــد فصول الدراسة الحالية التي تناولت مواضيع أُخرى بالإضافة إلى هذا الموضوع .

الدراسة السادسة : العلاقة بين المعلم والمتعلم عند الإمام الغزالي [1] .

المنهج المتبع : هو المنهج التاريخي والوصفي .

أهداف البحث : يهدف هذا البحث إلى بلورة آراء الإمام الغزالي حول العلاقة بين المعلم والمتعلم .

أهمية البحث : إن وجود العلاقات الإنسانية الطيبة بين المعلم والمتعلم لها أهمية خاصة في تكوين وتربية شخصيات التلاميذ ، حيث يسهل عليهم في الجو المذكور اكتساب خبرات مختلفة ، كما يؤثر ذلك تأثيراً فعالاً في توفير الصحة النفسية للدارسين والمدرسين، وجميـــع العاملين بالمدرسة .

---

[1] يحيى ، سيد عباس ملا ، العلاقة بين المعلم والمتعلم عند الإمام الغزالي ، رسالة ماجستير مقدمـــة إلى قســـم التربيـــة الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى ، ١٤٠٦/ ١٤٠٧هـــ .

هذا ومن جانب آخر فإن توفر العلاقات الإنسانية في المجتمع المدرسي يكون حافزاً إيجابياً للعمل فيها ، ومؤثراً في درجة الإقبال عليها .

فصول الدراسة : احتوى هذا البحث عدة محاور وهي :

١. استعراض موجز عن شخصية الإمام الغزالي ونشأته ، كما يستعرض طبيعة عصره الذي عاش فيه ، من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية ، ومدى تأثر الغزالي به ، ثم يذكر مؤلفات الإمام الغزالي .

٢. كما تناولت الدراسة مفهوم العلاقات الإنسانية ، وأهميتها في مجال التعلم والتعليم ، وكذلك مدى أثر المدرس ومسئوليته في توطيد هذه العلاقات في الأسرة المدرسية ، كما استعرض مدى اهتمام الإسلام بالعلاقات الإنسانية ، مع ذكر أهم خصائصها من الربانية، والشمول والتوازن، والواقعية .

٣. ثم تحدث الباحث بعد ذلك عن نظرة الإمام الغزالي حول طبيعة عملية التعليم والإرشاد ، وأثر المعلم فيها ، كما تناول الآداب والصفات الإنسانية الواجب توافرها في المعلم عند الغزالي .

٤. وفي ختام البحث تناول الباحث آداب المتعلم وما يجب أن يتحلى بها في علاقته ما أستاذه.

وأخيراً اختتم البحث في فصله الخامس والأخير بالنتائج ومنها :

١- لكي يقوم المعلم على أداء وظيفته على أحسن وجه يجب أن تكون علاقته بتلاميذه قائمة على أساس من الشفقة والاحترام المتبادلين .

٢- يجب أن يكون المعلم قوي الاتصال بتلاميذه وأن يزيل العقبات التي تعيق ذلك الاتصال .

٣- أن يكون المعلم عادلاً بين طلابه ، وواقعياً في تقييمهم موفياً لهم حقوقهم ، ويعاملهم معاملة واحدة لا يفرق بين فقير وغني وبين وجيه وغير وجيه منهم .

٤- يُعد الثواب المدرسي في نظر الإمام الغزالي أكثر تأثيراً من العقاب في دفع المتعلم إلى تكرار الفعل المثاب عليه ، وترسيخه في نفس الطالب .

٥- إلى جانب ذلك يُعتبر العقاب أيضاً في نظره مرتكزاً هاماً في تقويم السلوك ، شريطة ألا يلجأ إليه إلا عند الضرورة وبقدرها .

علاقة هذه الدراسة بالدراسة الحالية :

تشترك الدراستان في تناول موضوع أخلاق أهل العلم ، بينما انفردت الدراسة المذكورة في دراسة العلاقة بين العالم والمتعلم وبيان آدابهما من خلال فكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى ، واستخدم الباحث فيها المنهج التاريخي والوصفي ، وهذا خلاف الأسلوب والمنهج المتبعان في الدراسة الحالية ، حيث أن الدراسة الحالية تقوم على استخلاص تلك الآداب في ضوء آيات العلم الواردة في القرآن الكريم ، كما استُخدم لأجل ذلك المنهج الاستنباطي لاستنباط آداب العالم والمعلم منها ، وقد تركزت فصول الدراسة المذكورة حول تناول العلاقة بين العالم والمتعلم وآدابهما ، بينما كان هذا الموضوع أحد أجزاء الدراسة الحالية ، والتي تناولت عناصر وأجزاء أخرى لم ترد في الدراسة المذكورة مثل الحديث عن آداب الحوار في آيات العلم .

وهكذا وبالرغم من استعراض تلك الدراسات التي اشتركت مع هذه الدراسة في بعض الموضوعات ، إلا أني أرى أنَّ هذه الدراسة قد تميزت عن غيرها من الدراسات بأنها جديدةٌ في عنوانها ، فريدةٌ في مضمونها ، متميزةٌ في طرْحها ، هذا ما أظنه موجوداً في هذا العمل ، وأرْجو أنْ يجده القارئ كذلك منْ خلال قراءته للأسطر التالية .

الفصل الثاني :

(الإسلام والعلم)

- المبحث الأول : مفهوم العلم .
- المبحث الثاني : أقسام العلم .
- المبحث الثالث : أهداف العلم .
- المبحث الرابع : مصادر العلم .
- المبحث الخامس : أهمية طلب العلم في الإسلام .
- المبحث السادس : العلم الذي يدعو إليه الإسلام .

توطئة :

يتميز دين الإسلام بأنه الدِّين الخاتم ، ولذلك فإنه يملك مُؤهلات البقاء على مرِّ الأعصار ومختلف الأمصار ، فهو دينُ دُنيا وأُخرى ،لا يصلح الزمان ولا المكان إلا بالإسلام، ولذلك لم يترك الإسلام شاردةً ولا واردةً ، ولا صغيرة ولا كبيرة إلا وضمَّها تحت لوائه ، وشملها بتوجيهاته .

ولعلَّ منْ أهم الأسباب التي أبْرزت مكانة العلم في الإسلام ؛ تلك النظرة الشّمولية والمتوازنة لكآفة أنواع العلوم الدينية والدنيوية ، حيث جعلهما الإسلام محطَّ اهتمامه ومحلُّ عنايته ، فدعا إلى طلب العلم الدنيوي في نفس الوقت الذي رغَّب في طلب العلم الشّرعي ، فلم يغلِّب جانباً على آخر ، كما ربط كلا النوعين من العلم بوشائج إيمانية ؛ حيث جعل العلم – أياً كان نوعه – نافعاً ما دام أنه يدل على ربِّ البريات ، ويحث العقل على التفكر في كلِّ الجزئيات منْ هذا الكون الفسيح .

ومما يزيد الأمر وضوحاً في تبيان علاقة الإسلام بالعلم ؛ ربْطُ القرآن الكريم الدائم للعلم بالإسلام ؛ حيث أنَّ " العلم بميزان القرآن هو الإسلام ، وفي مقابله الجهل الذي هو الكفر بدليل الاستقراء : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٢٠] " (١) .

قال القرضاوي : " لم تعرف البشرية ديناً مثل الإسلام ، عُني بالعلم أبلغ العناية وأتمَّها ، دعوةً إليه وترغيباً فيه ، وتعظيماً لقدره ، وتنويهاً بأهله ، وحثاً على طلبه وتعلُّمه وبياناً لآدابه ، وتوضيحاً لآثاره ، وترهيباً من القعود عنه أو الإزورار عنْ أصحابه ، أو المخالفة لهدايته ، أو الازدراء بأهله " (٢) .

كما أنه قد " أصبح من المسلَّم به لدى المؤمنين العاملين في المجالات العلمية أنَّ الإعجاز العلمي في دين الإسلام وكتابه القرآن وسنة نبيه محمد ﷺ معين لا ينضب في كلِّ وقت ، وإنْ ظهر العلم العصري باكتشافات وثوابت علمية أساسية ، فقد سبق أنْ أقرَّها الإسلام في القرآن والسّنة منذ أكثر منْ أربعة عشر قرناً ، والله ﷻ لم يفرط في الكتاب منْ

---

(١) المريني ، الجيلالي ، مفهوم العلم في القرآن ، مجلة البيان ، المنتدى الإسلامي ، لندن ، العدد ٢٠١ ، شهر جمادى الأولى، ١٤٢٥ هـ ص ١٠ .

(٢) القرضاوي ، يوسف ، الرسول والعلم ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م ، ص ٣ .

شيء ، ولذلك كان من الطبيعي أنْ تتسم موضوعات الإعجاز العلمي في هذا الدين على غيره من الأديان بالتجدد الدائم ، فالقرآن والسّنة مرجعيان أزليان للحقائق العلمية " [١] .

فأمَّا القرآن الكريم فلا أدلَّ على ذلك في أنك إنْ يَمَّمْت وجهك وصعَّدت بصرك وقلَّبت صفحات كتاب ربك وجدت فيه - كما ذكر صاحب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - الجواهر والدُّرر التالية :

وردت كلمة { علم } نكرة ومعرفة ثمانين مرة [٢] ، في حين جاءت مشتقاتها : يعلم ويعلمون ، وعلم ويعلم ، وعليم وعلام ... الخ ، مئات المرات [٣] .

وكذلك مشتقات { عقل } تكررت في القرآن الكريم تسعاً وأربعين مرة [٤] .

وأما مشتقات { فكر} فقد جاءت ثماني عشرة مرة [٥] .

هذا عَدا كلمات أُخَر ، أكثر مما ذُكر ، لها صلة وارتباط بشحذ الهِمَم وتنبيه العقول وتوجيه النفوس نحو أهمية العلم وأثره على مُكتسبه في الدنيا والآخرة ، والتي تدل دلالةً واضحة على حرص القرآن الكريم على أنْ يكون أتباعه ذوي بصائر مُتعلّمة ، وألبابٍ نيِّرة ، قدِ اهْتَدت بنور الإيمان ، وتزينت بزينة الإحسان ، وتسلحت بسلاح العلم .

وأمَّا سنة المصطفى ومنهاج المجتبى ﷺ ؛ فقدِ اعْتَنى - عليه الصَّلاة والسَّلام - بالعلم أيّما عنايَة ، واهتمّ به أكبر الاهتمام وأعظمَه ، فها هي أحاديث العلم الواردة عنه ﷺ مبثوثة في أسانيد رجال الحديث ، فلا تكاد تقرأ كتاباً منْ كُتب السّنة المطهرة ؛ إلا ووجدت فيه باباً خاصاً عن العلم ، يُبين للمطّلع علـيه المكانة العالية التي حـظيَ بها العلم في عهد رسول الله ﷺ .

وما ذلك إلا دليلاً واضحاً وبُرهاناً ساطعاً يُثبت مدى عناية النبي ﷺ واهتمامه بالعلم وأهله ، وتشجيعه للأمة جمعاء على اغْتراف العلم منْ ينابيعه المختلفة ، حيث أنَّ مستوى كلّ أمة يُقاس بمدى اهْتمامها بالعلم ، ولهذا جاء الاهْتمام الشّديد من القرآن الكريم والسّنة

---

(١) القرني ، أحمد بن ظافر ، العلم والإيمان في الفضاء والطيران ، الرياض ، دار الشريف ، ١٤١٨هـ ، ص ٦٥ .

(٢) عبدالباقي ، مرجع سابق ، ص ٥٨٧ - ٥٨٩ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٥٧٦ - ٥٨٩ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٥٧٥ .

(٥) نفس المرجع ، ص ٦٣٥ - ٦٣٦ .

النبوية بالعلم ؛ حتى يتبين للأمم قاطبةً أنّ هذه الأمة قد أُعطيت مُؤهلات السِّيادة وزمام القيادة لما عَدَاها منْ أُمم الأرض .

المبحث الأول : مفهوم العلم :

المحور الأول : العلم في اللغة والاصطلاح :

يُعدّ تحديد المصطلحات ركيزةً أساسيةً ومنطلقاً سليماً نحو الوصول إلى فهمٍ أفضل عن الموضوع المراد دراسته ؛ حيث يُسهم ذلك التحديد في دراسة الموضوع دراسة دقيقة ووافية منْ جميع جوانبه ، وشاملة لكلّ عناصره ، وتزداد الحاجة أكثر إذا كانت تلك المصطلحات كلمات فضفاضة ، واسعة الدلالة ، تحتمل أكثر منْ معنى بحسب الحال والمقام الذي وردت فيه ، ومنْ تلك المصطلحات الكبيرة ؛ مصطلح {العلم} ، تلك الكلمة العظيمة التي منِ اتسم بها قلباً وقالباً ؛ دُنياً ودِيناً ؛ أصبح وارثاً لخير البريَّة ومصطفى البشريَّة نبينا وحبيبنا محمد ﷺ ، ولأهمية تلك الكلمة كان ولابدّ أنْ نستعرض مدلولاتها اللغوية ، ومعانيها الاصطلاحية بشيء من التفصيل ، ثم نتعرف بعد ذلك على ما يُضاد هذا المصطلح منْ معانٍ مختلفة ، يدل تعدُّدها على ما تحظى به كلمة العلم منْ ثِقَل لُغويّ ؛ مكَّن لها أنْ تتبوّأ أعلى مقامٍ ؛ وأرفع مكان عند أهل اللغة ، وجعل لها مكانة متميزة في سُلَّم المصطلحات ، ومما يزيد هذه الكلمة تميزاً اختلاف معانيها باختلاف المقام الذي وردت فيه ، وباختلاف الحال الذي نزلت له ، ومنْ أجل ذلك كان لزاماً علينا أنْ نُعطي هذه الكلمة حقها من البحث ، وأنْ نعتني بها كما اعْتنى بها القرآن الكريم منْ قبل .

قال ابن منظور : " العلم نقيض الجهل ، عَلِمَ عِلْمَاً...وعلَّام وعلَّامة : إذا بالغت في وصفه بالعلم ؛ أي : عالم جداً ، والهاء للمبالغة ، كأنهم يريدون داهية منْ قوم علَّامين.. وعَلِمْتُ الشيء أَعْلَمُهُ عِلْمَاً : عرفته ، قال ابن بري : وتقول عَلِمَ وَفَقِهَ ؛ أي : تعلّم وتفقّه ، وعَلُمَ وفَقُه ؛ أي: ساد العلماء والفقهاء..وعَلِمَ بالشيء : شَعَرَ ، يُقال ما علمت بخبر قدومه؛ أي : ما شعرت..ومَعْلَمُ الطريق :دلالته ، وكذلك معلّم الدين على المثل ، ومعلم كل شيء مظنته " [1] .

---

(١) ابن منظور ، مرجع سابق ، مادة (علم) ، ص ٤١٦–٤٢٠ (باختصار) .

والعلم عند الأصفهاني هو : " إدراك الشيء على حقيقته ، وذلك ضربان ؛ أحدهما : إدراك ذات الشيء ؛ والثاني : الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له ، أو نفي شيء هو منفيٌّ عنه " (١) .

وأما الجرجاني فيرى العلم بأنه : " الاعتقاد الجازم المطابق ، وقال الحكماء : هو حصول صورة الشيء في العقل " (٢) .

وقد حدد أبو عمر ابن عبد البر دلالة العلم تحديداً دقيقاً ؛ فقال : "حَدُّ العلم عند العلماء والمتكلمين في هذا المعنى هو ما استيقنته وتبينته ، وكلّ مَنِ استيقن شيئاً وبَيَّنه فقد علمه ، وعلى هذا منْ لم يستيقن الشيء ، وقال به تقليداً فلم يعلمه " (٣) .

وقال الإمام الغزالي في تبيين حقيقة العلم ؛ بأنه هو : " الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريبة ، ولا يُقارنه إمكان الغلط ، ولا يتسع القلب تقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغي أنْ يكون مقارناً لليقين ؛ مقارنة لو تحدّى بإظهارها بطلانه مثلاً منْ يقلب الحجر ذهباً ، والعصا ثعباناً ؛ لم يُورث ذلك شكاً أو إنكاراً " (٤) .

كما عرف ابن تيمية العلم ؛ فقال : " والعلم ما قام عليه الدليل " (٥) .

كانت تلك تعريفات علماء السَّلف لمفهوم العلم ، وقد اتسمت هذه التعريفات بالدقة في تحديد حقيقة العلم ،في حين كانت تعريفات التربويين المعاصرين لمفهوم العلم أكثر شمولاً؛ فقد عرف بعضهم العلم " بأنه مجموعة الحقائق التي تُعطي صورة عن العالم الذي نعيش فيه ، والتي تكشف عن القوانين التي تحكم الظواهر المتصلة بالكون " (٦) .

---

(١) الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، بيروت ، دار المعرفة ، ط١ ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م ، ضبط ومراجعة : محمد خليل عيتاني ، مادة (علم) ص ٣٤٧-٣٤٨ .

(٢) الجرجاني ، علي بن محمد الشريف ، كتاب التعريفات ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م ، باب العين ، ص ١٥٥.

(٣) ابن عبدالبر ، أبو عمر يوسف ، جامع بيان العلم وفضله ، الدمام ، دار ابن الجوزي ، ط ١ ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م ، تحقيق : أبوالأشبال الزهيري ، ج٢ ، ص٧٨٧ .

(٤) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، ميزان العمل ، القاهرة ، دار المعارف ، ط١ ، ١٩٦٤م ، تحقيق : سليمان دنيا ، ص ١٣-١٤.

(٥) ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، الرباط ، مكتبة المعارف ، د.ت ، جمع وترتيب : عبدالرحمن بن محمد القاسم وساعده ابنه محمد ، ج ٣ ، ص ١٣٦ .

(٦) محجوب ، عباس ، نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم ، دمشق ، دار ابن كثير ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م ، ص ٣٤ .

وغير بعيدٍ عن التعريف السَّابق عرَّفه منْ قال بأنه " كينونة من القوانين والحقائق الحاكمة والناظمة لكافة جوانب الوجود " (١) .

إنَّ حديثنا عن مفهوم العلم حديث مُشوّق وذو شجون ، وهو يجرّنا بالتالي إلى الحديث عن المعرفة ، وذلك لما بينهما من التداخل ؛ الذي قد يصعب معه تبيان أوجه الشَّبه والاختلاف بين هذين المصطلحين ، فستتعرض بمشيئة الله تعالى في الأسطر التالية بيان ماهية المعرفة لغةً واصطلاحاً ، ثم نُبين أوجه الفرق بينها وبين العلم .

المحور الثاني : العلم والمعرفة :

أولاً : مفهوم المعرفة :

قال الفراهيدي : " عرفت الشيء معرفة وعرفاناً وأمر عارف ، معروفٌ ، عريفٌ ، والعُرْف : المعروف ، قال النابغة :

أبى الله إلا عدله وقضاءه *** فلا النُّكْرُ معروفٌ والعُرْف ضائع

والعريف : القيم بأمر قوم عرّف عليهم...والتعريف : أنْ تصيب شيئاً فتعرفه ؛ إذا ناديت : منْ يعرف هذا ؟ ، والاعتراف : الإقرار بالذنب والذل والمهانة والرّضى به...والعَرْف : ريحٌ طيب ؛ تقول : ما أطيب عُرْفه ! " (٢) .

وفي لسان العرب : " العِرْفان : العلم ، قال ابن سيده : وينفصلان بتحديد لا يليق بهذا المكان ، عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ عِرْفة وعِرْفاناً وعِرِفَّاناً ومَعْرِفَةً واعْتَرَفَه ، قال أبو ذؤيب يصف سحاباً :

مرته النُّعامى فلم يعترف *** خِلاف النَّعامى من الشام ريحاً

ورجل عَرُوفٌ وعَرُوفة : عارف يعرف الأمور ولا يُنكر أحداً رآه مرة...وعرَّفه الأمر: أعلمه إياه ، وعرَّفه بيته : أعلمه بمكانه ، وعرَّفه به : وسَمه...واعترف القوم : سألهم عنْ خبر ليعرفه...والمعارف : الوجوه ، والمعروف : الوجه ؛ لأنَّ الإنسان يُعرف به...والمعروف ضد المنكر " (٣) .

---

(١) الطلاع ، رضوان بن ظاهر ، من فيض الخاطر مقالات وخواطر " طروحات وأبحاث تعليمية وتربوية " ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ ، ص ١٧ .

(٢) الفراهيدي ، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد ، كتاب العين ، دار ومكتبة الهلال ، تحقيق : مهدي المخزومي و إبراهيم السّامرائي ، ج٢ ، مادة (عرف) ، ص ١٢١ – ١٢٢ (باختصار) .

(٣) ابن منظور ، مرجع سابق ، ج ٩ ، مادة (عرف) ، ص ٢٣٦ – ٢٣٩ (باختصار) .

وأما المعنى الاصطلاحي للمعرفة فهو كما يقول الراغب الأصفهاني : " المعرفة والعرفان : إدراك الشيء بتفكير وتدبُّر لأثره ، وهو أخصّ من العلم ، ويُضاده الإنكار ، ويُقال : فلان يعرف الله ، ولا يُقال: يعلم الله ، متعدياً إلى مفعول واحد ، لما كان معرفة البشر لله هي بتدبُّر آثاره دون إدراك ذاته ، ويُقال : الله يعلم كذا ، ولا يُقال : يعرف كذا ، لما كانت المعرفة تُستعمل في العلم القاصر المتوصل به بتفكير " (١) .

ثانياً : الفرق بين العلم والمعرفة :

لقد تعدَّد وُرود كلمة المعرفة في آيّ القرآن الكريم في أكثر منْ مناسبة ، ومنْ ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ [سورة المائدة : الآية ٨٣] ، وقال تعالى :﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ٢٠] .

وأما كلمة العلم فقد جاءت في آيات كثيرة ومناسبات عديدة ، منها قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [سورة العنكبوت : الآية ٤٩] .

إنّ المتأمل في الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمتي العلم والمعرفة لَيُدرك جلياً ماهية الفرق بينهما ؛ فالمعرفة حينما تُطلق لا بدّ وأنْ تكون مسبوقةً بجهل ، فلا يُقال : هل عرفت كذا ؟ ، إلا إذا كان يجهله منْ قبل ، بخلاف العلم الذي لا يُشترط لحصوله سَبْق الجهل بالشيء ، ويدل على ذلك أنّ الله ﷻ لم يُوصف بالمعرفة ، بلْ وصف نفسه ﷻ بالعلم ؛كما في قوله تعالى على لسان ملائكته : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة البقرة : الآية٣٢]، وذلك للزوم حصول الجهل قبل وقوع المعرفة ، والله ﷻ مُنـزَّهٌ عنْ هذا الوصف ، حيث أنّه ﷻ قد عَلِم الأشياء قبل حدوثها ، إذْ أنّ علمه جلّ وعلا سابق لكلّ معلوم ومحيط بكلّ مخلوق ،كما أخبر تبارك وتعالى عنْ وُسْعِ علمه الذي أحاط بكل شيء فقال ﷻ : ﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [سورة طه : الآية ٩٨] .

(١) الأصفهاني ، مرجع سابق ، ص ٣٢١ .

فالمعرفة إذاً " تُقال للإدراك المسبوق بالعدم...والعلم : يُقال لحصول صورة الشيء عند العقل ، وللاعتقاد الجازم المطابق الثابت " [1] .

وفي القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى عن المعرفة : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [سورة محمد : الآية ٣٠]، فأطلق – جلّ وعلا – لفظ المعرفة في الآية على معرفة الذوات ، وجعل المعرفة كذلك منْ سمات البشر ؛ لأنها تحصل لهم بعد جهل ، فالنبي ﷺ كان يجهل حال المنافقين ، لأنَّ النفاق منْ أعمال السَّرائر التي لا يطَّلع على حقيقتها إلا عالم الغيب والشّهادة ، ثمَّ لما أخبره الله تعالى بعلاماتهم أصبح الوصف القائم به – بعد جهله لحالهم – أنه يعرفهم بسِيماهم التي أخبره الله بها ، ثم أثبت ﷻ في نهاية الآية الكريمة العلم لنفسه ، لأنه يستحيل على الله تعالى أنْ يجهل شيئاً ما ؛ لكي يعرفه بعد جهله .

قال ابن الجوزي في تفسير الآية السَّابقة : " ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ ﴾أي: لعرَّفناكهم، تقول : قد أريْتُكَ هذا الأمر؛ أي : قد عَرَّفْتُكَ إياه ؛ المعنى : لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة، وهي السِّيما ﴿ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ أي : بتلك العلامة ،﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ أي : في فَحْوى القول ، فدلّ بهذا على أنَّ قول القائل وفعله يدل على نيته " [2] .

وخلاصة القول ، فإنه يمكننا إجمال الفرق بين العلم والمعرفة في النقاط التالية ، وهي :

١) أنَّ المعرفة لا بدّ وأنْ تكون مسبوقةً بجهل ، والعلم لا يشترط له ذلك ، وحول ذلك يقول الجرجاني : " المعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه ، وهي مسبوقة بجهل ، بخلاف العلم ؛ ولذلك يُسمّى الحق تعالى بالعالِم دون العارف " [3] .

فلفظ المعرفة إذاً " لا يُوصف به الله ﷻ لكونه مُستلزماً لسبق الجهل ، والربُّ – تبارك وتعالى – منزَّهٌ عنْ ذلك ، فلذا يُقال : علم الله كذا ، ولا يُقال عرفه ، كما يُقال الله عليم ، ولا يُقال : الله عارف " [4] .

---

(١) الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ، الكليات – معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، دمشق ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ط ٢ ، ١٩٨٢م ، تحقيق : عدنان درويش و محمد المصري ، ج ٤ ، ص ٢٩٦ .

(٢) ابن الجوزي ، مرجع سابق ، ١٤٠٤ هـ ، ج ٧ ، ص ٤١١ .

(٣) الجرجاني ، مرجع سابق ، ص ٢٣٦ .

(٤) الجزائري ، مرجع سابق ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٢ – ١٣ .

٢) أنَّ الغالب في المعرفة تكون في معرفة الذّوات دون الصّفات التي يختص بها العلم ، وعنْ ذلك يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى – : " المعرفة تتعلق بذات الشيء ، والعلم يتعلق بأحواله ؛ فتقول : عرفت أباك وعلمته صالحاً عالماً ، ولذلك جاء الأمر في القرآن بالعلم دون المعرفة ؛كقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [سورة محمد : الآية ١٩] وقوله تعالى : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [سورة المائدة : الآية ٩٨] ، وقوله: ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة هود : الآية ١٤] "(١) .

فالمعرفة منْ خصائصها أنها " تفيد تمييز المعروف عنْ غيره ، و العلم يفيد تمييز ما يُوصف به عنْ غيره "(٢) .

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – في شرح ذلك : " إنك إذا قلت : علمت زيداً ، لم يفد المخاطب شيئاً ؛ لأنه ينتظر بعد أنْ تخبره على أيِّ حالٍ علمته ؟ فإذا قلت : كريماً أو شجاعاً ، حصلت له الفائدة ، وإذا قلت : عرفت زيداً ، استفاد المخاطب أنك أثبتّه وميزته عنْ غيره ، و لم يبق منتظراً لشيء آخر "(٣) .

٣) ومن الفوارق بين العلم والمعرفة ؛ أنَّ " المعرفة تُقال فيما يُتوصل إليه بتفكّر وتدبر ، والعلم قد يُقال في ذلك وفي غيره "(٤) .

المحور الثالث : مفهوم العلم في القرآن الكريم :

بعد النظر والتأمّل في معاني لفظة العلم في القرآن الكريم ؛ توصَّل الباحث إلى حقيقة مضمونها أنَّ هذه الكلمة ثريّة المعاني وغنيّة الدلالات ، ويتضح ذلك جلياً منْ خلال استقصاء عددٍ من الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة العلم ، والرجوع إلى تفسيرها في مظانها منْ كتب أهل التفسير ، ومنها ما جاء في تفسير قوله تعالى عنْ نبيه يوسف عليه السلام : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [سورة يوسف : الآية ٢٢] .

---

(١) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، دار الحديث ، القاهرة ، د.ت ، ج ٣ ، ص٣٥١ .

(٢) ساطور ، محمد رزق ، عقبات في طريق الإيمان ، جدة ، مكتبة القدس ، د.ت ، ص ١٤ – ١٥ .

(٣) ابن القيم ، مدارج السالكين ، مرجع سابق ، د.ت ، ج٣ ، ٣٥٢ .

(٤) الكفوي ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٢٩٦ .

قال ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – : " المراد بالعلم هاهنا قولان : أحدهما : الفقه ، والثاني : علم الرؤيا " (١) .

كما جاءت كلمة (العلم) بمعانٍ أُخرى تتناسب مع السّياق القرآني الذي جاءت فيه، حيث وردت لفظة (العلم) بمعنى (اليقين) كما في قوله تعالى : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٤٣] .

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى – : " أي : أخبروني عنْ يقين كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه من البحيرة السّائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك " (٢) .

وجاءت لفظة (العلم) بمعنى (الحق) كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [سورة النجم : الآيتين ٢٧ – ٢٨] .

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : "وما لهم يقولون منْ تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى منْ حقيقة علم ،﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ يقول : ما يتبعون في ذلك إلا الظنّ، يعني أنهم يقولون ذلك ظناً بغير علم وقوله : ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ يقول : وإنَّ الظنَّ لا ينفع من الحق شيئاً فيقوم مقامه " (٣) .

كما جاء مصطلح (العلم) بمعنى (الحجة) كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة الأحقاق : الآية ٤] .

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : " أوْلى الأقوال بالصّواب قولُ مَنْ قال الأثَارة : البقية منْ علم ، لأنَّ ذلك هو المعروف منْ كلام العرب...فتأْويل الكلام إذاً :

---

(١) ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد ، زاد المسير في علم التفسير ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٣ ، ١٤٠٤هـ ، ج ٤ ، ص ٢٠١ .

(٢) ابن كثير ، إسماعيل بن عمر الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠١هـ ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

(٣) الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٥هـ ، ج ٢٧ ، ص٦٣ .

ائتوني أيها القوم بكتاب منْ قبل هذا الكتاب بتحقيق ما سألتكم تحقيقه من الحجة على دعواكم ما تدعون لآلهتكم ، أو ببقية منْ علم يوصل بها إلى علم صحة ما تقولون منْ ذلك ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في دعواكم لها ما تدعون ، فإنَّ الدعوى إذا لم يكنْ معها حجة لم تغن عن المدعي شيئاً " (١) .

ووردت كلمة (العلم) بمعنى (الخوف) كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ [سورة مريم : الآية ٤٣] .

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : " والخوف في هذا الموضع بمعنى العلم ، كما الخشية بمعنى العلم في قوله : ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ [سورة الكهف : الآية ٨٠] " (٢) .

كما وردت كلمة (العلم) و(الأمر) بمعنىً واحد ؛وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٨٥] .

قال شهاب الدين المصري – رحمه الله تعالى – : " ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ أي : منْ علم ربي ؛ أي : أنتم لا تعلمونه " (٣) .

وبالإضافة إلى ما ذُكر آنفاً عنْ بعض معاني لفظة العلم في القرآن الكريم ؛ فقد ذكر أيضاً صاحب كتاب " نزهة الأعين النواظر " عنْ أهل التفسير معانٍ أُخرى للعلم في القرآن الكريم ؛ وهي :

" **الأول** : العلم نفسه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [سورة هود : الآية ٥] .

الثاني : الرؤية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ١٤٢] ، وقوله تعالى : ﴿ أَمْ

---

(١) نفس المرجع ، ج ٢٦ ، ص٣ – ٤ .

(٢) نفس المرجع ، ج ١٦، ص٩٠ .

(٣) المصري ، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم ، التبيان في تفسير غريب القرآن ، القاهرة ، دار الصحابة للتراث ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، تحقيق : فتحي أنور الدابولي ، ج١، ص ٢٦٩ .

حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ ﴾ [سورة التوبة : الآية ١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سورة محمد : الآية ٣١] .

الثالث : الإذن ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة هود : الآية ١٤] .

الرابع : القرآن ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٢٠] .

الخامس : الكتاب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٤٨] .

السّادس : الرسول ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ١٩] .

السّابع : الفقه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا ﴾ [سورة الأنبياء : الآية ٧٤] ، وقوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾ [سورة الأنبياء : الآية ٧٩] .

الثامن : العقل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ ﴾ [سورة القصص : الآية ٨٠] .

التاسع : التمييز ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ ﴾ [سورة آل عمران : الآيتين ١٦٦ - ١٦٧] .

العاشر : الفضل ، ومنه قوله تعالى حكاية عنْ قارون : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ [سورة القصص : الآيات ٧٦ - ٧٨] .

قال ابن قتيبة : معناه لفضل عندي ، ويُروى أنه كان أقرأ بني إسرائيل للتوراة .

الحادي عشر : ما يعده أربابه علماً ، وإنْ لم يكنْ كذلك ، ومنه قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة غافر : الآية ٨٣] " [١] .

وهكذا تبين لنا منْ خلال البحث في معاني كلمة العلم ، كيف أنها كانت ثرية الألفاظ لُغوياً ، واسعة المعاني اصطلاحياً ، قد تعدَّدت دلالاتها في القرآن الكريم وفق السِّياق القرآني الذي وردت فيه ، فهذا – كما أشرنا إليه آنفاً – يدل على ثِقل هذه الكلمة في ميزان اللغة، وما يعنيه ذلك من اهتمام القرآن الكريم بإبراز تلك المعاني المتعددة لكلمة العلم ، والذي يشير في مضمونه إلى العناية الفائقة التي حَظِيَ بها العلم في الإسلام ، وذلك منْ خلال الترغيب في فضله ، وتوضيح مكانته ، والحثّ على طلبه ، والأمر بفعل مقتضياته ، إقداماً كان المقصود منه أو إحجاماً .

المحور الرابع : أضداد العلم :

استناداً لما ذكرناه في مقدمة هذا الفصل منْ أنَّ لفظة العلم لفظةٌ واسعة الدّلالة ، كثيرة المعاني ؛ فإنها وبلا شك تتعدَّد أضدادها بتعدُّد معانيها ، وتبيان الضدّ تبيانٌ لقيمة الشيء المضاد ؛ فإنه حينما نذكر أضداد كلمة العلم ، فإننا ندرك بالتالي أهمية هذه الكلمة ، وحينما نعلم أنَّ لكلمة العلم معانٍ كثيرة ، فإنَّ ذلك يدلّنا على القيمة اللغوية الكبيرة لها في قواميس اللغة ، وما تحمله هذه الكلمة في طيّاتها منْ معانٍ سامية الدلالة ، رفيعة المكانة .

والعلم في أصله ضد الجهل ، " فإنْ كان العلم غير مطابق للمعلوم في الواقع أو الصّورة الخارجية فهو الجهل ، وإنْ كان العلم غير جازم المطابقة فإنَّه إمَّا أنْ يستوي طرفاه وهو الشك ،وإما أنْ يرجح أحدهما على الآخر؛فالراجح هو الظنّ والمرجوح هو الوهم " [٢].

وفي القرآن الكريم جاء (العلم) مقابل (الظنّ والشك) كما قال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ [سورة النساء

---

(١) ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م ، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، باب العلم ، ص ٤٥١ – ٤٥٣ .

(٢) الجزائري ، أبوبكر جابر ، العلم والعُلماء ، جدة ، دار الشروق ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، ص١٢.

: الآية ١٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [سورة النجم : الآية ٢٨] .

كما جاء (العلم) كذلك ضد (الجهل) كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة هود : الآية ٤٦] .

وهكذا يتضح لنا منْ خلال السّياق السّابق مدى الثّقل اللغوي الذي تحظى به كلمة العلم في عالم المصطلحات العربية ، وقد تبين لنا ذلك منْ خلال ذكر أضداد هذه الكلمة ، فمنْ باب أوْلى أنْ تظهر مكانتها منْ خلال ذكر معانيها ؛ لأنها مما يُبرهن على عظمة هذه الكلمة ، وحيث أنَّ مجال هذه الدراسة هو القرآن الكريم ، فإننا نجده قد اعْتنى بها اعتناءً لا مثيل له ؛ حيث أوْرد القرآن الكريم هذه الكلمة في آياتٍ عديدة وبمعانٍ متعدّدة ، تختلف معانيها باختلاف المقام الذي وردت فيه ، وهذا بلا شك ينبئ المتتبع لها بمدى أهميتها واستحقاقها للبحث ، وفيما يلي نذكر المعاني المختلفة التي نالتها هذه الكلمة في رِحاب كتاب الله ﷻ .

المبحث الثاني : أقسام العلم :

العلم لفظ مُطلق لا يتقيد بتخصص بعينه ، والإطلاق يُفيد الشّمول والعُموم ؛ وعلى ذلك فإنّ العلوم تختلف باختلاف نوع التصنيف الذي تندرج تحته .

فهناك تصنيف يعتمد على الصِّفات المعبِّرة عنْ موضوعات العلم كدينية ودنيوية ، وهناك تصنيف يُقسم العلوم حسب مصادرها كنقلية وعقلية ، أو بحسب الوسائل التي يتم تحصيله بها كنظرية وتجريبية .

قال الأصفهاني في ذكر أصناف العلم : " والعلم منْ وجهٍ ضربان : نظري وعملي : فالنظري ما إذا عُلِم فقد كمل نحو العلم بموجودات العالم ، والعملي ما لا يتم إلا بأنْ يعمل كالعلم بالعبادات " [(١)] .

كما قد يتخصص (العلم) بفنٍّ معيَّن ، فيُقال : "علم التفسير" أو "علم الفلك" أو "علم الأحياء" أو " علم الجغرافيا " أو " علم الفيزياء " أو غير ذلك من فروع العلم المختلفة.

وقد تناول الباحث هذا الموضوع من زاوية أُخرى ، حيث جعله أحد المضامين التربوية المستنبطة من آيات العلم ، وقسّم العلم إلى أقسام عدّة حسب التصنيف الذي تندرج تحته ، فهناك تصنيف للعلم بحسب شموله ، وهناك تصنيف آخر للعلم بحسب محتواه ، ونحيل القارئ إلى المبحث الثاني من الفصل الثالث للتوسع أكثر حول هذه التصنيفات .

---

(١) الأصفهاني ، مرجع سابق ، مادة (علم) ص ٣٤٧-٣٤٨ .

المبحث الثالث : أهداف العلم :

يهدف العلم في مجمله – وعلى اختلاف أنواعه – إلى هدف عام ومشترك ؛ ألا وهو تحقيق الخلافة الراشدة التي أرادها الله تعالى لبني آدم ، والتي تتمثل في إعمار الأرض إعماراً دينياً ودنيوياً ، والرّقي بهما جنباً إلى جنب ، وعدم الاهتمام بأحدهما على حساب الآخر ، لأنّ الإغفال إذا نال أحدهما ؛ فإنه سيعود سلباً على الآخر ، فهما وجهان لعملة واحدة ، وهي الخلافة التي أرادها الله تعالى ، والتي لن تتحقق إلا بالنهوض بهما جميعاً .

ويندرج تحت هذه الغاية أهدافاً مرحلية أُخرى ، تتعاضد لتصل بالإنسان في نهاية المطاف إلى تحقيق الغاية الآنفة الذكر ، ونجمل تلك الأهداف في النقاط التالية :

- التطبيق الصحيح لكلّ ما تضمّنه الوحي في الكتاب والسّنة منْ أوامر ونواهي من غير إفراط أو تفريط .
- الوصول إلى فهمٍ أفضل للعلاقة التي تربط الإنسان بمنْ حوله منْ مخلوقات ، ومعرفة الكيفية المثلى للاستفادة من تلك العلاقة .
- تسخير كافة الكائنات والإمكانات المحيطة بالإنسان لنفع الإنسانية ومصلحة البشرية.
- وضع الأُطر الكفيلة بمنع كافة التصرفات التي منْ شأنها إلحاق الضرر بكلّ ما هو موجود على الأرض ، سواء أكان من الجنس البشري أو غير ذلك من الكائنات .

المبحث الرابع : مصادر العلم :

لقد وهب الله تعالى للإنسان طرقاً عدَّة يستطيع منْ خلالها طَرْق أبواب العلم المتنوعة والاستزادة منْ معينه ، والبحث في كتبه ، والتفكّر في مسائله ، وهذه الوسائل هي : الوحي، والعقل ، والحسّ .

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – : " وطُرق العلم ثلاثة : الحسّ ، والعقل ، والمركب منهما كالخبر ، فمن الأمور ما لا يمكن علمه إلا بالخبر ، كما يعلمه كلّ شخص بأخبار الصّادقين ؛ كالخبر المتواتر ، وما يُعلم بخبر الأنبياء – صلوات الله عليهم أجمعين – وهذا التقسيم يجب الإقرار به ، وقد قامت الأدلة اليقينية على نبوات الأنبياء – عليهم الصَّلاة والسَّلام – وأنهم قد يعلمون بالخبر ما لا يُعلم إلا بالخبر ، وكذلك يعلمون غيرهم بخبرهم ، ونفس النبوة تتضمن الخبر ، فإنّ النبوة مشتقة من " الإنباء " وهو الإخبار

بالمغيب ، فالنبي يخبر بالمغيب ويخبرنا بالغيب ، ويمتنع أنْ يقوم دليل صحيح على أنَّ كلّ ما أخبر به الأنبياء – عليهم الصَّلاة والسَّلام – يمكن معرفته بدون الخبر...ولهذا كان أكمل الأمم علماً المقرون بالطرق الحسية والعقلية والخبرية ، فمنْ كذَّب بطريق منها ، فاته من العلوم بحسب ما كذَّب به منْ تلك الطُرق " (1) .

ويمكننا فهم الكيفية التي يتعاون فيها كلٌّ من الوحي والعقل والحسّ للحصول على العلم في الخطوات التالية :

أولاً : يُقدم الوحي الصّادق المتمثل في الكتاب والسّنة خبراً صادقاً وأمراً قاطعاً للدلالة على صدق هذا الدين ، وأنه الدين الحقّ الذي جاء منْ عند الله ﷻ .

ثانياً : يطلب الوحي الصّادق من الإنسان التفكّر والتأمل فيما حوله من الآيات الكونية ، والتدقيق فيها حتى يجد الخبر الصّادق عياناً أمام ناظريه كما أخبر به الوحي .

ثالثاً : يحصل لدى الإنسان بعد هذا التدبر وذاك التمعُّن قناعةً تامة واطْمئنان كامل على صدق ذلك الخبر الذي جاء به الوحي ، وبالتالي يقوده ذلك الاطمئنان إلى قبول هذا الحق منهجاً ، واعتناقه ديناً .

وبذلك يظهر لنا مدى التوافق والتكامل في " عمل العقل والسَّمع والبصر ، إضافة إلى الاهتداء بخبر الوحي ، ويُشدد ابن تيمية – رحمه الله تعالى– على تكامل الأدوات الثلاثة مستهدفاً عدم تبديد الطاقة العقلية في خيالات وتصورات لا مدلول لها في عالم الوجود وبذلك سبق ابن تيمية فلاسفة المنهج الديكارتي أو فلاسفة العلم الحديث ، الذين دعوا إلى النـــزول منْ عالم الميتافيزيقا إلى عالم الواقع " (2) .

---

(1) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، درء تعارض العقل والنقل ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط1 ، 1401هـ = 1981م ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ج1 ، ص 178.

(2) الكيلاني ، ماجد عرسان ، الفكر التربوي عند ابن تيمية ، المدينة المنورة ، مكتبة دار التراث ، ط 2 ، 1407هـ = 1986م ، ص 203 – 204 .

المبحث الخامس : أهمية طلب العلم في الإسلام :

لطلب العلم في الإسلام مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة ، ولأجل ذلك فقد جاءت تشريعاته مرغبة المسلم في طلب العلم والاستزادة منه ، ومنْ ذلك قول الله ﷻ : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [سورة طه : الآية ١١٤] ، بلْ وبين الأجر العظيم الذي ينتظر طالب العلم إنْ هو ترسّم هدي هذه الآية قولاً وفعلاً ، ويأتي على رأس ذلك قول الرسول ﷺ – وهو يُبين أهمية طلب العلم – : (منْ سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة) (١) . ففي هذا الحديث الشريف ونظائره من النصوص الشّرعية دلالة واضحة على ما يناله طالب العلم من الأجر العظيم والثواب الجزيل على هذا العمل النبيل ، وما ذلك إلا لأنّ طلب العلم له فوائد نبيلة ، تُدر على صاحبها خيراً كثيراً ، يستمر نفعه في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

كما أنّ لطالب العلم منزلة مرموقة بين أعضاء مجتمعه ، فهو الشّريف بعلمه وإنْ كان وضيع النسب ، وهو الغني بعلمه وإنْ كان فقير المال ؛ وقد ذكر الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – قصّة لطيفة تدل على عِظم مكانة طالب العلم في الإسلام ، حيث قال : " قال إبراهيم الحربي – يرحمه الله – كان عطاء بن أبي رباح عبداً أسود لامرأة منْ مكة ، وكان أنفه كأنه باقلاة ، قال : وجاء سليمان بن عبد الملك – أمير المؤمنين – إلى عطاءٍ هو وابناه ، فجلسوا إليه وهو يصلي ، فلما صلى انفتل إليهم ، فما زالوا يسألونه عنْ مناسك الحج ، وقد حول قفاه إليهم ! ، ثم قال سليمان لابنيه : قوما ، فقاما ، فقال : يا بنيّ ؛ لا تنيا في طلب العلم ، فإني لا أنسى ذُلّنا بين يدي هذا العبد الأسود ! " (٢) .

وقال أحدهم في وصف مكانة طالب العلم في الإسلام :

" رأيت العلم صاحبه شريف *** وإنْ ولدته آباء لِئام
وليس يزال يرفعه إلى أنْ *** يُعظِّمُ قدره القومُ الكرام
ويتبعونه في كل أمر *** كراع الضأن تتبعه السّوام

(١) الترمذي ، محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د.ت ، ج ٥ ، كتاب (العلم عن رسول الله ﷺ)، باب (فضل طلب العلم) ، رقم الحديث (٢٦٤٦) ص ٢٨ ، وقال : هذا حديث حسن .

(٢) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت ، ج ١، ص١٦٥.

ويُحـــمل قوله في كل أُفق *** ومنْ يكنْ عالماً فهو الإمام

فلولا العلم ما سعدت نفوس *** ولا عُرف الحلال ولا الحرام " (١).

وأخرج ابن عبد البر بسنده عنْ عبد الرحمن بن شريح قال : سمعت عبيد الله بن أبي جعفر يقـــول : " العلماء منار البلاد ، منهم يُقتبس النور الذي يُهتدى به " (٢) .

كما أخرج ابن عبد البر بسنده عنْ كعب قال : " ما خرج رجلٌ في طلب علم إلا ضمَّن الله السَّماوات والأرض رزقه " (٣) .

فمنْ هذه الآثار ومنْ غيرها نستشف المكانة العالية التي يتبوّأها طالب العلم في الإسلام والمنـــزلة العظمية التي يحصل عليها بين أعضاء مجتمعه المسلم ، وما ذلك إلا نتيجةً حتميةً لمنِ التزم بالعلم منهجاً وخُلقاً ، ولِمَا للعلم في نظر الناس منْ آثارٍ حميدة وفوائد جليلة يصعب حصرها في هذا المقام ، ولعلَّنا نذكر هنا طرفاً منْ تلك الثمار اليانعة للعلم ، ومنها ما يلي :

- " به يُعرف الله ويُعبد ويُوحد .
- طلب العلم عبادة .
- هو طريق الوصول إلى الجنة .
- يُكسِب صاحبه الخشية لله .
- ينتفع به صاحبه وينتفع به غيره ممن علَّمه .
- يبقى أجره بعد انقطاع أجَلِ صاحبه .
- يرفع الوضيع ويُعز الذليل ويجبر الكسير .
- به توصل الأرحام وتُؤدى الحقوق ." (٤) .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – في بيان أهمية العلم : " العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يصحبك في دُورك الثلاث ، في الدنيا وفي البرزخ ويوم يقوم الأشهاد...العلم نور يُهتدى به في ظُلمات الشّكوك والجهالات ، وحياة تقيم العبد وتوصله إلى الجنات...لولا العلم لكان الناس كالبهائم في ظُلمات الجهالة ، ولولا العلم

---

(١) ابن عبدالبر ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .

(٢) نفس المرجع ، ج ١، رقم (٢٣٤) ، ص ٢٢٣ – ٢٢٤ .

(٣) نفس المرجع ، ج١، رقم (٢١٨) ، ص٢٠٦ .

(٤) ابن حميد ،صالح بن عبدالله وآخرون ، نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ ،جدة ،دار الوسيلة ، ط١، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م، ج٧ ، ص٢٩٨٢.

لما عُرفت المقاصد والوسائل ، ولولا العلم ما عُرفت البراهين على المطالب كلها ولا الدلائل، العلم هو النور في الظلمات ، وهو الدليل في المتاهات والشُّبهات ، وهو المميز بين الحقائق وهو الهادي لأكمل الطرائق " (١) .

المبحث السادس : العلم الذي يدعو إليه الإسلام :

قد يتبادر إلى ذهن البعض أنَّ الإسلام لا يدعو إلا إلى تعلّم العلم الشّرعي ، ونبذ ما سواه من العلوم ، وهذا بلا شك قولٌ مدحوض ، يردُّه العقل والنقل ، فكم هي تلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي جاءت مُوجهة لأولي البصائر وداعية لذوي العقول إلى التفكّر في ملكوت السّماوات والأرض وما خلق الله تعالى فيهما منْ مخلوقات ، وحآثّةً الإنسان إلى النظر الثاقب بعينٍ متدبرة ومتأملة لكلّ ذرَّات هذا الكون الفسيح ، وهو بالتأكيد ما تدعو إليه صُنوف العلم الدنيوية المختلفة ؛ كعلم الفلك والكيمياء والفيزياء والطبّ والـــجيولوجيا وغيرها من العـــلوم التي تُساعد الإنسان على التأمّـــل فيما حوله من الكائنات .

وبناءً على ذلك فالعلم " الذي يشيد به القرآن ويدعو إليه ؛ هو العلم بمفهومه الشامل الذي يُنظم كلّ ما يتصل بالحياة ، ولا يقتصر على علم الشّريعة أو العلم الديني...فقد دعا إلى النظر في ظواهر الوجود ومظاهر الحياة...وجعل من الكون كتاباً للمعرفة ، ووجه العقول والقلوب والأبصار إلى بدائع صنع الله فيه " (٢) .

إذاً فكلُّ علمٍ ينتفع منه الإنسان في أُمور دينه ودنياه ، وعبادته ومعاشه ؛ فهو العلم الذي يدعو إليه الإسلام ؛ كما أنَّ العلم الذي يندفع به الجهل ، وتُزال به الشبهة ، وينعدم به الاعتماد على الظنون والأوهام ؛ هو ما يدعو إليه الإسلام ، سواءً كان علماً دينياً أم علماً دنيوياً ، وأعظم العلوم منـــزلةً ما كان سبباً في معرفة الله تعالى حقّ المعرفة ؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – : " فلو كان كمال النفس في مجرد العلم ، فليس هو أيُّ علمٍ كان بأي معلومٍ كان ، بل هو العلم الذي لا بد منه : العلم بالله " (٣) .

---

(١) السّعدي ، عبدالرحمن بن ناصر ، الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفـــاخرة ، الريـــاض ، الرئاســـة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، الإدارة العامة للطبع والترجمة ، ١٤٠٥هـــ ، ص ٦٩ – ٧٣ (باختصار) .

(٢) شديد ، محمد ، منهج القرآن في التربية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٣٩٧ هـــ ، ص ١١٥ – ١١٦ (باختصار) .

(٣) ابن تيمية ، مرجع سابق ، ١٤٠١هـــ ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .

الفصل الثالث :

(المضامين التربوية المرتبطة بالمبادئ الأساسية للعلم)

- 🕮 المبحث الأول : مكانة أهل العلم .
- 🕮 المبحث الثاني : أقسام العلم .
- 🕮 المبحث الثالث : استمرارية العلم .
- 🕮 المبحث الرابع : العلم معيار التفاضل .
- 🕮 المبحث الخامس : التحقق العلمي .

توطئة :

تبين لنا مما سبق أنَّ القرآن الكريم قد حوَى بين دفتيه ما تحتاجه هذه الأمة في عاجل أمرها وآجله ، وحاضر حضارتها ومستقبلها ؛ ذلك أنَّ الله تبارك وتعالى أنزل على خلقه هذا النور الربَّاني لمصلحة العباد في الدَّاريْن ، ومنفعتهم في الحياتيْن ، والدليل على ذلك قول المولى تبارك وتعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة النحل : الآية ٦٤] ، وقال ﷻ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة ص : الآية ٢٩] .

وإنَّ منْ أهم ما تحتاج الأمة إلى توجيه اهتمامها إليه ، وإلى بيان كيفية التعامل معه ، هو حاجتها الماسّة للحصول على العلم النافع ، بشقيْه الديني والدنيوي ، وذلك لما يترتب عليه منْ منافع جليلة ، يتمثل أهمها في معرفة العبد لدينه ، كما يساعد العلم الإنسان على التفاعل الأمثل مع مستجدات العصر ، سواء كانت من الناحية الاجتماعية أو الثقافية أو الطبية أو التكنولوجية أو الاقتصادية .

ومما يدل على اعْتناء القرآن الكريم بالعلم كَوْنُ أول آية نزلت منه هي آية العلم والتعلّم ، والتي تحدثت عنْ أهم وسيلة منْ وسائل تحصيل العلم ؛ ألا وهي القراءة ؛ فقال عزَّ منْ قائل : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [سورة العلق : الآيات ١ – ٥] ، فكانت رسالة الإسلام – ولا زالت – فاتحة خيرٍ ونقطة تحول للعالم أجمع نحو الوصول إلى مستوى الرُّشد البشري والعقلانية الإنسانية التي أرادها الله تعالى لبني الإنسان ، والعلم النافع هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذا الرُّشد .

كما أشار الخطاب الإلهي كذلك إلى أداةٍ منْ أدوات تقييد العلم ؛ ألا وهي القلم الذي عنْ طريقه يكتب الإنسان ما توصل إليه من العلوم ؛ فقال ﷻ : ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [سورة القلم : الآية١] .

قال ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – : " في معنى نون سبعة أقوال : أحــدها أنهــا الدواة " (١) ، وعلى هذا القول تكون الآية السّابقة قد جمعت في ثناياها بين القلــم ومــادة الكتابة ، وهما أداتان منْ أدوات تدوين العلم .

فهذا القَسَم في هذه الآية الكريمة يدل بجلاء ووضوح على ما للعلم منْ قيمة عظيمة، وما له منْ مزيّة خاصة في الدين الإسلامي .

بلْ وأعظم منْ ذلك ؛ حيث جعل القرآن الكريم العلم السَّبب الرئيس لتفضيل آدم عليه السلام على الملائكة الكرام ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [سورة البقرة : الآيات ٣٠ – ٣٤] .

وليس لذلك معنىً سِوى أنَّ العلم مقياس التميز ، فمنْ أراد أنْ ينال تلك الكرامــة الربانية ، وأنْ يحصل على مُؤهلات الاستخلاف في الأرض فعليه أنْ يلتحف العلــم رداءً ، وأنْ يستنشقه هواءً ، حتى يصبح لفؤاده دواءً ، ولجسده غذاءً .

وقد جعل الله – تبارك وتعالى – تعليم العلم وظيفة النبي ﷺ ، كما امتنَّ بهذه المهمة على هذه الأمة ؛ فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ١٦٤] .

(١) ابن الجوزي ، مرجع سابق ، ١٤٠٤ هـــ ، ج ٨ ، ص ٣٢٧ .

كما امتنَّ ﷻ على أفضل خلقه وخِيرة رسُله محمد ﷺ بما علّمه من العلم ، فقال ﷻ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [سورة النساء : الآية ١١٣] .

لقد جعل الله – تبارك وتعالى – كتابه العزيز جامعاً لعلوم الكتب السَّماوية السَّابقة، وملأه بصنوف العلم المختلفة ، وميّزه عنْ غيره بشموله لِخَيْري الدنيا والآخرة ، مما جعله مُؤَهلاً لأنْ يتبعه أهل العقول النيرة ، والفِطَر السَّليمة منْ كلّ دين ومنْ كلّ قُطر ، " لقد هدى الله بهذا القرآن العرب ، وهدى بدعوتهم إليه أعظم شعوب العجم ، فكانوا به أئمة الأمم ، فبالاهتداء به قهروا أعظم دول الأرض المجاورة لهم ؛ دولة الروم ودولة الفرس ، فهذه محوها منْ لوح الوجود بهدم سلطانها وإسلام شعبها ، وتلك سلَبُوها ما كان خاضعاً لسلطانها منْ ممالك الشرق وشعوبه الكثيرة ، ثم فتحوا الكثير منْ ممالك الشرق والغرب ، حتى استولوا على بعض بلاد أوروبا ، وألّفوا فيها دولة عربية كانت زينة الأرض في العلوم والفنون والحضارة والعمران "[1] .

(١) رضا ، محمد رشيد ، تفسير المنار ، القاهرة ، دار المنار ، ١٣٧٣هـ ، ج١ ، ص ٤ .

المبحث الأول : مكانة أهل العلم :

إنَّ المتأمل بعين البصيرة في آيات العلم لَيُوقن يقيناً جازماً أنَّ الله تعالى جعل لأهل العلم مكانة متميزةً ، لا يضاهيهم فيها أحد من الناس ؛ فقد رفع الله درجتهم ، وأعلى قدرهم ، وأعزَّ شأنهم ، ويكفي العلماء شرفاً وفخراً أنهم ورثة الأنبياء – عليهم الصَّلاة والسَّلام – كما قال النبي ﷺ : (إنَّ العلماء ورثة الأنبياء) [1] .

وإنَّ منْ تمام المِنة وكمال النِّعمة التي أوْلاها الله تعالى للعلماء أنْ ورَّثهم مع العلم النبوي القدر والاعتبار اللائقين بمكانة أهل العلم ، فكلُّ منْ حولهم يُكنّ لهم التقدير والاحترام والتبجيل الملائم لمنزلتهم الشرعية ؛ كيف لا وهمُ الموقِّعون عنْ رب العالمين ! .

وهم كذلك درع الأمة الحصين ، فهمُ الذين تُتقى بهم النوازل النازلة والكوارث المدلهمة ، وإليهم تعود الشّورى في معضلات الأمور ومتاهات العصور ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾ [سورة النساء : الآية ٨٣] .

بناءً على ما سبق ذكره نتوصل إلى أنَّ هذا الاعتبار للعلماء ، إنما هو في حقيقته اعتبارٌ شرعيٌ ، ينبني عليه أمران مهمان ، وهما :

" الأول : أنَّ طاعتهم طاعة لله ﷻ ولرسوله ﷺ ، فالتزام أمرهم واجب .

الثاني : أنَّ طاعتهم ليست مقصودة لذاتها ، بلْ هي تبعٌ لطاعة الله ورسوله ﷺ " [2] .

وأدلة هذه المكانة الدينية ، وذلك الاعتبار الشّرعي للعلماء منْ آيات العلم تتضح في ضوء الآيات التالية :

الدليل الأول : أنَّ الله ﷻ عَظَّم قدرهم ؛ حيث أشهدهم دون غيرهم على أعظم مشهود وأجلّ موجود ؛ وهو الله الغفور الودود ، كما قال الله ﷻ : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[سورة آل عمران: الآية١٨].

---

(١) الترمذي ، مرجع سابق ، كتاب (العلم عن رسول الله ﷺ) ، باب (ما جاء في فضل الفقه على العبادة) ، ج ٥ ، حديث رقم (٢٦٨٢) ، ص ٤٨ .

(٢) اللويحق ، عبد الرحمن بن مُعلاّ ، قواعد في التعامل مع العلماء ، الرياض ، دار الورّاق ، ط ١ ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م ، ص٤٣ .

فقد أشهد الله ﷻ أهل العلم على أعظم مشهود وهو توحيده ﷻ ، وهذا يدل على فضل أهل العِلم ومكانتهم العالية عند ربّ الأرض والسَّماوات ، وأنَّ العلماء في السَّماء لهم صَوْلة ، فلا بُدّ وأنْ يكون لهم في الأرض جَوْلة ، وهم في جملتهم شهود عُـدول ؛ لأنَّ الله ﷻ لا يستشهِد إلا بمَنْ ثبتت عَدَالته ، كما أنَّ في هذه الآية تزكية لهم ، وأنَّ ما سواهم من البشر تبعٌ لهم .

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – : " وفي ضمن هذه الشّهادة الإلهية : الثناء على أهل العلم الشاهدين بها وتعديلهم ، فإنه سبحانه قرن شـهادتهم بشـهادته وشـهادة ملائكته ، واستشهد بهم جل وعلا على أجلّ مشهود به ، وجعلهم حُجة على منْ أنكر هذه الشّهادة ، كما يحتج بالبينة على منْ أنكر الحق ، فالحجة قامت بالرسل على الخلق ، وهؤلاء نُوَّاب الرسل وخلفائهم في إقامة حجج الله على العباد " (١) .

وقال الإمام القرطبي – رحمه الله تعالى – : " في هذه الآية دليلٌ على فضـل العلـم وشرف العلماء وفضلهم ، فإنه لو كان أحدٌ أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمـه ، واسـم ملائكته ، كما قرن اسم العلماء " (٢) .

كما قال العلامة عبد الرحمن السَّعدي – رحمه الله تعالى – : " هذه أجلُّ الشّهادات الصّادرة من الملك العظيم ومن الملائكة وأهل العلم على أجلّ مشهود وهو توحيد الله وقيامه بالقسط...وفي هذه الآية فضيلة العلم والعلماء ، لأنَّ الله تعالى خَصّهم بالـذكر مـنْ دون البشر ، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته وفي ضمن ذلك تعديلهم ، وأنَّ الخلق تبع لهم ، وأنهم هم الأئمة المتبوعون ، وفي هذا من الفضل والشرف وعُلوّ المكانة ما لا يقـادر قدره " (٣) .

إنَّ هذه الآية المشرقة وتلك الأقوال السّاطعة لَتُبين للعالم أَجْمع أنَّ هذا الدين هو دين العلم ، ولا أدلّ على ذلك من اقتران شهادة أهل العلم بشهادة ربهم العليم بعـد شـهادة ملائكته الكرام ، إنَّ هذا الدين حقاً ؛ هو الدين الوحيد الذي يتمتع في ظلّه أهـل العلـم

---

(١) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ، الدمام ، دار ابن الجوزي ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م ، تحقيق : يُسري السّيد محمد ، ج١ ، ص ٤٧٧ – ٤٧٨ .

(٢) القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، دار الشعب ، ط ٢ ، ١٣٧٢هـ ، تحقيق : أحمد عبدالعليم البردوني ، ج٤ ، ص٤١ .

(٣) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ١٠٣.

بالوقار والاحترام ، في حين جُوبه أهل العلم من النصارى بالعداوة الشرسة مِنْ رُهْبان الكنائس الذين أحسُّوا بأنَّ صيت أهل العلم سيسحب منْ تحت أقدامهم بساط الشّهرة ، فواجهوا العلماء بالتهديد والتحذير تارةً ، وبالتنكيل والتعذيب تارةً أُخرى ، حتى يمنعوا سيل الاكتشافات العلمية آنذاك ، إلا أنَّ التوجّهات العلمانية في البلدان الغربية استطاعت تهميش دور الكنيسة وتقديس العلماء مهما كان تخصصهم ، حتى تم فصل الدين عن العلم .

وعلى الضدّ منْ ذلك ، فقد حصل أهل العلم في الإسلام على مكانة عالية منْ لَدُن ربّ البريات ، ومنْ منطلق شرعي لا دنيوي ، فتمتع العلماء بمنزلتهم السَّامية عند أهل السَّماء وأهل الأرض .

إنَّ في ثنايا هذه الشّهادة والتزكية لأهل العلم ، تزكية لعلمهم النافع الذي دلّهم على الاعتراف بوحدانية الله تعالى واستحقاقه للعبادة دون ما سواه ، فهي تدعو إلى طرق أبواب العلم النافع ، الذي يعود نفعه على حامله بالدرجة الأولى ، سواءً كان ذلك العلم منْ علوم الدين أم منْ علوم الدنيا .

كما أنه وفي الوقت نفسه كانت شهادةً لأهل العلم منْ حيث كونهم عاملين بذلك العلم الذي تعلّموه ، فلو لم ينتفعوا بعلمهم في ميدان العبادة ، منْ حيث إفراد الله تعالى بالعبادة ، وتطبيقهم لعلمهم في نواحي حياتهم المختلفة ، لَمَا كانوا أهلاً للاستشهاد بهم في أمرٍ لا يفعلونه ، والله تعالى يبغض المخالفة بين القول والفعل ، كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [سورة الصف : الآيتين ٢ – ٣] .

الدليل الثاني : استشهاد الرسول ﷺ بأهل العلم على صدق نبوته : كما قال الله ﷻ : ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [سورة الرعد : الآية ٤٣].

قال الشيخ عبد الرحمن السَّعدي – رحمه الله تعالى – في هذه الآية : " ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ ﴾ أي : يكذبونك ويكذبون ما أُرسلت به ﴿ قُلۡ ﴾ لهم إنْ طلبوا على ذلك شهيداً : ﴿ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ وشهادته بقوله وفعله

وإقراره... ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهذا شامل لكل علماء أهل الكتابين ، فإنهم يشهد منهم للرسول – ﷺ – منْ آمن واتبع الحق ، فصرح بتلك الشّهادة التي عليه ، ومنْ كتم ذلك فإخبار الله عنه أنَّ عنده شهادة أبْلغ منْ خبره ، ولو لم يكنْ عنده شهادة لرد استشهاده بالبرهان ، فسكوته يدل على أنَّ عنده شهادة مكتومة ، وإنما أمر الله باستشهاد أهل الكتاب؛ لأنهم أهل هذا الشأن ، وكلّ أمر إنما يُستشهد فيه أهله ، ومنْ هم أعلم به منْ غيرهم ، بخلاف منْ هو أجنبي عنه ؛ كالأميين منْ مشركي العرب وغيرهم ، فلا فائدة في استشهادهم ، لعدم خبرتهم ومعرفتهم " [1] .

لقد أبْرزت هذه الآية الكريمة فوائد جليلة ، ومنافع جَمَّة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر أخذ الشّهادة – والمشورة – منْ أهل العلم المعتبرين ، وممن اشتُهِر صَلاحُه وظهرت عَدَالتُه ، وتجنُّب أهل الفسق في ذلك ، لأنهم لا يُؤمن منهم الكذب والخيانة ، وكذلك البعد عن استشهاد – أو استشارة – جَهَلة الناس الذين لا علم لهم بحقائق الأمور ، والذين قد تكون شهادتهم مُغايرة لما عليه الأمر في الواقع .

ومنْ فوائد هذه الآية الكريمة أيضاً ؛ دمغ الخصم مباشرة في حالة تعنته في قبول الحق بشهادة أعلى وأقوى الشّهود وهو الله الغفور الودود ، ففي هذه الآية الكريمة قدَّم تبارك وتعالى شهادته على شهادة أولي العلم ، لأنها أبلغ وأقوى ، وأزجر وأردع ، وهكذا دائماً ينبغي على أهل العلم انتقاء أفضل السُّبل وأنجع الطرق وأقوى الوسائل ، الكفيلة بإخماد نار الفتنة التي أثارها أعداء الخارج وعملاء الدّاخل .

كما تضمَّنت هذه الآية الكريمة مضموناً تربوياً رائعاً ؛ ألا وهو عدم السَّماح للدّعوات الهدّامة والأفكار المنحرفة بالانتشار في المجتمع ، وسرعة الوقوف في وجهها صفاً واحداً ، ونهوض أهل العلم للتصدي لها ، لأنهم همُ الذين يملكون من المقدرات العلمية ما يُفندون به شُبه المنحرفين وضلالات الضآلين .

الدليل الثالث : أنَّ الله ﷻ لم يسوِّ العلماء – منْ هذه الأمة – بمنْ دونهم من المؤمنين غير أُولي العلم ، فكيف بغير المؤمنين ! الذين هم في أخفض المنازل وأسفل الدّركات ، حيث قال ﷻ : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة المجادلة :الآية ١١].

---

(١) نفس المرجع ، ص ٣٧٥ (باختصار) .

فالعلماء المؤمنون في مرتبة رفيعة على غير ذوي العلم من المؤمنين ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ للعلماء من المكانة الشّرعية والمنـزلة الدينية بين الخلق ما ليس لِسَواهم ، فقد رفع الله تعالى العلماء الصّادقين على منْ دونهم من المؤمنين ، كما رفع المؤمنين منْ هذه الأمّة على منْ بايَنَهم في الملة .

قال الطبري – رحمه الله تعالى – في معنى هذه الآية : "ويرفع الله الذين أُوتوا العلم منْ أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يُؤتوا العلم بفضل علمهم ، درجاتٍ إذا عملوا بما أُمِرُوا به " (١) .

وقال الشوكاني – رحمه الله تعالى – : " معنى الآية : أنه يرفع الذين آمنوا على منْ لم يؤمن درجات ، ويرفع الذين أُوتوا العلم على الذين آمنوا درجات ، فمَنْ جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات ، ثم رفعه بعلمه درجات ، وقيل : المراد بالذين آمنوا من الصحابة ، وكذلك الذين أُوتوا العلم ، وقيل : المراد بالذين أُوتوا العلم : الذين قرؤوا القرآن، والأوْلَى حمل الآية على العموم في كلّ مؤمن ، وكلّ صاحب علم منْ علوم الدين منْ جميع أهل هذه المِلة ، ولا دليل يدل على تخصيص الآية بالبعض دون البعض ، وفي هذه الآية فضيلة عظيمة للعلم وأهله " (٢) .

وحيث أنَّ الآية السَّابقة وضَّحت مكانة العلماء بين سائر الأمة من المؤمنين ، فكذلك بيَّنت آيات العلم مرتبة العلماء بين الناس عامةً ، سواءً كانوا منْ أهل القبلة أم منْ غير أهل المِلّة ؛ حيث قال تعالى عنْ نبيه يوسف – عليه السلام – والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب – : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة يوسف : الآية٧٦] .

قال الإمام ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – : " المعنى : نرفع الدّرجات بصنوف العطاء ، وأنواع الكرامات ، وأبواب العلوم ، وقهر الهوى ، والتوفيق للهدى ، كما رفعنا يوسف – عليه السلام – ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ أي : فوق كلّ ذي علم رفعه الله بالعلم مَنْ هو أعلم منه ، حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى ، والكمال في العلم معدوم من غيره ، وفي مقصود هذا الكلام ثلاثة أقوال :

---

(١) الطبري ، مرجع سابق ، ج ٢٨ ، ص ١٩.

(٢) الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، بيروت ، دار الفكر ، د.ت ، ج٥، ص ١٨٩ .

أحدها : أنّ المعنى : يوسف أعلم منْ إخوته ، وفوقه منْ هو أعلم منه .
والثاني : أنه نبَّه على تعظيم العلم ، وبيَّن أنه أكثر منْ أنْ يُحاط به .
والثالث : أنه تعليم للعالم التواضع لئلا يُعجب " (١) .

وقال العلامة عبد الرحمن السَّعدي – رحمه الله تعالى – :"﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ بالعلم النافع ، ومعرفة الطُرق الموصلة إلى مقصدها ، كما رفعنا درجات يوسف ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ فكلُّ عالم فوقه منْ هو أعلم منه ، حتى ينتهي العلم إلى عالم الغيب والشّهادة " (٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – مُبيناً سبب رفع العلماء إلى تلك المنازل العالية والمشار إليها في الآيتين السَّابقتين : " أخبر أنهم همُ الذين يرون ما أُنزل إلى الرسول – ﷺ – هو الحق بقوله تعالى : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ [سورة سبأ : الآية٦] ، فدلَّ على أنَّ تعلّم الحجة والقيام بها يرفع درجات منْ يرفعها ، كما قال تعالى ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ [سورة يوسف : الآية ٧٦] " (٣) .

فكفى العالم شرفاً وفخراً أنْ يكون بعلمه القاصر المحدود على طريقٍ ينتهي فيه العلم إلى عالم الغيب والشّهادة بعلمه المطلق اللامحدود ، فالعلم النافع همزة وصل بين العالِم الأدنى والعالِم الأعلى ، كما أنَّ العلم يُعتبر بمثابة العُرى التي يُوثق بها الشيء ، فالعلم عُرى الإيمان ؛ فهو الذي يزيد الإيمان بزيادته– إنْ كان علماً نافعاً – ويقوى بقوته ، وهو الذي يُدعم الإيمان ويثبته في نفس العالم بوشائج اليقين والمعرفة التي توصل إليها من خلال بحثه المضني عبر سنوات طِوال .

ومن الجواهر التربوية لهذه الآية الكريمة زرع التواضع في نفس العالم المؤمن ، لأنه يُدرك تمام الإدراك بأنَّ هنالك منْ هو أعلى منه منزلة وأغزر علماً ؛ فلا داعيَ إذاً للاغترار بما لديه من العلم صنفاً كان أو أكثر منْ فنون العلم ، بل إنّ عليه خفض الجناح لطلبة العلم

---

(١) ابن الجوزي ، مرجع سابق ، ١٤٠٤ هـ ، ج ٤ ، ص ٢٦٢ .

(٢) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٣٥٨ .

(٣) ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم ، التفسير الكبير ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م ، تحقيق : عبدالرحمن عميرة ، ج ٦ ، ص ٦٩ .

وتليين جانبه لسائليه ، كلٌ بحسب حاله ، ولْيكن له منْ رسول الله ﷺ القدوة الحسنة ، والذي ورد عنه أنه قطع خطبته ونزل مِنْ على منبره منْ أجل أنْ يُفقّه سائلاً يبحث عنْ العلم منْ ينابيعه الصّافية ومنْ مصدره الأصيل ، وذلك كما روى الإمام مسلم في صحيحه عنْ أبي رفاعة ﷺ قال : " انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب ، قال : فقلت ثَمَّ يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عنْ دينه ، لا يدري ما دينه ، قال : فأقبل عليَّ رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إليَّ ، فأتى بكرسي حسبت قوائمه حديداً ، قال : فقعد عليه رسول الله ﷺ ، وجعل يُعلّمني مما علّمه الله ، ثم أتى خطبته فأتمَّ آخرها " (١) .

الدليل الرابع : أنَّ أهل العِلم جديرون بالاصْطفاء والاختيار على غيرهم : قال الله تعالى مُخبراً عن سبب تفضيله لآدم عليه السلام على الملائكة الكرام : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [سورة البقرة : الآيات ٣١ – ٣٣] .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى – : " هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه منْ علم أسماء كل شيء دونهم...ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم فقال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾...قال الضحاك عن ابن عباس ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ قال : هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس : إنسان ودواب وسماء وأرض وسهل وبحر وخيل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها...فدل هذا على أنه علمه أسماء جميع المخلوقات...ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة : ﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾...وأوْلى الأقوال في ذلك تأْويل ابن عباس ومنْ قال بقوله ، ومعنى ذلك : فقال : أنبئوني بأسماء منْ عرضته عليكم أيها الملائكة ، القائلون أتجعل فيها منْ يفسد فيها ويسفك الدماء منْ غيرنا ، أم منا فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في قيلكم :

---

(١) النيسابوري ، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د.ت ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، كتاب (الجمعة) ، باب (حديث التعليم في الخطبة) ، ج٢ ، حديث رقم (٨٧٦) ، ص ٥٩٧ .

إني إنْ جعلت خليفتي في الأرض منْ غيركم عصاني وذريته ، وأفسدوا وسَفَكوا الـدماء ، وإنْ جعلتكم فيها أطعتموني واتبعتم أمري بالتعظيم لي والتقديس ، فإذا كنـتم لا تعلمـون أسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم وأنت تشاهدونهم فأنتم بما هو غير موجود مـن الأمـور الكائنة التي لم توجد أحرى أنْ تكونوا غير عـالمين ، ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ هذا تقديس وتنـزيه من الملائكة لله تعالى...قوله تعالى:﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال زيد بن أسلم : قال أنت جبرائيل ، أنت ميكائيل ، أنت إسـرافيل ، حتى عدّد الأسماء كلها حتى بلغ الغراب...فلما ظهر فضل آدم عليه السلام على الملائكة علـيهم السَّلام في سرده ما علّمه الله تعالى منْ أسماء الأشياء ، قال الله تعالى للملائكـة : ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أي : ألم أتقدم إليكم أني أعلم الغيب الظاهر والخفي " [1] .

وكما أنَّ العلم كان سبباً في اصطفاء آدم عليه السلام على الملائكة الكرام ، فكذلك كان العلم سبباً في اختيار الله تعالى لأحد بني إسرائيل ليكون ملكاً عليهم ، وذلك حينما طلبوا منْ نبيهم عليه السلام أنْ يُعيِّن لهم ملكاً يرأسهم في معركتهم ضد عدوٍّ لهم ، فقال لهم نبيهم عليه السلام جواباً على طلبهم : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٤٧] .

قال الإمام القرطبي – رحمه الله تعـالى – : " ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾ ، أي : اختاره ، وهو الحجة القاطعة ، وبيَّن لهم مع ذلك تعليل اصْطفاء طالوت ؛ وهو بسـطته في العلم الذي هو مَلاك الإنسان ، والجسم الذي هو مَعينه في الحرب ، وعدّته عنـد اللقـاء ، فتضمّنت بيان صفة الإمام وأحوال الإمامة ، وأنها مُستَحقة بالعلم والدين والقوة لا بالنسب،

---

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ١٤٠١ هـ ، ج ١ ، ص ٧٣ – ٧٥ (باختصار) .

فلا حَظَّ للنسب فيها مع العلم وفضائل النفس ، وأنها متقدمة عليه ؛ لأنَّ الله تعالى أخبر أنه اختاره عليهم لعلمه وقوته ، وإنْ كانوا أشرف منتسباً...قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل وأجمله وأتمه " [1] .

إنّ أهل العلم هم أجْدر الناس بأنْ يصطفيهم ذوي السّلطان ، وذلك لفضلهم وعلمهم ، واستحقاق أهل العلم بهذا الاصطفاء لم يأتِ منْ فراغ ، وإنما لأجل كونهم أهلٌ لذلك وأقدر على القيام بما يُوكل إليهم منْ مهام على أكمل وجْه ، ومما يُؤكد ذلك قول يوسف عليه السلام لملك مصر آنذاك : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة يوسف : الآية ٥٥] ، ففي هذه الآية الكريمة إشارة لطيفة إلى أنَّ أهل المناصب لابدّ أنْ يتحلّوا بخُلقَي الأمانة والعلم ، ومعنى ذلك أنَّ منْ لم يتصف بهذين الخُلُقَين فليس خليقاً لأنْ يتولى مسؤولية كبيرة كانت أم صغيرة .

وأُولوا العلم كذلك – كما قرّر القرطبي – أهلٌ لإمامة الناس وقيادتهم ، وذلك لما يتميزون به من الحِنكة والدراية بما يُصلح العباد والبلاد ، والتاريخ شاهدُ عيانٍ على ذلك ، فإنه ما منْ أمة مرَّت في غابر التاريخ أو حديثه اختارت أهل العلم وخيار القوم فيها لتولي زمام القيادة ؛ إلا وحصل لها من التقدم والرقي الشيء العظيم ، وعكسه في ميزان الواقع صحيح ، فإنّ الأمة حينما تولى القيادة فيها جَهَلة الناس ، تَوَالت عليها النكَبَات تِلْو النكَبَات، وذلك نتيجة حتمية للترنح الذي أصاب الأمة ، والنّاجم عنْ قيادة أمثال هؤلاء ، والسَّبب الرئيس في ذلك افتقارهم الشّديد للعلم ، وجهلهم بأبسط الأحكام والمسائل فضلاً عمّا سوى ذلك من الأمور التي تحتاج متضلعاً ومتبحراً في العلم ، حتى يَزِن الحوادث المختلفة والنوازل المتنوعة بميزان الشرع الحكيم .

الدليل الخامس : الإشادة بالعالم : لقد جاءت الإشادة بالعالم في آيات العلم تأكيداً بأنَّ الإسلام دين علم وإيمان ، لا دين آخرةٍ دون أولى ، ولا دين إيمان دون علم ، ولا دين روح دون جسد ، بلْ جاءت هذه الإشادة لتقرر حقيقة فَحْواها أنَّ هذا الدين ، جاء بالتكامل والانسجام بين الدنيا والآخرة ، وبين العلم والإيمان ، وبين الجسد والروح ، منْ غير أنْ يطغى جانب على آخر .

---

(١) القرطبي ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٢٤٦ (باختصار) .

لقد جاءت الإشادة بالعالم في آيات العلم متمثلة في مَظْهرَيْن منْ مظاهر التكـريم ، جاء أُولاهما لِيُشيد بعلم العالم ، وجاء الثاني ليشيد بإيمانه ، لِيُبرهن على ترابط العلم بالإيمان، وأنه لا انفصام بينهما ، ومنْ حاول فصل أحدهما عن الآخر ، فمثله كمثل الذي يسعى إلى إزالة ضوء الشمس بيده ، إنَّ انسلاخ العلم عن الإيمان إنما هو في حقيقة الأمر إيذانٌ بقرب أجل الحياة السّعيدة ، لأنَّ الحياة لا تستقيم إلا بترابطهما جنباً إلى جنب،وفيما يلي بيان ذلك مقروناً بآيات العلم التي تحدثت عنْ هذين المظهرين من مظاهر التكريم والإشادة بالعالم :

المظهر الأول : الإشادة بالعالم العامل بعلمه ، ويظهر ذلك جلياً في قوله تعالى عنْ نبيه يعقوب عليه السلام الذي عَلِم بخطورة الحسد على الإنسان ، وأيْقن مع ذلك أنَّ ضرر العين مُرتبطٌ وقوعه بمشيئة الله عز وجل ، ولذلك نَصَح أبنائه حين الدخول على أخيهم يوسف عليه السلام – قبل معرفته – بأنْ يدخل كلّ واحد منهم منْ باب ، خشية أنْ يُصابوا بالعين ، وحثّهم على التوكل على الله عز وجل والتعلق به ، لأنه القادر على أنْ يحفظهم من العين ، فقال تعالى مُخبراً عنْ هذا الأمر : ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٖ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف: الآيتين٦٧-٦٨] .

قال الإمام ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآية : " قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٖ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ فيه سبعة أقوال : أحدها : إنه حافظ لما علّمناه ، قاله أبو صالح عن ابن عباس .

والثاني : وإنه لذو علم أنَّ دخلوهم منْ أبواب متفرقة لا يغني عنهم من الله شـيئاً ، قالـه الضحاك عن ابن عباس .

والثالث : وإنه لعامل بما علم ، قاله قتادة وقال ابن الأنباري : سمي العمل علماً لأنَّ العلـم أوّل أسباب العمل .

والرابع : وإنه لمتيقن لوعدنا ، قاله الضحاك .

والخامس : وإنه لحافظ لوصيتنا ، قاله ابن السّائب .

والسّادس : وإنه لعالم بما علمناه أنه لا يصيب بنيه إلا ما قضاه الله ، قاله مقاتل .

والسّابع : وإنه لذو علم لتعليمنا إياه ، قاله الفراء . " [1] .

إنَّ هذه الشّهادة الربَّانية ليعقوب عليه السلام لهي مصدر فخرٍ واعتزاز له ، إذْ نال هذه الشّهادة العلمية ممنْ يُرجع إليه العلم كلُّه ، وهو الله العالم والعليم والعلام ، ليبقى ذكره خالداً خُلود التاريخ ، وباقياً بقاء القرآن الكريم في الصّدور والسّطور ، وليعلم أهل الأرض قاطبةً أنَّ الإسلام دين علم وعمل ، دينٌ يلتقي فيه التنظير والتطبيق على طريق واحد ، لا يفترقان ولا يتناقضان .

إنَّ تكريم العالم منْ قِبَل منْ هو أعلى منه علماً أو سُلطاناً ، والإشادة به في مختلف المحافل ، يُعدّ حافزاً معنوياً ودافعاً قوياً لِيُواصل العالم مسيرته العلمية ، ويزداد نشاطه العلمي المقترن بالتطبيق العملي ، وفي ذلك تشجيع لنظرائه العلماء ، حتى يَسْعوا سَعْيه ، ويُصدّقوا أقوالهم بفِعالهم ،ويُوازنوا بين العلم والعمل ،وتكون أعمالهم صورةً طِبْق الأصل منْ أقوالهم .

لا شك أنَّ في هذه الإشادة تنويهٌ بعظم العمل الذي أنجزه العالم ، والذي حصل على ضوءه على هذه المكرمة الإلهية ، حتى يَلْفت الأنظار تجاهه ، ويُوجه العلماء العاملين لِيحْذو حَذْوه ، ويترسَّموا خُطاه منْ بعده على طريق العلم .

إننا نستطيع وبناءً على هذه الآية الكريمة أنَّ نُرسّخ مفهوم التوكل على الله تعالى في نفوس الناشئة ، مع الأخذ بعين الاعتبار العمل بالأسباب ، دون الاعتماد عليها ، كما فعل ذلك نبي الله يعقوب عليه السلام مع أبنائه ، حيث أنَّ التوكل على الله تعالى منْ ركائز هذا الدين، ومنْ أهم الأسباب الجالبة للرزق – بإذن الله تعالى – كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً " [2] .

إنَّ منْ أهم مظاهر التوكل على الله تعالى أنْ يستخدم الإنسان علْمه في مختلف تصرفاته اليومية ، فهو يطلب الرزق بما آتاه الله تعالى من العلم – دون أنْ تكون نيته في طلب العلم الحصول على الدنيا – ويتوخّى الوقوع في الضرر لعلمه أنَّ عملاً ما يترتب على

---

(١) ابن الجوزي ، مرجع سابق ، ١٤٠٤ هـ ، ج ٤ ، ص ٢٥٤ .

(٢) الترمذي ، مرجع سابق ، كتاب (الزهد عن رسول الله ﷺ) ، باب (في التوكل على الله) ، ج ٤ ، حديث رقم (٢٣٤٤)، ص ٥٧٣ ، وقال الترمذي حسن صحيح .

فعله ضرر ، ويجعل علمه وسيلة لنيل مرضاة الله ﷻ بتسخيره في خدمة مجتمعه ، للنهوض بمستوى أمته علمياً واقتصادياً واجتماعياً...الخ .

المظهر الثاني : الإشادة بالعالم الذي قادَه علمُه إلى الإيمان بالله ﷻ ، ودلّه على دلائل قدرة الله تعالى في آياته ومخلوقاته ، فزاده رسوخ العلم رسوخاً في الإيمان ، فكان جديراً أنْ يُكرمه الله تعالى بذكر هذه المنقبة منه في كتابه العزيز ، فقال جلّ منْ قائل مُخبراً عنْ حال الراسخين في العلم ؛ الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه من كتابه ﷻ ، في حين تتبع زائغوا القلوب المتشابه منه ، ليثيروا الشُّبه ويشككوا في القرآن الكريم : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ٧] .

قال الإمام السّعدي – رحمه الله تعالى – : " يخبر تعالى عنْ عظمته وكمال قيُّوميته ، أنه هو الذي تفرد بإنزال هذا الكتاب العظيم...وأنّ هذا الكتاب يحتوي على المحكم الواضح المعاني البيّن الذي لا يشتبه بغيره ، ومنه آيات متشابهات تحتمل بعض المعاني ، ولا يتعين منها واحد من الاحتمالين بمجردها ، حتى تُضم إلى المحكم ، فالذين في قلوبهم مرض وزيغ وانحراف لسوء قصدهم ، يتبعون المتشابه منه ، فيستدلّون به على مقالاتهم الباطلة وآرائهم الزائفة طلباً للفتنة وتحريفاً لكتابه...وأمّا أهل العلم الراسخون فيه ، الذين وصل العلم واليقين إلى أفئدتهم ، فأثمر لهم العمل والمعارف ، فيعلمون أنّ القرآن كلّه منْ عند الله ، وأنه كلّه حق...ويقولون : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ ﴾ للأمور النافعة والعلوم الصّائبة ﴿ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ أي : أهل العقول الرزينة " [1] .

إنّ منْ أعظم المضامين التربوية في هذه الآية الكريمة أنّ العلم الحقّ هو ذلك العلم الذي يأْخذ بصاحبه إلى ضفاف شاطئ الإيمان ، ويُنقذه منْ خطر الغرق في بحار الأهواء ، ويزيده ثباتاً وعُمقاً في الإيمان ، كلما ازدادت درجته وارتفعت نسبته في المخزون العلمي لحامله .

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ١٠١ – ١٠٢ (باختصار) .

إنَّ منْ أبرز السّمات لرسوخ الإيمان أنْ يسبقه رسوخٌ في العلم ، فالعلماء الربّانيون الراسخون في العلم هم أكثر الأمة رسوخاً في الإيمان ، وهم أعمقُ معرفةً بالله ﷻ وبحدوده، وهم كذلك أشد الأمة خشيةً لله تعالى ، كما قال ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [سورة فاطر : الآية ٢٨] .

ومن الفوائد التربوية في هذه الآية الكريمة أنَّ الإيمان بالحقائق التي ثبتت صحتها بالدلائل القاطعة يجب أنْ يُرافقه تمسكٌ بها ، وأنْ يُوازيه عملٌ بمبادئها ، وذَوْدٌ عنْ حِياضها، مهما صدّ عنها الصّادُّون ، وزمجر ضدها المزمجرون ، وألا يُترك المجال مفسوحاً للآخر ، دون تبيان زيفه ، وإظهار بطلان مبدأه .

ومن المضامين التربوية لهذه الآية الكريمة كذلك أنَّ تتبع الأهواء منْ علامات مرض القلوب ، وأنَّ التمسك بما قد يُثير الفتنة بين الناس دليل صريح على ما تنطوي عليه تلك العقلية منْ مكر ودهاء وخُبثٍ ؛ قد استُخدم في غير محله ، لأجل حظوظ ذاتية ، وأغراض شخصية ؛ الهدف منْ ورائها الحصول على الشّهرة ، بعد أنْ كانت أشخاصهم قابعة في مُؤخرة المجتمع ، وأقلامهم مغمورة لا ذكر لها ، فخالفوا إجماع الأمة بآراء شاذة لا مُستند لها من الصّحة ، بغرض دحض الحق ، وإشاعة الباطل ، وإثارة البلبلة بين أفراد الصّف الواحد .

إنَّ الإيمان ركيزة أساسية منْ ركائز التربية الإسلامية ، والتي تعتمد في مجملها على أركانٍ أربعة نُوجزها في الآتي :

١- " الإيمان القوي الراسخ بالله ورسله وملائكته وبالجنة والنار والبعث والنشور .

٢- الأخلاق الطيبة الكريمة .

٣- العلم بمعناه الشّامل لعُلوم الدنيا وعلوم الدين معاً .

٤- العمل الصّالح للدنيا والآخرة في وقت واحد ، لأنَّ الإسلام دينٌ ودولة ، روحٌ وجسد ، دنيا وآخرة " (١) .

---

(١) رابح ، تركي ، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨٢م، ص ٢٣ .

وفي آية كريمة أُخرى يُبين المولى تبارك وتعالى الموقف الإيماني الذي تجلّى فيه الأثر الإيجابي للرسوخ في العلم على أهله ، حيث ذكر الله تعالى حال الكثير منْ أهل الكتاب المقيمين على الكفر والجحود برسالة النبي محمد ﷺ ، ثم أوضح بعد ذلك حال فئة ساقَها عِلْمُها الراسخ إلى الإيمان بما جاء منْ عند الله تعالى والتصديق بالنبي ﷺ ، وهم ثُلَّة خيّرة منْ علماء أهل الكتاب ، حيث قال تعالى حاكياً عنْ موقفهم العلمي الإيماني : ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء : الآية ١٦٢] .

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى – : " ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ أي : الثابتون في الدين ؛ لهم قدم راسخة في العلم النافع... ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ عطف على الراسخين وخبره :﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ ﴾ قال ابن عباس : أُنزلت في عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيه وأسد بن سعيه وأسد بن عبيد ، الذين دخلوا في الإسلام وصدقوا بما أرسل الله به محمداً ﷺ ، وقوله : ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ ﴾...أي : يعترفون بوجوبها وكتابتها عليهم...وقوله : ﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ يحتمل أنْ يكون المراد زكاة الأموال ، ويحتمل زكاة النفوس ، ويحتمل الأمرين والله أعلم ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ أي : يُصدقون بأنه لا إله إلا الله ، ويُؤمنون بالبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرها وشرها ، وقوله ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ هو الخبر عمّا تقدم ﴿ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ يعني : الجنة " (١) .

إنّ هذا الموقف الإيماني الرّائع الذي وقفه طائفة من العلماء الصّادقين ، مُؤيدين بموقفهم هذا صدق النبي الكريم ﷺ ، ومخالفين أكثر علماء قومهم ، الذين لم يرسخ العلم في أفئدتهم ، بلِ استخدموه مطيّة للحصول على متاع الدنيا الزائف الزائل ، فحُرِموا بسبب ذلك لذة الإيمان والتصديق بالرسول الخاتم ﷺ ، إنّ هذا الموقف العظيم لَيدل دلالةً واضحةً على فضل الرسوخ في العلم ، وما ينْجم عنه منْ قوةٍ في الإيمان ، لا يقوى أحد على الصّمود أمامها ، ولا يستطيع مُجابهتا إلا بالتسليم والإذعان للحق .

---

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ١٤٠١ هـ ، ج ١ ، ص ٥٨٥ – ٥٨٦ (باختصار) .

إنَّ " الإيمان هو وسيلة اتصال العبد بربه ، ومصدر إشراق روحه وطمأنينة نفسه ، وسعادة قلبه وهدوء بَالِه ، واطمئنانه إلى مصيره ، وهي أمور إنْ خَلَت منها حياتُه ، فضلاً عنْ منهجية لتربيته ، أَتَت حياته وتربيته فارغة جوفاء ، لا فائدة منها " (١) .

لقد كان لهذه الإشادة القرآنية بإيمان العلماء الراسخين في العلم أبْلغ الأثر ، حيث أنَّ العلم الراسخ وقرينُه الإيمان ، إذا اجتمعا في قلب امرئٍ ، جعلا منه معقلاً منْ معاقل الدين ، وحصناً حصيناً يلوذ به من دونهم في العلم والإيمان .

إنَّ الإيمان إذا خالطت حلاوته بشاشة القلوب ، وزاده العلم رسوخاً في سُويْداء الأفئدة ،فتوقع منْ صاحبه أنْ يكون سبَّاقاً للخيرات ، فعَّالاً للمأْمورات ،مجتنباً عن المنهيات .

إنَّ نظرةَ تأمُّلٍ بعينٍ متدبِّرةٍ في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ تُلْهم القارئ مضموناً تربوياً مهماً ورائعاً في ذات الوقت ، يتمثل ذلك في عدم الاكتفاء بالنَّـزْر اليسير من العلم ، أو الوقوف على ظاهره دون التعمق فيه ، بلْ يجب على أُولي العلم الغوص في بحور العلم المتنوعة ، والتنقيب عنْ لآلِئِه العلمية المختلفة ، والنهل منْ معينه العذْب ، حتى يتم لهم الرسوخ في العلم ، والذي يترتب عليه رسوخهم في الإيمان بالله ﷻ ، وبكلّ ما أوجب عليهم أنْ يؤمنوا به .

وهذه إشادة أُخرى من الملك العلام لأولي العلم بصدق الإيمان ، وثبوت مواقفهم في الشدائد ، فقد وجّه الله تعالى خطابه هذه المرة للمشركين المعاندين لدعوة الإسلام ، وقال لهم : ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴾ [سورة الإسراء : الآيات ١٠٧ - ١٠٩] .

قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - : " قوله تعالى ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ﴾ يعني : القرآن ، وهذا من الله ﷻ على وجه التبكيت لهم والتهديد لا على وجه التخيير ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾ أي : منْ قبل نزول القرآن وخروج النبي ﷺ ، وهم مُؤمنو أهل

---

(١) النجار ، زغلول راغب ، أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية ، الرياض ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، رسائل إسلامية المعرفة (٦) ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م ، ص ١٥٨-١٥٩.

الكتاب في قول ابن جريج وغيره... ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني القرآن...قيل : كانوا إذا تلوا كتابهم وما أنزل عليه من القرآن خشعوا وسجدوا وسبحوا وقالوا :هذا هو المذكور في التوراة،وهذه صفته ووعد الله به واقع لا محالة ،وجنحوا إلى الإسلام فنزلت الآية فيهم"(١).

إنَّ العلم " يتبعه الإيمان تبعية ترتيب بلا تعقيب ، ليعلموا فيؤمنوا ، والإيمان تتبعه حركة القلوب من الإخبات والخشوع لله تعالى ، وهكذا يثمر العلم الإيمان ، ويثمر الإيمان الإخبات والتواضع لله رب العالمين...إنَّ العلم الحق هو الذي يهدي إلى الإيمان ، والإيمان الحق هو الذي يفسح مجالاً للعلم ، فهما إذاً شريكان متفاهمان ، بلْ أَخوَان متعاونان ، وهذا العلم الذي يُريده الإسلام أياً كان موضوعه ، ومجال بحثه ، يُريده علماً في ظلّ الإيمان ، وفي خدمة مُثُله العلياً " (٢).

ضوابطٌ شرعية لمنزلة العلماء الدينية :

بما أنه قد تقرر للعلماء مكانة مميزة في الإسلام منْ منظور شرعي ، فإنه يجدر بنا أنْ نشير هنا إلى ضوابط هذه المنزلة ، حتى لا يتم استغلالها في غير ما شُرعت له ، وذلك في ضوء العناصر التالية :

الضابط الأول : العلماء هم الموقّعون عن ربِّ العالمين ، وهم الناشرون لهذا الدين في كلّ عصر ومِصر ، وبناءً على ذلك فقد تقرر لهم اعتبارٌ ورِفعة في مكانتهم بين الناس من ناحية شرعية ، إلا أنه ينبغي أنْ يُعلم أنَّ ذلك الاعتبار ناشئٌ عنْ مرجعيتهم الدينية وعمَّا استُودِع في أوْعيتهم العقلية منْ شرع الله الحكيم ، فلا يعني ذلك البتة تعظيم ذَوَاتهم وتقديس أشخاصهم ، فإنَّ فاعل ذلك حينئذ يصبح فيه شبهٌ ببني إسرائيل الذين نهى القرآن الكريم عنْ صنيعهم مع علمائهم ، فقال ﷻ : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة : الآية ٣١] .

وروى الترمذي بسنده عنْ عدي بن حاتم - ﷺ - قال : أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب منْ ذهب ، فقال : "يا عدي ! اطرح عنك هذا الوثن ، وسمعته يقرأ في سورة براءة :

---

(١) القرطبي ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ٣٤٠ (باختصار) .

(٢) القرضاوي ، مرجع سابق ، ص ١٤-١٦ (باختصار) .

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ قال : أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنْ كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلّوه ، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرَّموه "[1].

قال الإمام الشاطبي – رحمه الله تعالى – : " فعلى كلِّ تقدير لا يُتَّبع أحدٌ من العلماء إلا منْ حيث هو متوجهٌ نحو الشّريعة ، قائم بحجتها ، حاكم بأحكامها جملةً وتفصيلاً ، وأنه متى وُجِد مُتوجهاً غير تلك الوِجهة في جزئية من الجزئيات أو فرع من الفروع لم يكنْ حاكماً ، ولا استقام أنْ يكون مُقتدىً به فيما حَادَ فيه عنْ صوب الشّريعة ألبتة "[2].

الضابط الثاني : أنَّ على العامَّة والخاصة بذل الاحترام والتقدير لأهل العلم ، وتجنب امتهانهم وتنقصِهم ، وذلك لأنهم حَمَلة الدين وناصروه ، فلا يمكن أنْ يقول قائل بما أنَّ العلماء ليست لهم قَدَاسة في الإسلام ؛ فلا كرامة لهم إذاً ، وهذا خطأٌ فادح وجُرمٌ شنيع ، لأنَّ ما جاء عنْ طريق الشّرع لا يمكن رفعه بأهواء الناس وآرائهم الشخصية ، وقد بينت الآيات السَّابقة ومثيلاتها عُلوّ مكانة العالم واستحقاقه للمنزلة الرفيعة في مجتمعه .

الضابط الثالث : على العالم التأنّي والتروّ عندما يصبح في موقف يكون فيه مُوقعاً عنْ ربّ العالمين ، وألا تدفعه مكانته بين الناس إلى التسرُّع في الإفتاء بدون تثبُّت ، فقد تواترت وتكاثرت الآثار المروية عن السَّلف الصَّالح الداعية إلى عدم الفُتيا بغير علمٍ ، والنهي عن التعجل في التشريع البشري دون الاعتماد على نصوصٍ من التشريع الإلهي ، ومنْ تلك الآثار ما يلي :

ما رواه ابن عبدالبر بسنده عنْ عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : " أدركتُ عشرين ومائة منْ أصحاب رسول الله ﷺ أراه قال : في المسجد ، فما كان منهم محدِّث إلا وَدَّ أنَّ أخاه كفاه الحديث ، ولا مفتٍ إلا وَدَّ أنَّ أخاه كفاه الفتيا "[3].

كما روى ابن عبد البر بسنده عنْ يحيى بن سعيد ، أنَّ بكير بن الأشج ، أخبره عنْ معاوية بن أبي عياش ، أنه كان جالساً عند عبد الله بن الزبير وعاصم بن عمر ، فجاءهم محمد بن إياس بن البكير ؛ فقال : إنَّ رجلاً منْ أهل المدينة طلّق امرأته ثلاثاً قبل أنْ يدخل

---

(١) الترمذي ، مرجع سابق ، كتاب (تفسير القرآن) ، باب (سورة التوبة) ، ج ٥ ، حديث رقم (٣٠٩٥) ، ص ٢٧٨ .

(٢) الشاطبي ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد ، الاعتصام ، الخبر ، دار ابن عفان ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م ، تحقيق : سليم الهلالي ، ج٢ ، ص ٨٦٠ .

(٣) ابن عبدالبر ، مرجع سابق ، ج٢، رقم (٢١٩٩) ، ص ١١٢٠ .

بها ؛ فماذا تريان ؟ فقال عبد الله بن الزبير : إنَّ هذا الأمر ما لنا فيه قـول ، فاذهـب إلى عبدالله بن عباس وأبي هريرة فإنِّي تركتهما عند عائشة – رضي الله عنها – زوج الـنبي ﷺ فَسَلْهُما ، ثم ائتنا فأخبرنا ، فذهب فسألهما ، فقال ابن عباس لأبي هريرة : أَفْتِه يا أبا هريرة فقد جاءتك معضلة ، فقال أبو هريرة : الواحدة تبيّنها ، والثلاث تحرِّمها حتى تنكح زوجـاً غيره " [1] .

الضابط الرابع : أنَّ الأخذ عن العلماء لا يقتصر على مجرد العلم ومسائل العلم ، بلْ يُؤخذ عنهم أيضاً الهدى الظاهر والسَّمْت الباطن ، والتطبيق العملي لما يقولون ، وهـذا لا يكون إلا بملازمتهم والجلوس إليهم .

روى الخطيب البغدادي عنْ مالك بن أنس – رحمه الله تعالى – أنه قال : " قال ابن سيرين – رحمه الله تعالى – : كانوا يتعلّمون الهدي كما يتعلّمون العلم " [2] .

الضابط الخامس : بما أنَّ العلماء بشرٌ قد تعزُبُ عنهم بعض مسائل العلم الدقيقـة ، فإنه ينبغي على منْ أحاط بتلك المسائل علماً ؛ أنْ يبذلها للعلماء نصحاً وتذكيراً ، لا فضحاً واستنقاصاً ، فيتوخى الرد عليهم في المجالس العامة وأمام الناس ، ويبحث عنْ أوقات خلوهم فيُسدي لهم علمه ، ويقدم لهم استدراكه عليهم بأسلوب مُغلف بطـابع الأدب ، ومُـبطن بالحياء الجمّ .

---

(١) نفس المرجع ، ج٢ ، رقم (٢٢٠٣) ، ص ١١٢٢ .

(٢) الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السـامع ، بـيروت ، دار الكتـب العلميـة ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، تحقيق : صلاح بن محمد بن عويضة ، ص ٩ .

المبحث الثاني : أقسام العلم :

إنَّ المتأمل في آيات العلم القرآنية يصل إلى حقيقة مفادها أنَّ العلم أجزاء وأبعاض ، فليس العلم كلٌ واحد لا يتجزأ ، أو أنَّ العلم على مستوىً واحد من المنفعة ، فهذه حقيقة لا يكاد يشك فيها أحد ، وبعد الاستعراض لآيات العلم – مناط الدراسة – توصّل الباحث إلى أنَّ العلم يتفرع إلى أجزاءٍ عِدَّة ، وهذه الفروع تتشابك أوراقها وتجتمع أغصانها تحت قسمين كبيرين ؛ وهما :

القسم الأول : أنواع العلم منْ حيث الشمول ، وهي :

النوع الأول : العلم المطلق (علم الله تعالى) .

النوع الثاني : العلم النسبي (علم البشر) .

القسم الثاني : أنواع العلم منْ حيث المحتوى ، وهي :

النوع الأول : العلم النافع .

النوع الثاني : العلم الضار .

وإليك بيان ذلك بشيءٍ من التفصيل الموجز :

القسم الأول : أنواع العلم من حيث الشمول :

أ) العلم المطلق (علم الله تعالى) :

تعدّدت الآيات الكريمة التي تشير إلى سعة علم الله تعالى ، حيث أشارت إلى أنَّ علم الله تعالى يشمل ما كان وما يكون ، وما تقدم وما تأخر ، فهو ﷻ عالمٌ الغيب والشّهادة ، وعالمٌ بالكليات والجزئيات ، عِلْمه لا حدّ له ، وَسِعَ علمُه الدنيا والآخرة والصغائر والكبائر، وما ظهر وما بطن ، وما خفيَ وما عُلِن ، فتعالى الله جلَّ وعلا العالم والعليم والعلام .

وفيما يلي نستعرض الآيات الكريمة الدَّالة على ذلك :

الآية الأولى : قال تعالى : ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [سورة الأعراف :الآية٧] .

قال الإمام الشوكاني – رحمه الله تعالى – : ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾ أي : على الرسل والمرسل إليهم ، ما وقع بينهم عند الدعوة منهم لهم ، ﴿ بِعِلْمٍ ﴾ لا بجهل ، أي : عالمين بما يسرون وما يعلنون ، وما كنا غائبين عنهم في حال من الأحوال حتى يخفى علينا شيء مما وقع بينهم "(١) .

(١) الشوكاني ، مرجع سابق ، ج٢، ص ١٨٩ .

وهكذا نجد أنَّ علم الله تعالى مطلقٌ لا حدود له ، علمٌ يَسَعُ بشموله ما يعلنه العباد وما يسرونه ، لا يخفى عليه منه شيء ، وفي ذلك تربية عظيمة لأفراد الأمة جمعاء – على مختلف أعمارهم وأعمالهم – على مراقبة الله ﷻ في السرِّ والعَلَن ، حتى يصبح عمل الإنسان الظاهر كعمله في الباطن ، وقَلْبُه كقَالَبِه ، فإنَّ المرء إذا علم أنَّ بعد عمل اليوم حساب غداً ، فإنه بالتأكيد سوف يحسن أداء عمله اليوم ، حتى يكون حسابه غداً يسيراً لا عسيراً .

ولذلك ينبغي على القائمين على دُور التربية والتعليم ، والمنشغلين بهذه المهمة من الآباء والأمهات ، أنْ يغرسوا مراقبة الله تعالى في قلوب الناشئة ، وتعويدهم دوماً على الاعتماد على المراقبة الذاتية ؛ التي تكون فيما بينهم وبين ربهم ﷻ ، وتعظيمها في نفوسهم، حتى تكون مراقبة الله تعالى عندهم أشدّ منْ مراقبة المخلوق ، وتتجلّى أعظم صُورها حال الامتحانات ؛ التي يلجأ فيها كثير من الطلاب الذين انْعدمت في قلوبهم الرقابة الذاتية ؛ إلى ارْتكاب جريمة الغشّ عند غياب أعين المخلوق عنهم ، فإنه ينبغي تذكيرهم بالرقيب الأعلى؛ والتي لا تنام عينُه ولا تسهى ، وتهويل الاستهانة بهذا الأمر في نفوسهم ، حتى يعودوا إلى رُشدهم ، ويرْتدعوا عنْ غيّهم ، فإنهم إذا ما تُركوا على هذا العمل صِغاراً ، نشؤوا عليه كِباراً ، وعندها يستفحل الأمر ويصعب الحلّ .

الآية الثانية : قال الله تعالى رداً على الكافرين وبياناً لكمال حجته عليهم : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأعراف : الآية ٥٢] .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – : " ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ ﴾ أي : بيّنا فيه جميع المطالب التي يحتاج إليها الخلق ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ من الله بأحوال العباد في كلّ زمان ومكان، وما يصلح لهم وما لا يصلح ، ليس تفصيله تفصيل غير عالم بالأمور ، فيجهل بعض الأحوال فيحكم حكماً غير مناسب ، بلْ تفصيل منْ أحاط علمه بكلّ شيء ، ووسعت رحمته كل شيء ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي : تحصل للمؤمنين بهذا الكتاب الهداية من الضلال ، وبيان الحق والباطل ، والغيّ والرشد ، ويحصل أيضاً لهم به الرحمة ، وهي : الخير والسّعادة في الدنيا والآخرة ، فينتفي عنهم بذلك الضلال والشقاء " (1) .

(1) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٢٥٣ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – في هذه الآية : " فهو سبحانه بيّنه وأنزله على عباده بعلم ، ليس كمنْ يتكلم بلا علم " [1] .

إنه مما لا شك فيه أنّ علم الله تعالى محيطٌ بما يُصلح عباده في كلّ عصر ومِصر ، وبما يحتاج إليه الخلق في دُنياهم وأُخراهم ، وإنّ أعظم ما اشتمل عليه القرآن الكريم حاجة الخلق إلى الغذاء الروحي المتمثل في الوحيين الكتاب والسّنة ، يلي ذلك في المرتبة ما تقوم عليه مصالح العباد ومعاشهم ؛ حيث أشار المولى تبارك وتعالى في كتابه العزيز إلى القواعد المنظمة لسير الحياة في مختلف مجالات الأنشطة الإنسانية ، وِفق نظام ربَّاني كامل وبديع ، لم يغفل فيه عنْ حقائر الأمور فضلاً عنْ عظائمها ، ولم يدع شيئاً فيه نفعٌ للمسلم إلا دلَّ عليه وحثَّ على فعله ، ولا شرّاً إلا نهى عنه وحذر من اقترافه ، فإنْ دلَّ ذلك على شيء ؛ فإنما يدل على وُسع علم الله تعالى لكل شيء .

ومنْ فوائد هذه الآية الكريمة أنّ منْ همَّ قلمه بالانطلاق نحو الكتابة ، فعليه أنْ يُلجمه بلجام التقوى ، ويكبح جماحه عنْ مهاوي الردى ، حتى يخرج الكتاب في صورته النهائية ذا حلية جميلة ، نافعاً غير ضار ، شاملاً قدر المستطاع لكلّ جوانب الموضوع المراد دراسته ، وأنْ يكون عنْ علم وبصيرة ، فالله ﷻ أخبرنا في الآية السَّابقة أنه قد أنزل علينا كتابه عنْ علم بما يُصلح عباده في الآجل والعاجل ،وذلك حتى يكون لمنْ يتبعه هدىً ورحمة، وكذلك فإنَّ على منْ أراد أنْ يُثري السَّاحة العلمية بفكره ، ويخرج إلى الأمة نِتاج علمه ؛ فعليه أنْ يتأنّى في ذلك ، وأنْ يكون طرحه ومعالجته لموضوع الكتاب راقياً وشاملاً ، حتى ينتفع بقراءته منْ يطّلع عليه .

---

(١) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، دمشق ، مؤسسة علوم القرآن ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ ، تحقيق: محمد السيد الجليند ، ج٢ ، ص ٢٢٦ .

الآية الثالثة : قال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة هود : الآيتين ١٣ - ١٤] .

قال الإمام الواحدي - رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية : " ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ بلْ أيقولون ، ﴿ افْتَرَاهُ ﴾ افترى القرآن وأتى به منْ قِبل نفسه ، ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ ﴾ مثل القرآن في البلاغة ، ﴿ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾ بزعمكم ، ﴿ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ إلى المعاونة على المعارضة ، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أنه افتراه ، ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾ فإنْ لم يستجب لكم منْ تدعونهم إلى المعاونة ، و لم يتهيأ لكم المعارضة فقد قامت عليكم الحجة ؛ ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾ أي : أُنزل والله عالم بإنزاله ، وعالم أنه منْ عنده ، ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ استفهام معناه الأمر ؛ كقوله ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [سورة المائدة : الآية ٩١] " (١) .

إنَّ على كلّ صاحب مبدأ واثقٍ منْ صلابته وصحة فكرته -استناداً على هذه الآية- أنْ يدع المجال مفتوحاً للآخر بأنْ يُبديَ رأْيه وأنْ يعرض فكرته ، لأنه في حقيقة الأمر إنما يُبرز وِجهة نظر خاطئة مُضادة لفكرة صائبة ، باعتبار أنه لا يقف أمام الحق ويعترضه سوى الباطل ، وبالتالي ينكشف القناع الزائف الذي كان يُغطي الباطل ويُزينه للناظرين ، ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الرعد : الآية ١٧]، وعلى ذلك بقيَ كلام الله تعالى البالغ في إعجازه على مرّ السنين محفوظاً ، واضْمحلّ ما دونه منْ كلام البشر ، وتلاشت الجهود وانهزمت الجنود أمام كلام جبار السّماوات والأرض الغفور الودود ، فعُلِم يقيناً بعد أنْ فُتح الباب للمشركين وأعوانهم ليأتوا بمثل هذا القرآن أو بعض منه ، فحصل منهم ما حصل من التَقهْقُرِ والانهزام الفِكري أمام هذه الدعوة الربّانية ، عندها عِلم الجميع أنه منْ عند الله ﴿ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

---

(١) الواحدي ، علي بن أحمد ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دمشق - بيروت ، دار القلم - الدار الشامية ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، ج١، ص ٥١٥ .

الآية الرابعة: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [سورة لقمان: الآية ٣٤].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -: " هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله - تعالى - بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه - تعالى - بها، فعلْم وقت السَّاعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب، ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٨٧]، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكنْ إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومنْ شاء الله منْ خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أنْ يخلقه تعالى سواه، ولكنْ إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى أو شقياً أو سعيداً، علم الملائكة الموكلون بذلك ومنْ شاء الله منْ خلقه، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دُنياها وأُخراها، ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ في بلدها أو غيره منْ أيّ بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك، وهذه شبيهة بقوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ ... الآية [سورة الأنعام: الآية ٥٩]، وقد وردت السّنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب " (١).

ومنْ ذلك ما رواه البخاري بسنده عنْ سالم بن عبد الله، عنْ أبيه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: " مفاتح الغيب خمس: إنَّ الله عنده علم السّاعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأيّ أرض تموت، إنَّ الله عليم خبير " (٢).

وقال العلامة السّعدي - رحمه الله تعالى -: " قد تقرر أنَّ الله تعالى أحاط علمه بالغيب والشهادة والظواهر والبواطن، وقد يطلع الله عباده على كثير من الأمور الغيبية، وهذه الأمور الخمسة من الأمور التي طوى علمها عنْ جميع المخلوقات، فلا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، فضلاً عنْ غيرهما " (٣).

---

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ١٤٠١ هـ، ج٣، ص ٤٥٤.

(٢) البخاري، محمد بن اسماعيل، الجامع الصحيح، بيروت، دار ابن كثير، ط ٣، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، تحقيق: مصطفى البغا، كتاب (التفسير)، باب (وعنده مفاتح الغيب)، ج٤، حديث (٤٣٥١)، ص ١٦٩٣.

(٣) السعدي، مرجع سابق، ١٤١٧ هـ، ص ٦٠١.

تبين لنا مما سبق منْ أقوال أهل العلم أنَّ علم الله تعالى ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : ما أذِن الله تعالى للعباد بعلمه ، ويدخل فيه كلّ ما اسْتطاع بني البشر معرفته ، ومنه معرفة جنس الجنين في رَحِم أمه ، والتوقع بنــزول الغيث ، وأمثال ذلــك ، ولم يكنْ ليحصل لهم ذلك إلا بعد أنْ أذن الله تعالى لهم بمعرفته ، ثم استناداً على ما توصــل إليه العلماء – بعد فضل الله تعالى – من الأجهزة الدقيقة التي تمكنهم منْ معرفة جنس الجنين بعد مُضي مُدة معلومة ، ومنْ توقع نزول الأمطار في مكان ما ، وغيرها ...

القسم الثاني : ما لم يأذن الله تعالى للمخلوقات بعلمه ، ومنه علم الأرزاق والآجال، فهذا القسم انفرد به ﷻ دون خلقه ، لحكم ومصالح قد يدرك العقل البشري جانباً منها ، في حين قد يخفي عليه منها جوانب أُخرى .

الآية الخامسة : قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ [سورة فصلت : الآية ٤٧] .

قال الإمام القرطبي – رحمه الله تعالى – : " قوله تعالى ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ ﴾ أي : حين وقتها ، وذلك أنهم قالوا : يا محمد ! إنْ كنت نبياً فخبرنا متى قيام السّاعة ، فنــزلت ، ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ ﴾ (من) زائدة ، أي : وما تخرج ثمرة منْ أكلها ، أي : منْ أوْعيتها ، فالأكمام أوْعية الثمرة ، واحدها كمة ، وهي كل ظرف لمــال أو غــيره... ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ ﴾ كما يُرد إليه علم الثمار والنتاج ، ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ أي : يُنادي الله المشــركين : أين شركائي الذين زعمتم في الدنيا أنها آلهة تشفع ؟ ، ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ أي : الأصــنام ، وقيــل المشركون ، ويحمل أنْ يريدهم جميعاً العابد والمعبود :﴿ ءَاذَنَّٰكَ ﴾ أسمعناك وأعلمناك...﴿ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ أي : نعلمك ما منا أحد يشهد بأنَّ لك شريكاً ، لما عاينوا القيامة تــبرؤوا من الأصنام وتبرأت الأصنام منهم " (١) .

---

(١) القرطبي ، مرجع سابق ، ج١٥، ص ٣٧١ (باختصار) .

تضمّنت هذه الآية الكريمة فوائد عظيمة ، وأسرار لطيفة ، ومنْ أهمها لطيفة خفية وهي { وحدة الموضوع } ، وتبرز هذه اللطيفة في ربط أوّل الآية بآخرها ، حيث بدأ المولى تبارك وتعالى الآية الكريمة بالحديث عن السَّاعة وختمها كذلك بحديث آخر عن السَّاعة ، فقد ابتدأها ﷻ بإعلام الخلق بانفراده ﷻ بعلم قيام السَّاعة ، كما ختمها ﷻ بذكر مشهد من المشاهد التي تحدث يوم القيامة ، وذلك حين يتبرأ المشركون منْ أصنامهم ، وتتبرأ الأصنام منْ عابديها ، وفي هذا من الأسرار التربوية ما يصعب ذكره ، ولعلّ منْ أبْرزها أنّ منْ همَّ قلمه بالكتابة وانطلق لسانه بالحديث ؛ فإنّ عليه أنْ يُصوّب قلمه ويُوجّه لسانه للتركيز في موضوع واحد ، وعدم إشغال القارئ والمستمع بمواضيع متعددة ، قد يمحو بعضها بعضاً ، بخلاف ما إذا كان محور الحديث والكتابة مشترك ، فإنّ ما يُقال لاحقاً يُعزز ما قيل سابقاً ، ويُدعمه في عقل القارئ والمستمع ، ويُرسخ جذورَه ويُعمّق أصولَه ، وبذلك تتمّ الفائدة المرجوة من الكتابة أو الحديث .

ومنْ بدائع الفوائد في هذه الآية الكريمة ؛نقل القارئ لها منْ مشاهد الدنيا إلى مشاهد الآخرة ، ومنْ عجائب الدنيا إلى عجائب الآخرة ، والاستدلال بغرائب مشاهد الدنيا على قدرة الخالق – جلّ وعزّ – التي لا يقف دونها شيء ، وعلى وُسْع علمه لكلّ شيء ، فكما أنه المتفرد في الدنيا بحق العبودية ؛ فهو كذلك المتفرد في الآخرة بحق العبودية ، كما ظهر جلياً منْ مشهد الآخرة المذكور في الآية ، ففي بداية الآية الكريمة ذكر الله –جلّ وعلا– أموراً دُنيوية كخروج الثمر منْ أكمامه وحمل الأنثى ووضعها بعد أجل مسمىً ، فهذه الأمور التي لا يعلم كُنْهها ومتى حصولها وإيجادها أحد إلا الله ﷻ ، بينت أحقيته ﷻ بإفراد العبادة دون ما سواه من الخلق ، ومنْ لم يقرَّ بذلك طوعاً في الدنيا أقرَّ به كرهاً يوم القيامة .

الآية السادسة : قال تعالى : ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة الزخرف : الآية ٨٥] .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – : " ﴿ وَتَبَارَكَ ﴾ بمعنى : تعالى وتعاظم ، وكَثُر خيره ، واتسعت صفاته ، وعظم ملكه ، ولهذا ذكر سعة ملكه للسّماوات والأرض وما بينهما ، وسعة علمه ، وأنه بكلّ شيء عليم ، حتى إنه تعالى انفرد بعلم الغيوب ، التي لم

يطّلع عليها أحد من الخلق ، لا نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ، ولهذا قال : ﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ قدم الظرف ، ليفيد الحصر ، أي : لا يعلم متى تجئ السّاعة إلا هو ، ومنْ تمام ملكه وسعته ؛ أنه مالك الدنيا والآخرة ، ولهذا قال: ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي : في الآخرة فيحكم بينكم بحكمه العدل ، ومنْ تمام ملكه ؛ أنه لا يملك أحد منْ خلقه من الأمر شيئاً ، ولا يقدم على الشّفاعة عنده أحد إلا بإذنه "(1) .

أثنى الله تعالى في هذه الآية على نفسه بتفرده بالملك والعلم ، وفي ذلك لفتةٌ كريمة تدل على شرف العلم وفضله ، وأنَّ منْ حازه فقد حاز الشّرف كلّه ، ومنْ ناله فقد نال الفخر جلّه ، فعلى المرء أنْ يشغل وقته بطلب العلم وبذله للآخرين ابتغاء مرضات الله ﷻ .

ولذلك فإنَّ على القائمين على التربية أنْ يُرغّبوا الناشئة في طلب العلم منْ نعومة أظفارهم ، حتى يترعْرعُوا على حبّ العلم وبذل الْمُهَج في تحصيله ، فينشأ جيلٌ متعلّم ، قادر على أنْ يأخذ بيدِ أمته إلى قمم العلياء ، وإخراجها منْ بوتقة الظلم الواقع عليها ، والسّير بها قُدماً ، لتولّي أمر القيادة وزمام الرّيادة للأمم الأخرى .

ب) العلم النسبي (علم البشر) :

تضافرت الأدلة القرآنية الدّالة على نسبية علم الإنسان ، وبينت أنَّ علمه محدود قاصر ، وعاجز عن الإحاطة بما يدور حوله ، فضلاً أنْ يكون عالماً بما هو أوسع منْ ذلك ، كما ألمحت آيات العلم أنَّ العلم البشري ما هو إلا مِنّةٌ من الله تعالى يتفضل بها ﷻ على منْ يشاء منْ عباده ، لنشر دينه وتعمير أرضه ونفع عباده ، وفيما يلي نُورد الأدلة منْ آيات العلم الموضحة لذلك :

الآية الأولى : قال تعالى راداً على اليهود المتعنتين الذين سألوا النبي ﷺ عن الروح تعجيزاً له ، ومفتخرين بما عندهم من العلم ، فردَّ الله ﷻ عليهم بقوله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٨٥] .

قال الإمام ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – في هذه الآية : " في المخاطبين بهذا قولان: أحدهما : أنهم اليهود ، قال الأكثرون .

(1) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٧١٦ .

والثاني : أنهم جميع الخلق ، علمهم قليل بالإضافة إلى علم الله ﷻ ، ذكره الماوردي .

فإنْ قيل : كيف الجمع بين هذه الآية ، وبين قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٦٩] ؛ فالجواب : أنّ ما أُوتيه الناس من العلم وإنْ كان كثيراً ، فهو بالإضافة إلى علم الله قليل "(١) .

وقال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – : " وفي هذه الآية دليل على أنّ المسؤول إذا سُئل عنْ أمر ؛ الأوْلى به أنْ يُعرض عنْ إجابة السّائل عما سأل عنه ، ويدلّه على ما يحتاج إليه ، ويُرشده إلى ما ينفعه "(٢) .

إنّ هذه الآية الكريمة ترد على كلّ منْ تفاخر بعلمه وتكبر بمعرفته ، فترجعه إلى أصله، وتُعيده إلى رشده ، فإنّ منْ ظنّ أنه عالم فإنما هو في حقيقة الأمر جاهل ، لأنّ ما خفيَ عليه من العلم أكثر بكثير مما تحصّل عليه ، فالعالم الحق هو الذي يشعر بضآلة ما توصّل إليه من العلم – وإنْ كان مُتبحراً في مجال تخصصه – وبالتالي فلنْ ينظر للناس نظرةً دُونية متغطرسة ، محتقرةً لما أمامها من الذوات ، بلْ يتواضع مع منْ حوله جاهلاً كان أم متعلماً .

إنّ على كلِ منْ أُوتيَ شيئاً من العلم ، أنْ يقف حِيال ذلك العلم منْ زاويتين اثنتين ، وهما :

- ❖ أنْ يُرجع الفضل في ذلك العلم إلى الله تبارك وتعالى ، والذي لولاه ﷻ لما استطاع الإنسان الرُّقي في درجات العلم ، فلم يحصل العالم على علمه بحوله ولا قوته ، وإنما كان ذلك العلم هِبةٌ من الله تعالى ، يهبها لمن يشاء منْ عباده ، فإنْ تم ذلك العرفان من العالم لله تعالى بالعلم ، كان أدْعى له أنْ يكون من المتواضعين ؛ الذين يزدادون رِفعةً من الله تعالى في الدرجات ؛ كلما ازْدادوا تواضعاً له ﷻ .
- ❖ سؤال الله تعالى أنْ يُوفقه لطلب المزيد والمزيد من العلم النافع ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [سورة طه : الآية ١١٤] ، لأنّ العلم بحرٌ لا شاطئ له ، فعلى كلّ

---

(١) ابن الجوزي ، مرجع سابق ، ١٤٠٤ هـ ، ج٥ ، ص ٨٢ – ٨٣ .

(٢) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٤١٧ .

عالم أنْ يمتطيَ جَوَاد الطَّلَب ويسعى قُدماً في طرق أبواب العلم ، للاستزادة منْ صنوف العلم النافعة ، والتقرب إلى الله تعالى بذلك العلم ، تطبيقاً في ذاته ونفعاً لأمته .

ومن الثمرات التربوية لهذه للآية الكريمة تحويل الإجابة عنْ سؤال السّائل إلى ما ينفعه ويُصلحه ، خاصةً إذا كان السّؤال عنْ أمر عديم الفائدة للسّائل ، أو إذا كان الغرض من السّؤال تعنيت المسؤول وإفحامه ، فينبغي حينئذٍ ردْعه وزجره لئلا يسترسل في طرح أسئلة تُثير الشحناء في النفوس ، ولا تجلب المنفعة للمسؤول ولا السّؤول .

الآية الثانية : قال تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة يوسف : الآية ٧٦] .

قال أبو السّعود – رحمه الله تعالى – : " نرفع درجات عالية من العلم منْ نشاء رفْعُه ، وفوق كلٌّ منهم عليم ، هو أعلى درجة ، قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : فوق كلّ عالمٍ عالمٌ إلى أنْ ينتهي العلم إلى الله تعالى " [(1)] .

إنّ في هذه الآية الكريمة لَفْتةٌ عظيمة ، مُؤدّاها أنّ منْ أراد القُرب من الله تعالى أكثر فأكثر ؛ فعليه أنْ يسلك طريق العلم ، فإنّ العلم بمثابة طريقٍ مبدأه في السّماء ومنتهاه في الأرض ، وسُلّمٌ يرتقي فيه العلماء الربانيون ، ليصلوا في آخره إلى أعلى المقامات ، وأرفع الدرجات عند ربّ البريات .

ومنْ عظائم الفوائد في هذه الآية الكريمة أنّ كلّ عالم فوقه منْ هو أعلم منه ، وفي ذلك إلماحة جميلة لكلّ منْ علِم شيئاً وفاته أشياء ، أنْ يسأل منْ هو أعلم منه ، ولا يمنعه الحياء منْ طلب العلم الذي لا يعلمه ، كما أنه لا يصدُّه الكبر عنْ تعليم العلم الذي يعلمه ، فالعالم آخذٌ ومُعطي ، فهو آخذٌ للعلم الذي يجهله ، ومُعطي للعلم الذي يتقنه .

الآية الثالثة : قال تعالى في ذكر طرفٍ منْ قصة يوسف عليه السلام مع إخوته ، حينما دخلوا عليه – بعد أنْ خرج من السّجن وعيّنه ملك مصر وزيراً على خزائن الأرض – من أبواب متفرقة ، تنفيذاً لوصية أبيهم نبي الله يعقوب عليه السلام ، ثم ختم جل جلاله الآية الكريمة بالثناء على نبيه يعقوب عليه السلام منْ جهة علمه ، وتبيان حال أكثر الناس في باب العلم ، فقال عز وجل :

---

(1) أبو السّعود ، محمد بن محمد العمادي ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د.ت ، ج٤، ص ٢٩٨ .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف : الآية ٦٨] .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – : " ﴿ وَلَمَّا ﴾ ذهبوا ، و ﴿ دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ ﴾ ذلك الفعل ﴿ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ ﴾ وهو مُوجب الشّفقة والمحبة للأولاد ، فحصل له في ذلك طمأنينة وقضاء لما في خاطره ، وليس هذا قصوراً في علمه فإنه – أي يعقوب عليه السلام – من الرسل الكرام والعلماء الربانيين ، ولهذا قال عنه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ ﴾ أي : لصاحب علم عظيم ﴿ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾ أي: لتعليمنا إياه ؛ لا بحوله وقوته أدركه ، بلْ بفضل الله وتعليمه ، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ عواقب الأمور ودقائق الأشياء ، وكذلك أهل العلم منهم ، يخفى عليهم من العلم وأحكامه ولوازمه شيء كثير " [1] .

لقد اشتملت هذه الآية الكريمة على نفائس تربوية جليلة يصعب حصرها ، ومنها : ثناء الله تعالى على العالم العامل بعلمه ، فيعقوب عليه السلام نبي منْ أنبياء الله الكرام ، الذين علّمهم الله تعالى منْ علمه ، ومنْ ذلك علْمه عليه السلام بأنّ العين حق ، وأنّ وقوعها منْ بعض الناس حقيقة ، فأشار على أبنائه بأنْ لا يدخلوا منْ باب واحد ، وأنْ يدخل كلّ واحد منهم منْ باب غير الذي دخل منه إخوته ، حتى لا يصيبهم أحدٌ بالعين عندما يدخلون منْ باب واحد وهم على صورة جميلة وحسنة ؛ مع اعتراف يعقوب عليه السلام قبل ذلك بأنّ هذا العمل لا يُغني عنهم من الله تعالى شيء ، كما قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام : ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [سورة يوسف : الآية ٦٧] ، إلا أنّ علْمه عليه السلام بأنّ الله تعالى يحب المتوكلين ، حَدَا به إلى أنْ يشير على بَنيهِ بهذا العمل الذي ما هو إلا عمل بما

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٣٥٧ .

يعلمه ؛ منْ أنَّ الله تعالى يحب التوكل عليه ويحب المتوكلين ، ولذلك أثنى الله تعالى على نبيه يعقوب عليه السلام لأنه عَمِل بما عَلِم .

وفي الآية الكريمة كذلك حثٌّ على العمل بالأسباب ، مع عدم الركون إليها والاعتماد عليها ، بلْ يسبق ذلك العمل ويَلِيه التوكل على الله تعالى والتعلق به دون ما سواه، وهذا يشمل سعيَ الإنسان لطلب العلم ، أو لأيّ أمر آخر منْ أمور الدنيا والآخرة ، فعلى طالب العلم أنْ يبذل الأسباب المعينة - بإذن الله تعالى - على استحصال العلم النافع دينياً كان أم دُنيوياً ، وأنْ يعمل بعلمه ؛ لينفع نفسه وأُمّته .

ومنْ ثمار هذه الآية الكريمة أيضاً بيان قِلّة العلماء الذين يُدركون حقائق الأمور ، ويُبصرون بمنظار العلم ما لا يُبصره الآخرون ، ويتعاملون مع الحوادث بميزان الوسطية ؛ فلا يُعظمونها فوق قدرها حتى لا ينتشر الرّعب في صفوف الناس ، ولا يُحقرونها حتى لا يُستهان بها ، فتشكل بمرور الأيام خطراً محدقاً على الأمة .

وكذلك أهل العلم أنفسُهُم قد يخفى عليهم شيء منْ مسائل العلم ، فلا ينقص منْ قدر أحدهم أنْ يسأل عما استشكل عليه ، فلأن يسأل العالم عن الجوانب التي يجهلها ؛ فيصبح عالماً بها ، خير له منْ أنْ يدع سؤال العلم فيظلّ جاهلاً لما خفيَ عليه .

القسم الثاني : أنواع العلم منْ حيث المحتوى :

إنّ العلم كما هو معلوم يختلف باختلاف مضمونه ، وحيث أنّ العلم متنوعٌ منْ حيث محتوى التخصص ، فهناك علم التفسير وعلم الكيمياء ..الخ ، فكذلك العلم مختلف منْ حيث محتوى المنفعة ، فكما أنّ هناك العلم الشّرعي والعلم الدنيوي ، فهناك أيضاً العلم النافع والعلم الضار ، وقد اختار الباحث تصنيف العلم منْ حيث المحتوى إلى علم نافع وغير نافع ، واستبعاد تقسيم العلم إلى ديني ودنيوي ، بناءً على النظرة الشّمولية التي يتميز بها الإسلام دون غيره من الأديان ، فكلّ علم يدل الخلق على الله تعالى وقدرته وعظمته ، ويمكّن العباد منْ أداء عباداتهم على الوجه الأمثل ، ويساعدهم على الاستفادة منْ كلّ ما هو موجود في هذا الكون منْ مُعطيات الحضارة والتقدم ؛ لتحقيق الهدف الأسمى من الوجود وهو عبادة الله تعالى ، فهذا العلم منْ منظور الإسلام هو علم نافع ، في حين أنّ العلم الذي يصرف

الإنسان عنْ ربِّه ولا يُفيده في دُنياه ولا أُخراه فهو علم ضار ، أياً كان مُسمّاه ، وعلى هذا التصنيف سيكون حديثنا - بمشيئة الله تعالى - في الأسطر التالية :

أ) **العلم النافع :**

إنّ وضع العلوم الدينية ضمن هذا التصنيف لا إشكال فيه ؛ لأنّ العلم الشّرعي ما أنزله الله تعالى إلا لنفع العباد في الداريْن ، لكنْ قد يلتبس على البعض اعتبار العلوم الدنيوية أحد عناصر هذا القسم ، وكما أسْلَفْت آنفاً فإنّ كلّ علم يدل الإنسان على خالقه ، ويزيده قُرباً منْ سيده ، ويرفعه درجاتٍ إلى مولاه فهو بلا شك علمٌ نافع ، فالعلم الدنيوي إذا رافقت صاحبه النية الخالصة لله ﷻ أصبح علماً ممدوحاً مرغوباً فيه ، مأجوراً عليه بإذن الله تعالى ، لأنّ منْ مزايا هذا الدين الكريم أنّ فعل المباحات إذا اقْترن بها إخلاص النية لله تعالى أصبحت منْ قبيل العبادات التي يُؤجر العبد على فعلها ، ومن الأدلة على ذلك الحديث الذي رواه الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - عنْ سعد بن أبي وقاص ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " إنك لن تُنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها حتى ما تجعل في فيّ امرأتك " (١) .

وبناءً على ذلك فإننا عندما نتحدث عن العلم النافع ، فإنّ الحديث يشمل علم الدنيا وعلم الآخرة على حدٍ سواء ، مع الأخذ في الاعتبار الفارق بينهما في المصدر .

وآية العلم التي نستشهد بها هنا هي قوله تعالى على لسان نبيه سليمان عليه السلام بعد أنْ أجْرى اختباراً لقياس درجة ذكاء بلقيس ملكة سبأ ؛ التي كانت تعبد وقومها الشّمس منْ دون الله تعالى ، فأرسل لها كتاباً يأمرها بالقدوم عليه مُسلمةً هي وقومها ، فأجْرت بلقيس اختباراً لقياس صدق سليمان عليه السلام ومدى عزمه على دعوتهم للإسلام وإدخالهم عُنوةً تحت ظلّ مملكته ، فأرسلت له الهدايا المغرية ؛ إلا أنه لم يُلقِ لها بالاً وهدّدهم بقدومه عليهم بجيش عظيم لا قِبل لهم به ، عندئذٍ أذْعنت ملكة سبأ ، وجاءت ووُجهاء قومها إلى سليمان عليه السلام، وفي هذه الأثناء أمر سليمان عليه السلام أحد أتباعه بإحضار عرش بلقيس من اليمن إلى الشّام ؛ فأحضره في طرفة عين ، ثم أمر جنوده بتغيير ملامحه ؛ لِيقيس ذكائها ، ويرى هل ستتعرف

---

(١) البخاري ، مرجع سابق ، كتاب (الإيمان) ، باب (ما جاء أنّ الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى) ، ج ١، حديث رقم (٥٦) ، ص ٣٠ .

على عرشها أم تنكره ، فقال ﷻ في وصف هذا المنظر العجيب والموقف الغريب : ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [سورة النمل: الآية٤٢].

قال السّيوطي – رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآية الكريمة : " أخرج ابن أبي حاتم عن السّدي قال : لما دخلت وقد غيّر عرشها ، فجعل كلّ شيء منْ حليته أو فرشه في غير موضعه ، ليُلبسوا عليها ، قيل : أهكذا عرشك ؟ فَرَهَبت أنْ تقول : نعم هو ، فيقولون: ما هكذا كان حليته ولا كسوته ، ورَهَبت أنْ تقول : ليس هو ، فيُقال لها : بلْ هو ، ولكنا غيّرناه ، فقالت : كأنه هو ، وأخرج ابن أبي حاتم عنْ زهير ابن محمد في قوله : ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ قال سليمان يقوله : أُوتينا معرفة الله وتوحيده " (١) .

وقال السّعدي – رحمه الله تعالى – : " فقال سليمان متعجباً منْ هدايتها وعقلها ؛ وشاكراً لله أنْ أعطاه أعظم منها : ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ أي : الهداية والعقل والحزم منْ قبل هذه الملكة ، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ وهي الهداية النافعة الأصلية " (٢) .

إنّ العلم النافع هو العلم الذي يظهر له أثرٌ إيجابي وفائدة ملموسة على سلوك الأفراد والأمم أولاً ، وما يتبع ذلك منْ تقدمٍ ورقيّ في شتى مجالات الحياة المختلفة ، فالأمة التي يدفعها العلم إلى معالي الأمور في دُنياها ، ويقودها إلى أعالي الأجور في أُخراها ، هي أُمةٌ فَطِنةٌ ، استطاعت أنْ تستفيد منْ خزائن العلم ، وأنْ تستخرج به كَوَامن النفس البشرية وما أوْدعها الله تعالى منْ قدرات باهرة ، لا يستطيع فاقد العلم معرفتها واكتشافها وتنميتها والاستفادة منها .

إنّ حامل العلم النافع إذا لم ينتفع بعلمه ، وكان دوره تجاه هذا العلم حَمْله فحسب ، فإنّ هذه الصفة ممقوتة عند الله ﷻ ، كما أخبر ﷻ عنْ مثيل ذلك ؛ وهم اليهود الذين حملوا التوراة و لم يعملوا بها ، فقال تعالى واصفاً تلك الحالة الذميمة : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ

---

(١) السّيوطي ، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين ، الدر المنثور ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٣م ، ج ٦ ، ص٣٦٢ .

(٢) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٥٥٥ .

لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة الجمعة : الآية ٥] ، فالعالم الحامل دون العامل شبيهٌ بالحمار الحامل أسفاراً من العلم دون أنْ يستفيد منها ، فحظُّهما من العلم سواء ؛ وهو حمْله فقط ، وأما العالم العامل بعلمه النافع ؛ فهو المستفيد والمفيد ! مستفيد في ذاته منْ علمه ، ومفيدٌ لغيره منْ ذلك العلم ، فهو كالأرض الطيبة المباركة التي قَبلت الماء وأنبتت الكلأ ، كما قال ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم – رحمه الله تعالى – عنْ أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال : " إنّ مثل ما بعثني الله ﷻ من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً ، فكان منها طائفة طيبة قَبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمْسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى ؛ إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل منْ فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل منْ لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به " (١).

كما يمكننا أنْ نستفيد من الآية الكريمة السّابقة أيضاً في إجراء ما يُسمى بتعبير العصر بـ (اختبار القدرات) ، حيث أنّ إجراء الاختبارات القبلية ، يُساعد في معرفة نفسية الآخر ، والتعرف على مستوى علمه ، وقياس قدراته العقلية ، لأنّ تحديد هذه الأمور يمهد الطريق نحو معرفة الكيفية الْمُثلى للتعامل مع ذلك الشخص ، وما هي أفضل السُّبُل وأنجع الطرق لمحاورته وإقناعه ؟ كما تُساعد هذه المعرفة في توجيه الشخص إلى المجال أو التخصص الذي يُناسب مَدَاركه العقلية وقدراته الجسمية ، وبالتالي يستطيع إحراز النجاح في ذلك المجال بتفوق ؛ ومنْ ثَمَّ المساهمة باقتدار في دفع عجلة التنمية الشّاملة لأمته .

ب) العلم الضار :

إنّ العلم الذي يحول بين الإنسان وبين تحقيق الغاية المنشودة منْ وجوده ؛ هو بلا منازعٍ علم ضارٌ غير نافع ، مهما كان نوعه ومهما كانت درجة حامله ، إذْ أنّ العبرة في العلوم بمقاصدها وآثارها .

فالعلم الذي يتسبب في تخلّف الشّعوب وانحطاط الحضارات ودمار الأمم ؛ فذلك لا يختلف فيه اثنان أنه علم مقيتٌ غير مرغوب فيه لا شرعاً ولا عقلاً ، إنّ العلوم الضّارة

---

(١) النيسابوري ، مرجع سابق ، كتاب (الفضائل) ، باب (بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم) ، ج ٤ ، حديث رقم (٢٢٨٢) ، ص ١٧٨٧ .

نستطيع أنْ نحكم عليها بعدم نفعيتها إذا كانت تدعو الإنسان إلى سفاسف الأمور وحقيرها في الدنيا ، وإلى مهاوي الدركات في الآخرة .

وإنّ منْ نافلة القول أنْ نذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض الأمثلة منْ تلك العلوم الضّارة التي تُدرّس اليوم ، ولها أُسس ومدارس ومُفكرين يُنافحون عنها ، فمنها - كما يدّعون - علم الفلسفة والمنطق التي تعمل على تغليب رأي العقل على قول النقل ؛ وردّ التشريعات الإلهية باجتهادات عقلية ، تنتهي بصاحبها - في أغلب الأحيان - إلى الإلحاد والكفر بربه والعياذ بالله منْ ذلك ، " وقد يُحتاج إلى الاشتغال بشيء من الفلسفة والكلام - لمنْ تمكن منْ فهم عقيدته - للرد على المخالف ، وقد استعمل هذا الأئمة ، منهم الإمام ابن تيمية ؛ استعمله كثيراً في كتبه ، مثل درء تعارض العقل والنقل ، والرد على المنطقيين ، وكذلك الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان ، وهذا لأنّ مخاطبة الفلاسفة والمتكلمين قد لا تتحقق إلا باللغة التي يفهمونها " (١) .

إنه متى ما نحّت الأمة شرع الله تعالى عن التطبيق ، واتخذته ظِهرياً ، فإنها ولا شك ستصبح يوماً من الأيام في مهبّ الريح وفي مزبلة التاريخ ، وستعود إلى الوراء حتى تصبح في مؤخرة قطار الحضارة ، وستسقط في الهاوية حتى تقبع في حضيض الأمم ، لأنها لنْ تصل إلى مستوى التطور والتقدم المنشود إلا بتطبيق شرع الله تعالى في جميع مناحي الحياة .

ومن العلوم الضّارة التي تُدرس كذلك ؛ النظريات الرأسمالية وغيرها من النظريات الوضعية التي تُحوِّل نظام التعامل بين البشر إلى ما يشبه نظام الغاب ، حيث يفترس الغني الفقير ، والقويّ الضعيف ، بعيداً عن القواعد النبيلة والمعاني السَّامية التي تميز بها المجتمع المسلم في تعامل أفراده بعضهم مع بعض ، حيث يُعين الغني الفقير ، ويُساعد القويّ الضعيف، ويُؤخذ الحق للمظلوم منْ ظالمه ، إلى غير ذلك من الصّفات الحميدة التي غُيّبت بقيام هذه النظريات ، لأنّ تلك الصّفات الكريمة تتعارض في جوهرها مع هذه النظريات التي قامت على القسْوة وحبّ الذات وعدم الإيثار ، واستغلال الفرص السّانحة للإيقاع بالغير .

ومن العلوم المقيتة كذلك علم الموسيقى والرقص ، والتي تخرج لنا في مجملها جيلاً قد ترعرع منذ نعومة أظفاره على الميوعة ؛ والتي ينشأ منها شباباً لا يستطيع القيام بأعباء

(١) الحسن ، عبداللطيف بن محمد ، مَعْلم في تربية النفس ، الرياض ، المنتدى الإسلامي ، ١٤٢١ هـ ، ص ٤٢ .

المسؤولية الملقاة على عاتقه ، ناهيك عنْ كون ذلك العلم في أصله علمٌ محرمٌ في الشّريعة الإسلامية .

إلى غير ذلك من التُرّهات التي لا ينبغي أنْ يُطلق عليها مُسمّى علم ، فضلاً أنْ يُقال عنها أنها علوم نافعة ، فعلى الأمة نبذ تلك العلوم الضّارة ونظائرها مما يضر ولا ينفع ، وأنْ تختار لنشئها أفضل العلوم في ذاتها ، وأنفعها لحاملها ، وأصلحها لأمة ناقلها ، وأرفعها في درجات باذلها .

وقد ذكر المولى تبارك وتعالى العلم الذي يمنع الإنسان منْ قبول الحق في معرض الذمّ، فقال تعالى واصفاً حال الكفار عندما جاءتهم رسلهم – عليهم الصّلاة والسّلام – بالدلائل الخارقة والبراهين السّاطعة على صدقهم وبطلان ما عليه الكفار ، قال ﷻ عنْ موقف تلك الأمم المكذبة لرسلهم : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة غافر: الآية٨٣] .

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى – : " يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر ، وماذا حلّ بهم من العذاب الشّديد ، مع شدة قواهم وما أثروه في الأرض وجمعوه من الأموال ، فما أغنى عنهم ذلك شيئاً ولا ردَّ عنهم ذرةً منْ بأس الله ، وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات والحجج القاطعات والبراهين الدامغات ، لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا عليهم ، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عمّا جاءتهم به الرسل ، قال مجاهد : قالوا : نحن أعلم منهم لنْ نُبعث ولنْ نُعذب ، وقال السّدي : فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم ، فأتاهم منْ بأس الله تعالى ما لا قِبَل لهم به ، ﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾ أي : أحاط بهم ﴿ مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي : يكذبون ويستبعدون وقوعه " (١) .

لقد انخدع هؤلاء الكفار – وأشباههم كثير في هذا العصر – بما عندهم منْ علوم الدنيا الزائفة الزائلة ، وغرَّهم ما يتمتعون به منْ صحةٍ في الأبدان وقوةٍ في البلدان ، حتى صدَّهم ذلك عنْ قبول الحق الواضح ؛ كوضوح الشّمس في رابعة النهار ، وكما هي سنة الله تعالى الجارية في خلقه ؛ أنَّ الغلبة للحق وإنْ طالت صَوْلة الباطل ، وأنَّ العالِمين بالله

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ١٤٠١ هـ ، ج ٤ ، ص ٩٠ .

تعالى مُنتصرون وإنْ غلبتهم جحافل العالِمين بالدنيا جولات وجولات ، ففي نهاية المطاف لابدّ وأنْ ينهزم علماء الدنيا وينتصر علماء الآخرة .

إنه لا خير في علمٍ يزيد المرء بُعداً عنْ ربه تبارك وتعالى كلما ازْداد تعمقاً فيه ، إننا نستطيع أنْ نستفيد منْ هذه الآية الكريمة في تحذير النشء منْ سلوك طريق العلوم التي لا طائل منْ ورائها ، ولا نفع دينياً كان أم دُنيوياً منْ تعلُّمها ، وإنما هي المشقة والتعب في بدايتها ، والحسرة والنّدامة في نهايتها .

إنَّ العلم إذا أدّى بصاحبه إلى الغرور والوقوف في وجه الحق للحيلولة دون انتشاره في أرجاء المعمورة ؛ فإنَّ على صاحبه أنْ يتخلى عنه مباشرةً ؛ لأنه علم مضرٌّ به وبأمته ، كما أنَّ عليه أنْ يستبدله بالأنفع منْ علوم الدين والدنيا .

وحيث أنَّ حديثنا هنا عنْ تبيان ملامح العلم النافع والضار ، نُورد هنا أقسام العلماء منْ حيث صنوف العلم التي يحملونها ، وهي :

" (١) عالم بالله عالم بأمر الله : وهو مَنْ جمع بين علم الظاهر والباطن ، وهؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [سورة فاطر: الآية ٢٨] ، كما قال فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [سورة الإسراء : الآيات ١٠٧ - ١٠٩] .

(٢) عالم بالله ليس عالماً بأمر الله : وهؤلاء هم أصحاب العلم الباطن الذين يخشون الله ، وليس لهم اتساع في العلم الظاهر .

(٣) عالم بأمر الله ليس بعالم بالله : وهؤلاء هم أصحاب العلم الظاهر ، لا نفاد لهم في العلم الباطن وليس لهم خشية ولا خشوع ، وهؤلاء مذمومون عند السّلف ، وبعضهم يقول : هذا العالم الفاجر ، هؤلاء وقفوا مع ظاهر العلم ، ولم يصل العلم النافع إلى قلوبهم ، ولا شمّوا رائحته ، غلبت عليهم الغفلة والقسوة والإعراض عن الآخرة ، والتنافس في الدنيا ، ومحبة العُلو فيها ، والتقدم بين أهلها " [١] .

---

(١) عوض الله ، الشيخ الأمين محمد ، أساليب التربية والتعليم في الإسلام ، دبي ، دار القراءة للجميع ، ط ٢ ، ١٤١٠هـ =١٩٩٠م ، ص ١١ - ١٢ .

وختاماً فإنَّ على العلماء المخلصين واجب عظيم وأمانة كبيرة مُلقاة على عواتقهم ، حيث ينبغي عليهم تصديق أقوالهم بفِعالهم ، وألا تخرج منهم كلمة إلا وهي مقرونة بعمل مطابق لما يقولون ؛ كما قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة الصف : الآيتين ٢ - ٣] ، ولْيحذروا الطنطنة بالمواعظ الرنانة وهم عنها غافلون ، وأنْ يكونوا عالمين بما يقولون ، عاملين بما يُرشدون ، وإلا أصبح العلم الذي يحملونه وَبالاً وضرراً عليهم .

المبحث الثالث : استمرارية العلم :

لقد قرّرت آيات العلم حقيقة واقعية ؛ ونتيجة حتمية ؛ وهي أنّ العلم لا حدَّ لمنتهاه، ولا سقف لغايته ، وأنه ليس لأحد من الخلق ادعاء العلم المطلق لنفسه ، ولأجل ذلك جاء التوجيه الربّاني الكريم للنبي المصطفى الكريم ﷺ بأنْ يدعوَ الله تعالى بزيادة العلم ، وأنْ يرفعه في مقام العلماء ؛ فقال تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه : الآية ١١٤] .

وانطلاقاً منْ توجيه الله تعالى لنبيه ﷺ بطلب المزيد من العلم ؛ أدْرك العلماء أنه لا حدَّ لتحصيل العلم ، وأنه لا يستطيع أحدٌ أنْ يصل إلى مستوىً من العلم ؛ يقول عنده : انتهى طلب العلم وأصبحت أعلم منْ في الأرض ! ، بلْ إنَّ على كلّ من اختزن شيئاً من العلم بين جنبيه ؛ أنْ يستشعر بقلبه وفعله قول الله تعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف : الآية ٧٦] ، " فكلّ عالم فوقه منْ هو أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى عالم الغيب والشّهادة " (١) .

وروى الطبري – رحمه الله تعالى – بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير هذه الآية الكريمة : " يكون هذا أعلم منْ هذا ، وهذا أعلم منْ هذا ، والله فوق كلّ عالم " (٢) .

وقد تواترت الآثار المروية عن السّلف في بيان فضل طلب المزيد من العلم والحرص عليه دون كَلَل أو مَلَل ، انطلاقاً منْ قناعتهم اليقينية بأنه لا شاطئ لبحر العلم ، ومنْ ذلك ما رُوي عنْ معاذ بن جبل ﷺ – سيد الفقهاء – أنه قال : " تعلّموا العلم ، فإنَّ تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وبذله قربة ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة " (٣) .

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٣٥٨ .

(٢) الطبري ، مرجع سابق ، ج ١٣ ، ص ٢٧ .

(٣) ابن جماعة ، بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله الكناني ، تذكرة السّامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، الدمام ، رمادي للنشر ، ط١ ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م ، تحقيق : السيد محمد هاشم الندوي ، ص ٣٥ .

وعنْ أبي ذر وأبي هريرة – رضي الله عنهما – أنهما قالا : " باب من العلم نتعلمه أحبّ إلينا منْ ألف ركعة تطوعاً ، وباب من العلم نُعلّمه عُمل به أو لم يُعمل ، أحبّ إلينا منْ مائة ركعة تطوعاً " [1] .

وإنّ من الدوافع الدّاعية إلى الإكثار من العلم وطَرْق آفاقٍ جديدة لم يسْلكها الأسلاف على طريق الاجتهاد ، بُروز مستجدات جديدة على مختلف نشاطات الإنسان منْ جديد الحضارة وخُطوب الزمان ، تطلّبت الحاجة للبحث عنْ حكم الشّرع تجاهها ، ولا يمكن البتُّ في تلك المستجدات إلا عنْ طريق العلم العميق لكآفة جوانبها منْ حيث موقعها على الخارطة الفقهية ، وتحديد أُصولها في الشّريعة الإسلامية ، وذلك برد الأمر إلى مصادر العلم الإلهية وهي الكتاب والسّنة ، وإلى أُولي العلم الذين يستنبطون منْ هذين الأصلين أحكاماً ؛ تُوافق حكم الله تعالى في مثيلاتها الواقعة في العهد النبوي ، وتُناسب حالَ وظروف الواقعة المستجدة في هذا العصر .

ولأهمية هذا الأمر فقد أثبته القرآن الكريم بين دفْتيه ، ونوَّه على ضرورته ، وفي ذلك تضمينٌ بأهمية الطلب المزيد والنّهَم الشّديد للعلم ، وتحفيزٌ لطالب العلم لكي ينال رتبةً عظيمة ومكانةً عالية في سُلّم درجات العلم ؛ حيث ردَّ الله تعالى الأمر في الحوادث والنوازل إلى أهل العلم المتبحرين فيه ، بعد أنْ ردَّ الأمر إلى رسوله ﷺ ، فكفى العالم شرفاً أنْ يُقرن استنباطه باستنباط الرسول ﷺ ، حيث قال المولى تبارك وتعالى عنْ ذلك : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [سورة النساء : الآية ٨٣] .

قال الإمام الغزالي – رحمه الله تعالى – في هذه الآية الكريمة : " ردَّ حكمه في الوقائع إلى استنباطهم ، وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله " [2] .

ومعلوم أنّ الاجتهاد والاستنباط لا ينقطعان عبر مسيرة حياة العالم ، لأنّ الحوادث تتعدد والوقائع تتنوع ؛ الأمر الذي يستدعي من العالم أنْ يكون ذا علاقة وطيدة بطلب الجديد والمزيد من العلم ، وأنْ يبذل الجهد المتواصل في التلقي عن العلماء ، والاطلاع

(١) نفس المرجع ، ص ٣٦ – ٣٧ .

(٢) الغزالي ، أبو حامد محمد محمد ، إحياء علوم الدين ، بيروت ، دار المعرفة ، د.ت ، ج ١ ، ص ٥ .

المستمر على مؤلفات أهل العلم في جميع التخصصات ، حتى يُعدَّ لكلّ أمر عُدَّته ، ولكل حادث حديثه .

هذا ما يمكن قولُه في الشّق الدّيني لدوافع طرْق المزيد منْ أبواب العلم المتعلّقة بالمستجدات التي تطرأ على مظاهر الحياة ، وأما بالنسبة للشّق الدُّنيويّ والوجهِ الآخر لدافع البحث عنْ أوجه العلم التي لم تُطرق بعدُ ؛ وهو الحفاظ على درجة تقدم حضارة الأمة في وجه الحضارات المنافسة ، لأنَّ تطور حضارة أُمة ما ، وتخلّفها في أُمة أُخرى ، يُنذر بانقراض حضارة الأمة الضّعيفة ، وهذا بالضبط ما يحصل في هذا العصر منْ عَوْلَمة أفكار ومُعتقدات وعادات الدول القوية على حساب الدول الضّعيفة ، وفرْضها بشتى أشكال القوة ؛ سواءً كانت قوة عسكرية أمْ قوة اقتصادية ، حتى تتغلغل مبادئهم في أوساط الأمم الضّعيفة حضارياً ، وتصطبغ بصبغة الدول القوية مُعتقَداً وفكراً ، ولذلك فإنَّ رُقيَّ الآخر في مختلف جوانب الحياة ؛ يُحتّم على أفراد الأمة الإسلامية أنْ يُبحروا بسفن العقول في أعماق محيطات العلم المتنوعة ، سواءً كان هذا المحيط في مجال العلوم الاقتصادية ، أو محيط العلوم التكنولوجية ، أو محيط العلوم الثقافية ، أو محيط العلوم العسكرية ، أو محيط العلوم الطبية ، لأنَّ ما يُمكن اكتشافه الآن ، قد يُعتبر في طيّ التاريخ في اليوم التالي من نفس التوقيت ، وهذا إنْ دلَّ فإنما يدل على اتساع رِقْعة العلم ، وأنه لا حدّ لأكثره .

هذا فيضٌ منْ غيض في الدوافع الداعية إلى التنقيب المتواصل عن العلم بشقيه الدّيني والدُّنيويّ ، ولا شك أنَّ هناك العديد من الأسباب التي يصعب حصرها والتي تحدو بالعلماء إلى أنْ يُواصلوا مسيرة البحث عن الحقيقة في مضمار العلم ، وألا يقفوا عند حد بذاته ، فإنَّ الحياة في تطور وتقدم ، وكلّ أمة تحاول جاهدةً إلى امتلاك أسباب التمكين في الأرض ، والذي لا يمكن أنْ يتأتى إلا منْ خلال الجمع بين طرفي العلم الدّيني والدُّنيويّ ، والْتحامهما جنباً إلى جنب ، لِيُكوِّنا مزيجاً ينجم عنه تكوين درع رادعٍ وواقٍ - بإذن الله تعالى - للأمة منْ أطماع منْ في الخارج وتربص منْ في الداخل .

وقد تعددت معالم إدراك العلماء بأنَّ العلم لا حدّ لأكثره في صُورٍ شتىً ، فمنهم المكثر ، ومنهم المستكثر منْ تلك المعالم ، والتي نجملها في الصُّور التالية :

المعلم الأول : الحثّ على طلب العلم المستديم دون تفرقة بين عالم ومتعلّم ، قال مصعب بن عبد الله – رحمه الله تعالى – : " قال لنا أبي : اطلبوا العلم ! فإنْ يكن لك مال أجْداك جمالاً ، وإنْ لم يكن لك مال أكسبك مالاً " (١) .

ولذلك قال علي بن محمد الكاتب البستي :

" دعوني وأمري واختياري فإنني *** بصير بما أُبدي وأبرم من أمري

إذا ما مضى يومٌ و لم أصطنع يداً *** و لم أقتبس علماً فما هو منْ عمري "(٢) .

المعلم الثاني : الارتحال لطلب العلم ، وهو أمر مقررٌ في سِيَر علماء السَّلف الصَّالح – رضوان الله عليهم – كما روى سفيان بن عيينة ، عن ابن جريج قال : " سمعت شيخاً منْ أهل المدينة – قال سفيان : هو أبو سعيد الأعمى – يحدث عطاء ، أنَّ أبا أيوب رحل إلى عقبه بن عامر ، فلما قدم مصر أخبروا عقبة فخرج إليه ، قال : حديث سمعته منْ رسول الله ﷺ في ستر المسلم ، لم يبقَ أحد سمعه غيري وغيرك ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (منْ ستر مؤمناً على خزية ستر الله عليه يوم القيامة) (٣) ، قال : فأتى أبو أيوب راحلته فركبها ، وانصرف إلى المدينة ، وما حَلَّ رحله " (٤) .

فَوَاعجباً لحال أبي أيوبٍ الأنصاري ﷺ كيف تكبَّد رحلةً شاقةً وطويلةً على راحلته من المدينة المنورة إلى مصر لسماع حديث واحد علم أنه عند عقبة بن عامر ﷺ ، ولما تم له مُراده آب عائداً إلى طيبة الطيبة وما استراح منْ عناء هذه الرحلة المضنية .

و لم تكنْ هذه الصُّورة شاذة منْ بين الصُّور ،و لم يكنْ هذا حال عالم واحد منْ علماء السَّلف فحسب ،بلْ إنَّ جُلّ علماء السَّلف لا يكاد أحدهم تخلو حياته من الرحلة في طلب العلم ،وهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما –حَبْر الأمة وتُرجمان القرآن–يقول عن نفسه:" كان يبلغني الحديث عن الرجل منْ أصحاب النبي ﷺ ،فلو أشاء أنْ أُرسل إليه حتى يجيء فيحدثني فعلت ،ولكني كنت أذهب إليه ،فأقيل على بابه حتى يخرج إليَّ فيحدثني "(٥).

---

(١) ابن عبدالبر ، مرجع سابق ، ج١ ، رقم (٣١٧) ، ص٢٥٩ .

(٢) نفس المرجع ، ج١ ، رقم (٣٢٠) ، ص ٢٦٠ .

(٣) الحميدي ، عبدالله بن الزبير ، مسند الحميدي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ج١ ، حديث رقم (٣٨٤) ، ص ١٨٩ .

(٤) ابن عبدالبر ، مرجع سابق ، ج١ ، رقم (٥٦٧) ، ص ٣٩٢ .

(٥) نفس المرجع ، ج١ ، رقم (٥٦٨) ، ص ٣٩٤ .

إنّ الصّحابة ﷺ بالرغم منْ عُلو قدرهم ورفعة شأنهم وشدة ملازمتهم لرسول الله ﷺ وكثرة محفوظاتهم عنه ، إلا أنّ ذلك لم يمنعهم من الاستزادة من العلم الذي لم يبلغهم ، ففي هذه الآثار وأمثالها إيقاظ وإيقادٌ لهمّة العالم للاستزادة من العلم ، وألا تمنعه مكانته الاجتماعية ومنزلته الدينية من السّؤال عما استشكل عليه .

إنّ منْ فوائد هذا المعْلم العظيم كذلك عدم الركون إلى الراحة والدّعة وترك طلب العلم ، بلْ إنّ على المسلم بذل الوسع في التعلّم كلٌ بحسب حاله ، وألا يُطلب العالم ليجيء إلى المتعلّم ، وإنما التأكيد على أنّ العلم يُسعى إليه ، ولا يسعى هو لطالبه ، والصبر على العالم ، وعدم إزعاجه كما فعل ابن عباس رضي الله عنهما .

ولم يكنْ هذا الطموح الوقّاد محكوراً على الصّحابة ﷺ فحسب ، بلْ تعداه إلى تابعيهم – كما أسلفنا سابقاً – ومنْ ذلك قول سعيد بن المسيب – رحمه الله تعالى – عن نفسه : " إنْ كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد "(١) .

وعن الشّعبي – رحمه الله تعالى – قال : " ما علمت أنّ أحداً من الناس كان أطلب للعلم في أُفق من الآفاق منْ مسروق "(٢) .

وعنْ بُسر بن عبيد الله الحضرمي – رحمه الله تعالى – قال : " إنْ كنت لأركب إلى المصر من الأمصار في الحديث الواحد لأسمعه "(٣) .

إننا لو نظرنا إلى قائمة مشايخ كلّ عالم منْ عُلماء السّلف ، لوجدنا أنّ تلك القائمة قد اكْتظت بنخبةٍ منْ أفاضل العلماء ، وهذا يدل على هَوَان المشقة عليهم في الرحلة إلى طلب العلم ، بلْ والتلذذ بعنائها والاستمتاع بالتعب فيها ، ما دام أنه في مرضات الله ﷻ ، فكثرة مشايخ علماء السّلف وكثرة مؤلفاتهم ؛ لم يكنْ ذلك ليتأتى لولا إدراكهم العميق بأنّ العلم لا حدّ لأكثره ، حيث لم يكتفِ الواحد منهم بالسّماع منْ علماء بلده ، بلْ كان برنامجهم التعليمي يبتدئُ بتحصيل ما لدى شيوخ بلدانهم من العلم ، وينتهي بجمع ما حَوَته صدور أهل العلم في البلدان القريبة والبعيدة عنهم على حدٍّ سواء ، ولم تكنْ الحدود

---

(١) نفس المرجع ، ج١ ، رقم (٥٦٩) ، ص ٣٩٥ .

(٢) نفس المرجع ، ج١ ، رقم (٥٧٢) ، ص ٣٩٧ .

(٣) نفس المرجع ، ج١ ، رقم (٥٧٦) ، ص ٣٩٨-٣٩٩ .

الجغرافية ولا الظروف المناخية تشكل عائقاً أو مانعاً لهم عن القيام بهذا العمل العظيم ، وقد سطّروا بذلك أروع الأمثلة في الهمة العالية والبذل المنقطع النظير في الرحلة لطلب العلم ، ويأتي في مقدمتهم صنّاع الحِرفة الحديثية ؛ الذين سبقوا غيرهم في هذا المضمار ، ثم اقتدى بهم أهل الفنون الأخرى ، وتتبّع خُطاهم منْ بعدهم من الطلبة عبر الأزمان وإلى يومنا هذا ؛ وما زال الطلاب يتنقلون بين الدول المختلفة لطلب العلم هنا وهناك ، وإليك نزراً يسيراً منْ سِيَر بعض أعلام الترحال في طلب العلم منْ علماء السَّلف ، وهم على النحو التالي :

❃ الإمام البخاري – رحمه الله تعالى – " قام برحلة طويلة سنة ٢١٠هـ في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام ، وسمع منْ نحو ألف شيخ ، وجمع نحو ست مئة ألف حديث " (١) .

❃ الإمام مسلم – رحمه الله تعالى- " رحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق ، أشهر كتبه صحيح مسلم ، فيه أربعة آلاف حديث كتبها في خمس عشرة سنة " (٢) .

❃ الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله تعالى – سافر في طلب العلم " أسفاراً كبيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والثغور والمغرب والجزائر والعراقين (العراق الحالي العربي والأهواز العراق الأعجمي) وفارس وخراسان وإقليم الجبال ، وصنّف المسند ، يحتوي على ثلاثين ألف حديث " (٣) .

❃ الإمام أبو سعد السمعاني – رحمه الله تعالى- ضرب المثل في طلب العلم ، حيث رحل إلى الكثير من البلدان ، وصنف العديد من المصنفات ، قال عنه الإمام الذهبي – رحمه الله تعالى – : " ثم رحل بنفسه وله ثلاث وعشرون سنة ، فسمع من الفراوي وطبقته بنيسابور، وهراة ، وبغداد ، وأصبهان ، ودمشق " (٤) .

---

(١) أبو خليل ، شوقي ، أطلس السيرة النبوية ، دمشق – بيروت ، دار الفكر ، ط ١، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦.

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٣٦ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٣٨.

(٤) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، العبر في خبر من غبر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، ج٣ ، ص ٣٨ .

هذا بالنظر إلى قائمة شيوخهم وأما بالنظر إلى قائمة مؤلفاهم ، فإنَّ نظـرة سـريعة وعابرة على تلك المؤلفات تُوحي للمطّلع عليها بأنه حقاً لا حدّ للعلم ، وأنَّ هؤلاء العلماء قدِ استفادوا منْ لحظات حياهم أكبر الاستفادة وأعظمها ، وشغلوا أعمارهم في كلّ ما فيه نفع لأنفسهم ولأمتهم منْ بعدهم إلى قيام السّاعة ، فحريٌّ بكلّ باحث أنْ يُشمِّر عنْ ساعد الجدِّ والاجتهاد على طريق البحث عن الحقيقة كلٌ في مجال تخصصه ، حتى يصل في ختام المطاف إلى الحقيقة التي ينشدها الجميع .

إنَّ المتصفح للفترات التي مرَّت بها الأمة الإسلامية ، سواء كان في مراحل ضعفها أو قوتها ، يجد نفسه أمام بحر زاخر من المؤلفات التي يصعب حصرها ، حيث أنه لم تخلو حقبة منْ حقب التاريخ ، إلا وفيها منْ يُعطّر أجواء تلك المرحلة بمؤلفات فاق عبيرُها الآفاق ، والتي تصب في مُؤداها كما قررنا سابقاً إلى أنَّ العلم لا حدَّ لأكثره .

وفيما يلي نُعرّج على عدد منْ أعلام التأليف في الحضارة الإسلامية ، وهم :

- الإمام أبو حامد الغزالي – رحمه الله تعالى – حيث " صنف ما يزيد عنْ مائتي مُؤَلّف في مختلف العلوم والفنون " (١) .
- وأما الإمام أبو الفرج ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – فقد صنف عدداً كبيراً من المؤلفات في مختلف تخصصات عصره ، حتى قال عنه ابن خلكان : " وكتب بخطه شيئاً كثيراً ، والناس يُغالون في ذلك ، حتى يقولوا أنه جمعت الكراريس التي كتبها ، وحُسبت مدة عمره ، وقسمت الكراريس على المدة ، فكان ما خفي كلّ يوم تسع كراريس ، وهذا شيء عظيم لايكاد يقبله العقل ، ويُقال : أنه جُمعت برّاية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ ، فحصل منها شيء كثير ، وأوصى أنْ يُسخن بها الماء الذي يُغسل به بعد موته ، ففعل ذلك ، فكفت وفضل منها " (٢) .
- والإمام ابن جماعة – رحمه الله تعالى – قال عنه الذهبي : " قاضي القضاة شيخ الإسلام، الخطيب ، المفسر ، له تعاليق في الفقه والحديث والأصول والتواريخ و غير ذلك ، وله

(١) ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن أبي بكر ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م ، تحقيق : إحسان عباس ، ج٣ ، ص ٣٥٣ .

(٢) نفس المرجع ، ج٣ ، ص ١٤١– ١٤٢.

مشاركة حسنة في علوم الإسلام ، مع دين وتعبد... وأوصاف حميدة ،وأحكام محمودة، وله النظم والنثر والخطب والتلامذة والجلالة الوافرة، والعقل التام الرضي "[1] .

إننا نستطيع القول بعد هذا التطواف الجميل والممتع في حياة هؤلاء الأفذاذ من العلماء ، الذين أكّدوا لنا بترحالهم الطويل ومؤلفاتهم العديدة نفس الحقيقة القرآنية التي وضعتها الآية القرآنية – مستند هذا المبحث – وهي قوله تعالى : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة يوسف : الآية ٧٦] ، فكلما رَحَل طالب العلم إلى عالم من العلماء لينهل منْ علمه ، توجّه على الفور إلى عالم آخر علّه أنْ يجد عنده ما لم يجده عند سابقه منْ أهل العلم ، فكلّ عالم فوقه منْ هو أعلم منه ، وبناءً على ذلك فلا يمكن القول بأيّ حال من الأحوال – استناداً على هذه الآية الكريمة – أنّ العلم قد انتهى أمدُه ، وانقطع طرفُه ، وجفت بحارُه ، لأنّ الواقع يشهد بضدّ ذلك ، ففي كلّ يوم تبرز لنا مُكتشفات جديدة ، ونظريات مُبتدعة ، وآليات مُخترعة وأجهزة مُبتكرة ، تخدم الإنسان في مجالات الحياة المتنوعة .

وإنه لفي بادرة منْ نوعها ؛ فقد أدْرج الباحث في هذا البحث صوراً تتضمّن خرائط جغرافية [2] ، يتبين منْ خلالها مدى الجهد العظيم الذي بذله رحالات الحديث في سبيل جمع أحاديث الرسول ﷺ منْ بلاد شتى ، عملاً بمبدأ لا حدّ لأكثر العلم ، والتي تُوضح في مضمونها أنّ العلم يتجاوز الحدود المكانية والزمانية ، وأنه غير مُقيد بزمان دون زمان ، أو مكان دون مكان ، فقد يشترك الجميع في الهدف من الرحلة ؛ ألا وهو جمع أحاديث الرسول ﷺ منْ رواته الذين سمعوه عمّنْ قبلهم ، ولكنّ الاختلاف يبرز جلياً في القدْر الذي تحصّل عليه كلّ واحد منهم ، والذي يُؤكد لنا حقيقة اتساع رِقعة العلم وتجاوزه لحدود الزمان والمكان لكلّ عصر .

<u>المعلم الثالث</u> : كثرة مُذاكرة العلم لئلا يَنْدرِس ، والدَّأْبُ على ترسيخه وتثبيته لئلا يُنسى ، والعمل على توثيق ما في الصّدور بتقييده في السّطور ، لأنّ ذلك يزيد منْ أواصر

---

(١) ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت ، ج٥ ، ص ١٠٦ (باختصار) .

(٢) انظر الملاحق ، مُلحق [د] : الخرائط ، ص ٢٨٦.

القُرْبى بين العقل والقلم ، والصّدر والسّطر ، والذي ينتج عنه تباعاً حفظ العلم ، وقد ورد في ذلك من الآثار المرويّة والدّالة على عمل السّلف بهذا المعلم الشيء الكثير ، ومنها :

قال عبدالله بن مسعود ﷺ : " تذاكروا الحديث ، فإنه يهيج بعضه بعضاً " (١) .

وعن الأعمش ، عنْ إسماعيل بن رجاء - رحمهما الله تعالى - : " أنه كان يأتي صبيان الكتاب فيعرض عليهم حديثه كي لا ينساه " (٢) .

وأحسب أنّ هذا الصنيع فيه من الجواهر التربوية ما لا يخفى ، ومنها تثبيت المحفوظ بكثرة ترداده ، وبيان فائدة المراجعة للمحفوظ من العلم ، بلْ والتأكيد على ضرورة المسارعة في ترسيخ ما يتعلّمه المتعلّم بالمراجعة الدوريّة للمحفوظ ، ومنْ هنا تبرز أهمية المقولة التربوية الشّائعة وخاصة في مجال التعليم والتي تقول : لا تُؤجل عمل اليوم إلى الغد .

ومن الحكم في تكرار المحفوظ أنه قد يَعْرِض للمراجع بعض اللطائف العلمية التي قد خفيت عليه عند حفظه لأول مرة ، أو عند مراجعته للمرات السّابقة ، والتأكيد على أنّ العلم لا حدّ له ، ولو لم يكنْ ذلك إلا في مجرد إعادة النظر والتأمل في المحفوظ لمراتٍ عدة ، لكان كافياً في استنتاج العالم لبعض المسائل الدقيقة المتفرعة عنْ ذلك المحفوظ ، والتي لا تقلّ أهميتها عنْ أصل المحفوظ .

ومن الفوائد الجليلة لهذا المعلم العظيم ربط الناشئة بموهبة الحفظ ، التي أوْدعها الله تعالى في الإنسان ، والتي تُواجه الآن حرباً ضروساً منْ قبل تربوي الغرب ، حيث يُوجّهون إلى هذه النعمة العظيمة - التي لا تُقدر بثمن - السّهام القاتلة لمحوها من الوجود الإنساني ، بدعوى أنّ الطريق السّليم نحو التعلّم الأفضل هو الفهم وليس الحفظ ، وأنّ الحفظ أصبح من الطرق التقليدية المستخدمة في التعليم ، ولا شك في بطلان هذا الاتهام ، ونسيَ هؤلاء المتعالمون أو تناسوا أنّ الحفظ هو طريق الفهم ، وما فائدة الفهم إذا لم يُقرن بالحفظ ، إنّ الفهم إذا لم يقترن بأخيه الحفظ فإنه يصبح عديم الجدوى ، إذْ كيف يستذكر الطالب - وغيره - المسألة التي فهمها في الوقت الذي يحتاج إلى استرجاعها ! إذا لم يكن قد حفظها، فإنها بالتأكيد سوف تصبح في طيّ النسيان ، وأشبه ذلك بمنْ يركب المركبة ويحاول

---

(١) ابن عبدالبر ، مرجع سابق ، ج١، رقم (٦٢٨) ، ص ٤٢٤ .

(٢) نفس المرجع ، ج١، رقم (٦٢٩) ، ص ٤٢٤-٤٢٥ .

قيادتها بدون وقود ، فهل ستتحرك المركبة منْ غير وقود ! ، فكذلك الحفظ الذي يُعدّ وقوداً للفهم ، ولنْ يتم الفهم بشكل جيد حتى يمرّ الطالب في طريقه للفهم على محطة الحفظ فيتزود منها ما يُعينه على حفظ المسألة المفهومة ، ولا يعني هذا إهمال الفهم ، بل المقصود منْ ذلك الاهتمام بهما سوياً ، مع تغليب جانب الحفظ شيئاً قليلاً ، إذْ أنّ الحفظ كان له الفضل – بعد الله تعالى – في إنقاذ الكمّ الهائل من العلم الذي أغرقه التتار إبّان غزوهم السّاحق الماحق لبغداد عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك ، فلو لم يكنْ ذلك العلم المسطر في الكتب التي أُغرقت في الأنهار ؛ لو لم يكنْ محفوظاً منْ قَبلُ في صُدور العلماء ، لما تَسَنَّى إعادة ذلك العلم الجمّ منْ تلك الكتب الكثيرة التي لوّن حبرها الأنهار ، ولأصبح من الصّعوبة بمكان استرداد ما تلف منْ تلك الكتب ، فتبين لنا أهمية الحفظ وفائدته العظيمة في هذا الموقف العصيب .

وقد كانت العرب سابقاً تفتخر بقوة الحفظ للأشعار والأمثال ، عندما كانت الأمية تضرب بأذيالها على جزيرة العرب إلا البعض منْ أهلها ، ولذلك جاء التصوير النبوي لهذه الحالة في الحديث الذي رواه الإمام مسلم – رحمه الله تعالى – عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول ﷺ : " إنا أُمّة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشّهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الإبهام في الثالثة ، والشّهر هكذا وهكذا وهكذا يعني تمام ثلاثين " (١) .

قال الإمام النووي – رحمه الله تعالى – في شرح هذا الحديث ما نصّه : " قوله ﷺ : (إنا أُمّة أُمية لا نكتب ولا نحسب الشّهر هكذا وهكذا وهكذا) قال العلماء : أُمّية باقون على ما ولدتنا عليه الأمهات ، لا نكتب ولا نحسب ، ومنه النبي الأمي ، وقيل هو نسبة إلى الأم وصفتها ، لأنّ هذه صفة النساء غالباً " (٢) ، فكان وصفه ﷺ بالأمية لأمته باعتبار أنه وصفٌ لحال الأمة آنذاك ، وهو أيضاً منْ دلائل نبوته ﷺ ، إذْ لو كان متعلّماً لكان ذلك أدْعى للشك فيه والطعن في رسالته منْ قِبل المشركين .

---

(١) النيسابوري ، مرجع سابق ، كتاب (الصيام) ، باب (وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال وأنه إذا غُم في أوله أو آخره أُكملت عدة الشهر ثلاثين يوماً) ، ج ٢ ، حديث رقم (١٠٨٠) ، ص ٧٦١ .

(٢) النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف ، صحيح مسلم بشرح النووي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ ، ج٧ ، ص ١٩٢ – ١٩٣ .

إنَّ انحسار مدّ الأمية إلى حدّ ما عنْ هذه الأمة في هذا الوقت لا يمكن أنْ يكون سبباً للاستغناء عن الحفظ ، فالحفظ ضرورة مُلحة ، لا يستطيع أحد أنْ يعيش حياة سويّة بدونه ، بلْ إنَّ فقدان الحفظ يُعد مُؤشراً خطيراً ومَعْلماً على دخول الإنسان في دوَّامة الشيخوخة المتأخرة ، والتي لا يتذكر الإنسان فيها نفسه وأهله ، أو إصابته بمرض فقد الذاكرة الذي قد ينسى معه الإنسان مُقتطفات منْ حياته برمّتها .

ومنْ هنا كان للمقولة التعليمية القديمة - الواسعة النطاق - أهميتها ، والتي تقول : العلم في الصّغر كالنقش على الحجر ، أيّ أنَّ الحفظ لدى الطلاب يكون أقوى في مراحلهم التعليمية الأولى ، وتقلّ هذه النسبة كلما ازداد الإنسان في العمر ، فما حفظه الطالب في سِنيّ عمره الأُولى قد لا ينساه طيلة حياته ، لأنه منقوش على صخرة الذاكرة ، ما لم يعترضه شيء منْ عوامل التعرية كالنسيان .

ولا يجد الإنسان إزاء هذا العلم الزاخر الذي لا نهاية له ، إلا أنَّ يختزنه في ذاكرته ؛ رَيْثما يأتي الوقت المناسب لاستذكاره واسترجاعه ، كما لا نغفل جانباً كبيراً وعاملاً مهماً منْ عوامل حفظ التراث لدى الأمة ، ألا وهو حفظه عنْ طريق القيد بالكتابة ، فإنَّ اجتماع هاتين الطريقتين للحفظ ، الحفظ الغيبي والحفظ الكتابي ؛ يدلّ على مدى كمال النضج العقلي الذي وصلت إليه الأمة .

المبحث الرابع : العلم معيار التفاضل :

إنّ من العدل ألا يُسوَّى العالم بمنْ دونه في العلم والفضل ، فأهل العلم دوماً في مُقدمة الأمم ، وهم شامةٌ بيضاء في جبين التاريخ ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في غير ما موضع منْ آياته ، ومنها قوله ﷻ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة الزمر: الآية ٩] .

إنّ لأهل العلم مكانة خاصة عند المولى ﷻ ، تقرّرت هذه المكانة وتأكّدت منذ أنْ فضّل الله تعالى آدم عليه السلام على الملائكة المكرمون؛ الذين يعبدون الله –تعالى– الليل والنهار لا يفترون ، وكان السّبب وراء ذلك التكريم هو ما ناله آدم عليه السلام منْ مَكْرُمات الربّ تبارك وتعالى ؛ حيث خلقه بيديه ؛ ونفخ فيه منْ روحه ، وأسبغ عليه علماً منْ علمه ؛ فكانت كلّ تلك المنح الربَّانية سبباً وجيهاً لتكريم آدم عليه السلام وسجود الملائكة – عليهم السّلام – له ، سجود تعظيم وتشريف واستجابة لأمر الله ﷻ ، إلا أنّ السّبب الرئيس وراء تفضيل آدم عليه السلام هو العلم الذي وَهَبه الله تعالى له ، والذي لم تكنْ الملائكة حينها مُزودة بهذا المؤهل .

قال الله تعالى في قصّة هذا التفضيل بعد أنْ أوْضح للملائكة – عليهم السّلام – أنه سيجعل في الأرض خليفة له ؛ فكأنهم أبدوا شيئاً من التعجب ، إذْ كيف يجعل في الأرض منْ يقتل فيها ويسفك الدماء ! ، وهم ملائكته المقربون ، الذين يعبدونه ولا يعصونه ، إلا أنّ حِكمة الله تعالى أبت إلا أنْ تختار مخلوقاً آخر – وهو آدم عليه السلام – للقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض ، وجعل الله تعالى فيه مزايا التكريم ومُؤهلات التفضيل ، وأجْرى لملائكته اختباراً لِيُبين لهم الميزة والخصيصة التي تفوَّق بها آدم عليه السلام على الملائكة المكرمون ؛ وهي ميزة العلم ؛ فقال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [سورة البقرة : الآيات ٣١ – ٣٣] .

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : " فلما أخذ في خَلْقِ آدم همست الملائكة فيما بينها فقالوا : ليخلق ربنا ما شاء أنْ يخلق ؛ فلنْ يخلق خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه ، فلما خلقه ونفخ فيه منْ روحه ، أمرهم أنْ يسجدوا له لما قالوا ، ففضّله عليهم فعلموا أنهم ليسوا بخير منه ، فقالوا : إنْ لم نكن خيراً منه فنحن أعلم منه لأنا كنا قبله وخلقت الأمم قبله ، فلما أُعجبوا بعلمهم ابتُلوا : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾إني لا أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم منه ، فأخبروني بأسماء هؤلاء إنْ كنتم صادقين ، قال ففزع القوم إلى التوبة وإليها يفزع كل مؤمن ، فقالوا : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ لقولهم ليخلق ربنا ما شاء فلنْ يخلق خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم منا " (١) .

وحيث أنَّ القصّة السّابقة كانت تتحدث في شأن الخلافة الكبرى لأبينا آدم عليه السلام على وجه الأرض ؛ نُورد الآن قصّة قرآنية أُخرى مماثلةً لها في الهدف ومُشابهةً لها في المقصود وهو التفضيل المبني على العلم ، حيث بيَّنت لنا هذه القصّة أيضاً مكانة العلم وأهميته في التفضيل ، ولكن هذه المرة كانت في شأن خلافةٍ أصغر من الخلافة الأولى ، وتُضيف هذه القصّة على سابقتها بنداً جديداً منْ بنود التفضيل بين الناس ، إضافة إلى بند العلم ألا وهو بند القوة ، حيث قال المولى تبارك وتعالى في شأن الملأ منْ بني إسرائيل ؛ الذين طلبوا منْ نبيهم أنْ يُعين لهم ملكاً يُقاتلون أعداءهم تحت إمرته ، فردّ عليهم : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٤٧] .

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى – : " أي لما طلبوا منْ نبيهم أنْ يُعين لهم ملكاً منهم ، فعين لهم طالوت ، وكان رجلاً منْ أجنادهم ولم يكنْ منْ بيت الملك فـيهم ، لأنَّ

(١) الطبري ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص٢٠٦ .

الملك كان في سبط يهوذا و لم يكنْ هذا منْ ذلك السبط ، فلهـذا قـالوا : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ أي : كيف يكون ملكاً علينا ،﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾ أي : هو مع هذا فقير لا مال له يقوم بالملك ، وقد ذكر بعضهم أنه كان سـقاء ، وقيل دباغاً ، وهذا اعتراض منهم على نبيهم وتعنّت ، وكان الأوْلى بهـم طاعـة وقـول معروف، ثم قد أجابهم النبي – ﷺ – قائلاً : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ ﴾ أي : اختـاره لكم منْ بينكم ، والله أعلم به منكم ، يقول : لست أنا الذي عينته منْ تلقاء نفسي ، بل الله أمرني به لما طلبتم مني ذلك ، ﴿ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ أي : وهو مع هـذا أعلم منكم وأنبل وأشكل منكم وأشدّ قوة وصبراً في الحرب ومعرفة بهـا ، أي : أتمّ علمـاً وقامةً منكم ، ومنْ ههنا ينبغي أنْ يكون الملك ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة في بدنـه ونفسه ، ثم قال : ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ﴾ أي : هو الحاكم الذي ما شاء فعـل و﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ لعلمه وحكمته ورأفته بخلقه ، ولهذا قـال ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي : هو واسع الفضل يـختص برحمته منْ يشاء ، عليم بـمنْ يستحق الملـك مـمنْ لا يستحقه " (١) .

إنّ لنا مع هاتين القصّتين العظيمتين وقفات تربوية عظيمة المعنى جليلة المغزى ، ولعلّ منْ أهمها : ضرورة إقامة عملية الانتقاء والتفضيل على أُسس علمية خالصة من الشّـوائب الذاتية ، حتى يخْلُص لنا في نهاية عملية الاصطفاء عينة ذات كفاءة عالية وقدرة فائقة في إنجاز ما يُوكل إليها منْ مهام مستقبلية ، فَلَرُبما تولّى أحد أفراد تلك العينة المنتقاة زمام القيادة على الأمة ، أو أصبح مديراً لدائرة ما ، أو رئيساً لقسم ما ، أو حتى مُوظفـاً مرؤوسـاً ، فإنـه بالتأكيد سيسعى جاهداً إلى الأخذ بأيدي زملائه ومرؤوسيه إلى النجاح والتفوق دوماً .

في حين لو تدخلت النواحي الشخصية والمصالح المتبادلة في عملية الانتقاء ، فإنه قد يقع الاختيار على شخص ليس بالكفء ، وليس أهلاً للقيام بأعباء المهمة المـراد شـغلها بالشخص المناسب لها ، مما يترتب عليه شلّ فاعلية أداء تلك الوظيفة ، وإلحاق الضّرر بشكل

---

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ١٤٠١ هـ ، ج١ ، ص ٣٠٢ .

مباشر أو غير مباشر بزملائه ومتبوعيه في ذلك المنصب ، وتعطيل مصالح الأمة عبر طرق متنوعة ، كتأخير المراجعين واستهتار الموظفين .

ومنْ فوائد هاتين القصّتين التسليم بنتيجة عملية التفضيل منْ أوّل وَهْلة ، وذلك إنْ كانت مبنية على أُسس علمية ، وكان المشرف عليها ممنْ عُرف بنزاهته الْخُلقية وأمانته العلمية ، وعدم التردد والتذبذب في الموافقة على الشخص المصطفى عبر وسائلٍ بالغة الدقة وشديدة الشّفافية ، لأنّ ذلك يعني الوقوف في وجه العدالة والتصدي لمحاولات الإصلاح التي يسعى إليها أفراد الأمة الغَيُورين .

ومنْ فوائد هذه الآيات الكريمة كذلك أنّ الشخص الذي وقع عليه الاختيار ، ينبغي عليه القيام بتَبِعات هذا الاصطفاء أكمل قيام ، وأنْ يكون متحملاً للأعباء الملقاة على عاتقه بمجرد حصول الانتقاء عليه ، لأنّ مجرد الإحساس بالمسؤولية هو في حدّ ذاته نوع من المطالب المهمة التي ينبغي أنْ تتوفر في الشخص الْمُختار ، سواء كان رئيساً أم مرؤوساً ، فالشّعور بالمسؤولية يُولّد العمل المتزن الخالي من الاندفاع الأهوج ، والمقرون بالتخطيط الفعّال والمنتهي – بإذن الله تعالى – بالهدف المنشود .

إنّ عملية المفاضلة لا تكون في الغالب إلا لأمرٍ غاية في الأهمية ، ولذلك ينبغي بذل المزيد من الحرص والتركيز والعناية في هذه العملية ، وأنْ لا يقع الاختيار إلا على أفضل الموجود من المتقدمين ، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، لأنّ منْ يصلح لأداء عمل هنا قد لا يصلح لإنجاز عمل هناك .

وكما أنّ آيات العلم لم تدع الإشارة إلى مميزات منْ كان الاختيار حليفه ، فهي أيضاً لم تُغفِل حال القائم على الاختيار ، فالآيات السّابقة تحدثت عنْ سمات الشخص الْمُختار ، وهنا نُورد أيضاً بُرهاناً نيِّراً وآيةً كريمةً بيَّنت حال القائم على عملية الاصطفاء والاختيار ، حيث قال ﷻ عنْ ذلك : ﴿ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الدخان : الآية ٣٢] .

قال الألوسي – رحمه الله تعالى – : " ﴿ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ ﴾ أي : اصطفينا بني إسرائيل وشرفناهم ، ﴿ عَلَىٰ عِلۡمٍ ﴾ أي : عالمين باستحقاقهم ذلك ، أو مع علم منا بما يفرط منهم

في بعض الأحوال ، وقيل عالمين بما يصدر منهم من العدل والإحسان والعلم والإيمان... ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي : عالمي زمانهم كما قال مجاهد وقتادة ، فالتعريف للعهد أو الاستغراق العرفي ؛ فلا يلزم تفضيلهم على أمة محمد ﷺ الذين هم خير أمة أُخرجت للناس على الإطلاق ، وجُوِّز أنْ يكون للاستغراق الحقيقي والتفضيل باعتبار كثرة الأنبياء عليهم السّلام فيهم لا منْ كلّ الوجوه حتى يلزم تفضيلهم على هذه الأمة المحمدية " [1] .

وهكذا يمكننا القول بعد استعراض هذه الآية الكريمة بأنّ تمكين أهل العلم من المناصب القيادية التي منْ شأنها الانتقاء والاصطفاء لمنْ يشغلون الوظائف ضرورة مُلحّة ، وذلك لأنهم حينما يقومون بإشغال الوظائف ، فإنهم يشغلونها بالأكْفَاء أمانةً وعلماً ، دون النظر إلى المجاملات أو الرّشاوى أو غيرها من الأمور التي قد تعترض - في الغالب - الشخص المُوكل إليه اختيار المتقدمين لشغل وظيفة ما ، لأنهم حينما يقومون بهذا العمل ، يضعون نصب أعينهم مخافة الله ﷻ دون ما سواه ، وبالتالي تُشغل الوظائف بمستحقيها منْ أهل الاختصاص ، فإذا ما تمَّ ذلك ، قام كلّ موظف بعمله على أحسن وجهٍ وأتمه ، وأحسَّ الناس بسرعة إنجاز حوائجهم في مختلف القطاعات الخاصة والعامة ، الأمر الذي يترتب عليه رِفعة ذلك المجتمع وتقدمه في جميع مجالات الحضارة الإنسانية .

---

(١) أبو الفضل ، محمود الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د.ت ، ج ٢٥، ص ١٢٥ - ١٢٦ (باختصار) .

المبحث الخامس : التحقق العلمي :

لقد حثّ الإسلامُ المسلمَ على التحقق منْ كلّ أمر يُواجهه ، وأنْ يَزِن أقواله وأفعاله بميزان الشّرع المطهّر ، وألا يتسرع في البتّ في الأمور دون رويّة ولا دِراية ، فالأناة محمودة والعجلة مذمومة ، فالقول بلا تحقق قد يُفضي بالإنسان إلى دائرة الكذب عَلِم أمْ لم يعلــم ، كما قال النبي ﷺ : " كفى بالمرء إثماً أنْ يُحدث بكلّ ما سمع " (١) .

فعلى المسلم أنْ يلتزم الحياد والموضوعية في كلّ قولٍ وفعل ، بلْ عليــه كــذلك أنْ يتحقق منْ صحة ما يسمعه ، وألا يتحدث إلا بما هو متأكد مــنْ صــوابه ، لا شــاكٌ في رجحانه في كفتي الميزان إما للصّواب أو الباطل ، فضلاً أنْ يكون في كِفّة الباطل ، فإنّ أمامه يومٌ تُحصى عليه مثاقيل الخردل ، كما يحاسب على عظائم الأمور .

إنّ المسلم في ظلّ دين الإسلام مطلوب منه ألا يكون إمعةً مُقلّداً ، بلْ عليه أنْ يكون علمياً محققاً في كلّ ما يأخذ ويذر ، صغيراً كان الأمر أمْ كبيراً ، وأنْ يكون على علم تــامٍ بعواقب أقواله وأفعاله التي تصدر عنه ، لأنّ المولى ﷻ وضع في نفس المؤمن رقيب داخلــي يتمثل في قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٣٦] .

قال العلامة شهاب الدين المصري – رحمه الله تعالى – :" أي : لا تتبع ما لا تعلــم ولا يعنيك " (٢) .

وقال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – نقلاً عنْ قتادة : " لا تقلْ رأيت و لم تــر ، وسمعت و لم تسمع ، وعلمت و لم تعلم ، فإن الله تبارك وتعالى سائلك عنْ ذلك كلّه " (٣) .

إنّ التوقف عند الأمور التي ليس للإنسان فيها علم لا منْ قريب ولا منْ بعيد هــو طريق الرّشاد ، والمجازفة فيها إنما هو منْ قبيل المخاطرة ، والدخول في معْمعة لا يُدرى مــا

---

(١) الحاكم ، محمد بن عبدالله النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١١ هـ = ١٩٩٠م، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا ، كتاب (العلم) ، ج ١ ، حديث رقم (٣٨١) ، ص ١٩٥ .

(٢) المصري ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

(٣) الطبري ، مرجع سابق ، ج ١٥ ، ص ٨٦ .

نهايتها ! ، فالتزام المسلم بهذا التوجيه الربّاني الكريم يجنبه كثيراً من المتاعب التي قد يقع فيها إنْ أقْحم نفسه فيما لا علم له به .

إنّ المسلم إذا جعل هذه الآية الكريمة نصْب عينيه ؛ فإنه سيصبح بلا شك حابساً نفسه ورادعها عنْ كلّ أمر يجهل حقيقته ، وممتنعاً عن الخوض قولاً وفعلاً في الأمور التي لا يعرف مداخلها ومخارجها ، إنّ الانقياد لهذا النهي كفيل بأنْ يجعل الإنسان لا يُقدم إلا على أمور قدِ استوفى جوانبها دراية وعلماً .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – في تفسير آية الإسراء : " ولا تتبع ما ليس لك به علم ، بلْ تثبّت في كلّ ما تقوله وتفعله ، فلا تظنّ ذلك يذهب لا لك ولا عليك ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ، فحقيقٌ بالعبد الذي يعرف أنه مسْؤول عما قاله وفعله ، وعما استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته ، أنْ يُعِدّ للسّؤال جواباً ، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله ، وإخلاص الدين له ، وكفّها عما يكرهه الله تعالى " [1] .

إنّ هذه الآية الكريمة تطلب منْ كلّ مسلم أنْ يكون مستشعراً لمراقبة الله ﷻ له في استخدام جوارحه المختلفة ، وعلى وجْه التحديد تلك الجوارح التي خصّها الله تعالى بالذكر في هذه الآية ، كما تُربي المسلم لكي يكون ذا عناية تامة بمدخلات الحواس الثلاثة الممنوحة له ، وهي : السّمع والبصر والفؤاد ، وكذلك سائر الجوارح ، فهذه الوسائل منحها الله تعالى للإنسان لتكون عَوْناً له على التعامل مع العالم المحيط ، والاستفادة منها في معرفة ما يجهله ، كما قال الله ﷻ : ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل : الآية ٧٨] ، فهذه الأدوات إنما أُعطيت لنا لنشكر الله تعالى بها ، وشكر الله تعالى يكون بتسخيرها في طاعة الله ﷻ ومرضاته ، والاستفادة منها في إعمار الأرض إعماراً دينياً ودنيوياً .

يقول الشيخ سيد قطب – رحمه الله تعالى – في هذه الآية : " والأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث ليست سوى طرف من الأمانة العقلية التي يعلن القرآن

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٤٠٩ .

تبعتها الكبرى ، ويجعل الإنسان مسؤولاً عنْ سمعه وبصره وفؤاده أمام واهب السّمع والبصر والفؤاد ، إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب ، أمانة يُسأل عنها صاحبها ، وتُسأل عنها الجوارح والحواس والعقل والقلب جميعاً ، أمانة يَرْتعش الوجدان لدقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة ، وكلما روى الإنسان رواية ، وكلما أصدر حكماً على شخص أو أمر أو حادثة ، ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ ولا تتبع ما لم تعلمه علم اليقين ، وما لم تثبت منْ صحته منْ قول يُقال ، ورواية تُروى ، ومنْ ظاهرة تُفسر ، أو واقعة تُعلّل ، ومنْ حكم شرعي ، أو قضية اعتقادية " (١) .

إنّ خُلق الأمانة لا يقتصر " على حفظ الأمانة وإعادتها إلى صاحبها ، بلْ تشمل كلّ ما كُلّف به الإنسان من الواجبات وما عُهد إليه من المسؤوليات ، ومنْ ذلك أنْ يحفظ أعضاءه وحواسه ، وأنْ يستعملها في طاعة الله ، وأنْ يقوم بالعبادات المفروضة على أحسن وجه ، وأنْ يخلص في عمله ويتقنه " (٢) .

إنّ الآية القرآنية السّابقة كشفت لنا عنْ أهم أساس منْ أُسس البحث العلمي ، وأعظم ما تُبنى عليه الحقائق ، وترتكز عليه النظريات العلمية ، وهو التأكد والتحقق العلمي، فلا بدّ منْ دراسة كلّ ظاهرة دراسة مستفيضة ، والتثبّت منْ كلّ خبر ، وإقامة الدليل على كلّ ما يُقال .

ومنْ صور التثبت العلمي التي عنيت بها آيات العلم وخصّتها بالذكر ؛ عدم القول بلا علم ، حيث أرْشد القرآن الكريم في حوار لطيف رحيم بين الرب ﷻ وبين رسوله نوح عليه السلام إلى قضية جدُّ مهمة ، وفحْواها النهي عن القول فيما لا علم للإنسان فيه ، والامتناع عن الحديث الملتبس ، والتوقف عما لا دليل عليه ، حتى يتضح الحقّ من الباطل ، ويَبين اللبس ويظهر الصّواب ، وتُقام الحجة ويُعطى الدليل ، حيث يقول تعالى عنْ رسوله نوح عليه السلام حينما دعا ربه ﷻ لابنه الذي غرق في الطوفان الذي أهلك الله - تعالى - به منْ كفر برسالة نوح عليه السلام ، فقال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ

(١) قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، القاهرة ، دار الشروق ، ط ١٧ ، ١٤١٢ هـ ، ج٥ ، ص ٣٤ .

(٢) عمر ، عمر أحمد ، منهج التربية في القرآن والسّنة ، دمشق ، دار المعرفة ، ط ١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م ، ص ١٣٦ .

عِلْمٌ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة هود : الآيات ٤٥ – ٤٧] .

قال الإمام الواحدي – رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآيات: " ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى ﴾ كنعان ﴿ مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾ وعدتني أنْ تنجيني وأهلي ، أي : فأنجه من الغرق ، ﴿ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أعدل العادلين ، ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ الذين وعدتك أنْ أنجيهم ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ أي : سؤالك إيايّ أنْ أنجي كافراً عمل غير صالح ، وقيل معناه : إنَّ ابنك ذو عمل غير صالح ، ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ وذلك أنَّ نوحاً لم يعلم أنَّ سؤاله ربه نجاة ولده محظور عليه مع إصراره على الكفر حتى أعلمه الله سبحانه ذلك ، والمعنى : فلا تسألني ما ليس لك به علم بجواز مسألته ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ ﴾ أنهاك ﴿ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ من الآثمين ، فاعتذر نوح عليه السلام لما أعلمه الله سبحانه أنه لا يجوز له أنْ يسأل ذلك وقال : ﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى ﴾ جهلي ﴿ وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ "[1] .

إنَّ هذا الحوار القرآني الرائع مليءٌ بالفوائد والمضامين التربوية ، والتي يصعب حصرها والإحاطة بمجموعها ، ولعلّنا أنْ نُعرج على بعضها ، ومنها : الالتجاء إلى الله تعالى في المدلهمات وعند نزول المصائب والنكبات ، وهذه قضية يغفل عنها الكثير من الناس ، فإننا نجد الواحد منهم إذا أصابته كُربة اعتمد على نفسه في مُواجهتها ، ولم يَكِلْها إلى الله تعالى القادر على كشفها وإزالتها ، وهذا دَيْدن منْ لا خلاق لهم في الدين ، ومنْ ليس لهم اتصال وثيق بربّ السّماوات والأرضين ، فعلى المسلم أنْ يكون على ربه معتمد ، وإليه يلجأ ويفر ، وبه يُواجه ويجابه ، فإنَّ كلّ مصيبة أمام قدرة الله تعالى تهون ، وكلّ كارثة حلّت أو نازلة نزلت أمام مشيئة الله تعالى لا تلبث أنْ تزول وتتلاشى .

ومنْ فوائد هذه الآية الكريمة التأدب مع الله جل جلاله ، واحترامه ﷻ احتراماً يليق بكبريائه ، كما فعل نوح عليه السلام عندما دعا ربه عز وجل ، حيث ألح في دعائه بأنَّ ولده الغريق

---

(١) الواحدي ، مرجع سابق ، ١٤١٥ هـ ، ج ١ ، ص ٥٢٢ .

منْ أهله ، وقد وعده الله تعالى بنجاة أهله من العذاب ، ولم يُصرّح في دعائه بأنــه لم يُــنْج ولده كما وعده ، وهذا في غاية الأدب مع الله تعالى ، وفيه أيضاً رِفعةٌ في الاحترام ، وعُلُــوٌّ في التوقير ، وقمةٌ في التبجيل ، وهو جلّ وعلا أهلٌ لذلك ، فحقيقٌ بكل مسلم أنْ يســلك طريق الأنبياء والمرسلين – عليهم الصّلاة والسّلام – في التأدب مع الله ﷻ ، ســواء كــان ذلك في الدعاء أو في أيّ نوع منْ أنواع العبادات ، والتأدب مع الله ﷻ في إرجاع الفضل إليه ﷻ في كلّ نعمة ومِنّة .

ومما يمكن أنْ نستشفه منْ خلال هذا الحوار العظيم فائدة عظيمة ؛ وهي ألا يتحدث الإنسان في أمورٍ قد تخفى عليه عواقبها ، والتريّث حتى يستبين له أحد الخيارين ؛ إما المضي فيه لمنفعة بيّنة ، أو تركه لمصلحة ظاهرة .

ومن الفوائد كذلك أنّ الاعتراف بالزّلل ، والرجوع عن الخطأ ، والإقــلاع عــن الذنب ، وعدم الإصرار على المواصلة في الاتجاه المضاد للصّواب ، كلّهــا طــرقٌ تُــؤدي بالإنسان إلى معالي الأمور ومحاسن الأخلاق ، وهي من الأمور التي يحبها الله تعالى ويحمدها، لأنّ التائب من الذنب كمنْ لا ذنب له ، ويشكرها الناس أيضاً ، لأنه دليل علــى عــودة ضمير ذلك التائب ، واستيقاظه منْ غفلته ، ورجوعه مواطناً صالحاً في بيئته ، وعضواً فعّالاً في مجتمعه .

ونضيف إلى ذلك العقد الفريد من الجواهر التربوية الثمينة لُؤلؤة تربويــة أُخــرى ؛ وهي اتباع الأسلوب الحسَن في معالجة الخطأ ، وتغيير المنكر بطرق حكيمــة ، لأنّ هــذه الوسائل تجعل المخطئ يتقبل الرأي الآخر بصدرٍ رَحِب ، وتُساعده علــى تَبَصُّــر الحــق ، وتشجعه على استبدال موقفه الخاطئ بآخر صائب ، وتُعينه دوماً على البحث عنْ أفضــل الخيارات ، وأسلم السُّبل حتى لا يقع في الخطأ مرة أخرى .

وكما أنّ آيات العلم وجّهت المسلم إلى التثبت منْ حقيقة ما يصدر منه منْ قــول ، فكذلك حثّت آيات العلم إلى ضرورة التحقق منْ صائبيّة العمل الذي ينوي الإنسان فعْلَهُ ، حتى لا يقع في أخطاء فعله الذي لم يتبين منْ مدى فاعليّته ، ونَهَت عنِ ارْتكاب الفعل الذي يجهل الإنسان عواقبه ، لأنّ العمل الخالي من العلم ؛ ضربٌ منْ أضْرب العبــث ، وطريقــة سريعة للوقوع في الزلل ، لأنّ صاحبه يتخبط في أودية الأخطاء ، فالذي يعمل بلا علــم ؛

كالذي يسير في صحراء قاحلة بلا هادٍ يهديه الطريق ، ولا دليل يستدلّ به على وِجهته التي يريدها ، فإنه سوف يكون - بالتأكيد - عُرضةً للتيْه والضياع تارة ، وللتوقف والتخبط تارةً أخرى ، وهذه نتيجة حتمية مُشابهة لحال الذي يعمل بلا علم .

إنّ العمل المجرد من العلم ما هو في حقيقة الأمر سِوى علامة يُستدل بها على جهل صاحبها ، فالعمل إذا لم يقترن بعلمٍ يُهذبه ويُقومه ، كان مذموماً في أيّ أمر منْ أمور الدنيا، وهو في أُمور الدين أشدّ قبحاً وفظاعة ، لأنه قد يُؤدي بصاحبه إلى مهاوي الردى وسُبل الضّلال وهو لا يشعر .

وقد نوّه القرآن الكريم - وخاصة في آيات العلم - إلى خطورة العمل المبني على جهل ، والذي لم يتحقق المرء منْ صحته ، وشدّد على أهمية العمل بمبدأ التحقق العلمي قبل الشّروع في التطبيق ، وعظّم شأن ذلك على وجهٍ خاص في أمر العبادة واتخاذ المعبود ، وقد جاء ذلك في عدد منْ آيات العلم ، وأُوْلاها قوله ﷻ : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : الآية ٨] .

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله تعالى - : " معنى الآية : التوصية للإنسان بوالديه بالبر بهما والعطف عليهما... ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾ أي : طلبا منك وألزماك أنْ تشرك بي إلهاً ليس لك به علم بكونه إلهاً ؛ ﴿ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وعبر بنفي العلم عنْ نفي الإله ؛ لأنّ ما لا يُعلم صحته لا يجوز اتباعه ، فكيف بما عُلِم بطلانه ؟! ، وإذا لم تجز طاعة الأبوين في هذا المطلب مع المجاهدة منهما له ؛ فعدم جوازها مع مجرد الطلب بدون مجاهدة منهما أوْلى ، ويلحق بطلب الشرك منهما سائر معاصي الله سبحانه ، فلا طاعة لهما فيما هو معصية لله كما صحّ ذلك عنْ رسول الله ﷺ ، ﴿ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي : أُخبركم بصالح أعمالكم وطالحها ، فأجازي كلاً منكم بما يستحقه " (١) .

---

(١) الشوكاني ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٩٣ (باختصار) .

ولهذه الآية الكريمة قصّة كانت سبباً في نزولها ، يذكرها لنا الإمام الواحدي – رحمه الله تعالى – حيث يقول : " نزلت في سعد بن أبي وقّاص ، وذلك أنه لما أسلم ، قالت له أمه حمنة : يا سعد بلغني أنك صبوت ، فوالله لا يظلني سقف بيت من الضّحِّ والرِّيح ولا آكل وأشرب حتى تكفر بمحمد وترجع إلى ما كنت عليه ، وكان أحب ولدها إليها ، فأبى سعد، وصبرت هي ثلاثة أيام ، لم تأكل و لم تشرب و لم تستظل بظل حتى خُشيَ عليها ، فأتى سعد النبي ﷺ وشكا ذلك إليه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي في لقمان والأحقاف [(١)] ، – وفي رواية أُخرى أنّ سعداً ﷺ قال لأمه لما تركت الطعام والشراب – قال : فلما رأيت ذلك قلت : تعلمين والله يا أُمّه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء ، إنْ شئت فكلي وإنْ شئت فلا تأكلي ، فلما رأت ذلك أكلت " [(٢)] .

وأما الآية الأُخرى التي نزلت بهذا الخصوص في سورة لقمان فهي منْ آيات العلم أيضاً ، ولذلك لزم ذكرها هنا ؛ مع التذكير بأنّ سبب نزول هذه الآية والتي قبلها سبب واحد ؛ وهي قول الله تعالى : ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة لقمان : الآية ١٥] .

إنّ الإحسان للوالدين والبر بهما منْ أعظم القُرُبات وأجلّ العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ﷻ ، وهو منْ مَزَايا هذا الدّين الكريم ، الذي أعطى لكلّ ذي فضلٍ قدْره ، ولكلّ صاحب مِنّة حقّه ، فكيف بالوالدين اللذين لهما أكبر الفضل على ولدهما بعد فضل الله ﷻ ، فينبغي على كلّ ذي لبٍ أنْ يغتنم وجود والديه بجواره ، ويحسن إليهما ، لأنّ الوالد كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام ابن ماجه – رحمه الله تعالى – عنْ أبي الدرداء ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : " الوالد أوْسط أبواب الجنة ،فأضع ذلك الباب أو احفظه "[(٣)].

---

(١) انظر سورة الأحقاف ، الآية ١٥ .

(٢) الواحدي ، علي بن أحمد ، أسباب نزول القرآن ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت ، تحقيق : كمال بسيوني زغلول ، ص ٣٥١ – ٣٥٢ .

(٣) ابن ماجه ، محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجه ، بيروت ، دار الفكر ، د.ت ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، كتاب (الأدب) ، باب (بر الوالدين) ، ج ٢، حديث رقم (٣٦٦٣) ، ص ١٢٠٨.

إلا أنه وبالرغم منْ عِظم حقّ الوالدين على ولدهما ، فإنه لا يحق لهما أنْ يأمُرَا ولدهما بمعصية الله تعالى ، لأنه لا طاعة لمخلوق أياً كان في معصية الخالق جلّ وعلا .

لقد أشارت آية العلم في سورة لقمان إلى لطيفة عظيمة ؛ وهي أنّه لما أمر المولى – تبارك وتعالى– بعدم طاعة الوالدين في معصية الله تعالى ،أمر ﷺ باتباع سبيل المنيبين إليه، وهم الذين وافقت أعمالهم ما ثبت عندهم بالعلم صحته ، حيث تركوا الشرك بالله ، لأنهم علموا علم اليقين أنّ الفلاح والنجاة في توحيد الله تعالى بالعبادة ، وأنه قد ثبت لديهم علمياً بما لا يدعَ للشك معه مجال أنّ كلّ معبود منْ دون الله إنما هو مخلوق مثلهم ، لا يقدر على جلب النفع أو دفع الضر ، فإذا كان هذا حالُه ؛ فحري ألا يُتخذ منْ دون الله شريكاً يُعبد .

وفي آية مُشابهة للآيتين السّابقتين ؛ ذكر المولى تبارك وتعالى لنا قصّةً أُخرى ، ولكن هذه المرة ليست بين الوالد وولده ، ولكنها بين رئيس الدولة أو شيخ القبيلة وبين أحد أعضاء دولته أو قبيلته ، إنها بين فئة باغية تحاول الوقيعة برجل صامد على الحق ، صُمود الجبال الرواسي ، وشامخ شموخ القمم العوالي ، ذلكم هو مؤمن آل فرعون الذي آمن بموسى عليه السلام حيث قال الله تعالى على لسانه وهو يخاطب قومه آل فرعون الذين أرادوا صدّه عنْ نور التوحيد وإرجاعه إلى ظلمات الكفر : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ﴾ [سورة غافر : الآيتين ٤١ – ٤٢] .

قال شيخ المفسرين الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : " يقول تعالى ذكره مخبراً عنْ قِيل هذا المؤمن لقومه من الكفرة : ﴿مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ منْ عذاب الله وعقوبته بالإيمان به واتباع رسوله موسى عليه السلام وتصديقه فيما جاءكم به من عند ربه ﴿وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ يقول : وتدعونني إلى عمل أهل النار... قال ابن زيد في قوله :﴿ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ قال : هذا مؤمن آل فرعون ؛ قال يدعونه إلى دينهم والإقامة معهم ، وقوله : ﴿ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ يقول : وأشرك بالله في عبادته أوثاناً لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها في عبادة الله لأنّ الله لم يأذن لي في ذلك بخبر ولا عقل ، وقوله : ﴿ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ﴾

يقول : وأنا أدعوكم إلى عبادة العزيز في انتقامه ممنْ كفر به ، الذي لا يمنعه إذا انتقم منْ عدو له شيء ، الغفار لمنْ تاب إليه بعد معصيته إياه لعفوه عنه ، فلا يضره شيء مع عفوه عنه ، يقول : فهذا الذي هذه الصّفة صفته فاعبدوا ؛ لا ما لا ضر عنده ولا نفع " (١) .

إننا نستطيع الخروج منْ هذه الآيات الثلاث ومنْ هاتين القصّتين العظيمتين بمضامين تربوية عديدة ، ومنها : أنَّ الثبات على الحق أمرٌ عزيز المنال ، عظيم الثواب ، وهو منْ صفات المؤمنين الصّادقين ، لأنَّ الوصول إلى القمَّة ليس بالصّعب ، ولكنَّ الصّعب الثبات على قِمَّة الوصول، فحريٌ بصاحب الحق أنْ يَثْبت على حقه ، وأنْ يصبر على مرارة الثبات، وإنِ اشتدت رياح الباطل ، وقَوِيت شوكة أهله ، فالحق منصورٌ أهله مغلوب عدوه ، ولو بعد حين .

إنه لا ينبغي لصاحب المبدأ أنْ يدع مبدأه ، ويتحوّل عنه إلى مبدأ آخر ، إلا إذا ثبت له عِلمياً وبدليل قاطع - لا يدع للشك معه مجال - بأنَّ مبدأه السّابق فيه مواطن ضعف ومداخل قصور وخَلل ، عندها يلزمه النهوض جاهداً لأنْ يعمل على سدّ مواطن الخلل ، وتَنْحية القصور عنْ مبدأه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، كما أنَّ عليه أنْ يتقبل الرأي الآخر إنْ كان صائباً ، ويسعى إلى تفعيله في واقعه ، فإنْ لم تُجْدِ تلك المحاولات ؛ فعليه أنْ يتخلّى عنْ مبدأه ، وألا يتمسّك به ، وأنْ يبحث عنْ مبدأ بديل ، أصلح منه للتطبيق وأكثر مرونة ، وأجدى نِتاجاً .

وعلى ذلك فإنه ينبغي لمنْ أُمر بالإقدام لفعل شيء ما - لم يتثبت منْ صحته - أنْ يحجم عنه ، حتى يستشير أهل الشأن في ذلك العمل منْ المختصين به وممنْ يُوثق بعلمهم ، فإنْ رأوا أنَّ في فعله ذلك خير أقدم وهو ثابت الخطا مُطمئن الجنان ،وإنْ أشاروا عليه بتركه، لمفسدة مترتبة على فعله ، فعليه الإحجام عنه ، دونما تردد أو تذبذب .

إنَّ زرْع الإيمان باليوم الآخر في قلوب الناشئة ، وتعاهده وسَقْيه بالنصح والتذكير حين الغفلة والنسيان ، لا شك أنه سيثمر نباتاً مباركاً في تلك القلوب المؤمنة ، يتمثل ذلك في استحضار مراقبة الله ﷻ في كلّ صغيرة وكبيرة ، وسكتةٍ وهَمْسة ، لأنه يؤمن أنَّ أمامه يومٌ تُكشف فيه السّرائر ، وتُنشر فيه الصّحائف ، فيُحاسب العبد على عمله ، إنْ خيراً فخير

---

(١) الطبري ، مرجع سابق ، ج ٢٤ ، ص ٦٨ (باختصار) .

وإنْ شراً فشر ، فلا شك أنَّ الجيل الصّاعد إذا ترعْرع ونشأ على هذا الركن العظيم من أركان الإيمان ، فإنه سيصبح جيلاً واعداً كما يرجوا المربون ، وفاعلاً كما يريد الجادُّون ، وصالحاً كما يتمنى المصلحون .

يُؤخذ منْ حوار مؤمن آل فرعون لقومه الرّأفة بالمعاندين ، والتلطّف إليهم بألْين العبارات ، وإظهار إرادة الخير والنجاة لهم ، وإبداء الخوف عليهم منْ مغبة ما هم فيه من المنكر العظيم والشر المستطير ، وذلك حتى تَرِق قلوبهم لقبول الحق ، وتُذْعِن أنفسهم للصّواب ، وتقبل عقولهم التغيير للأفضل والأحسن .

ومنْ فوائد قصّة مؤمن آل فرعون كذلك التلميح بعاقبة الديمومة على الخطأ ، دون التصريح به ، وذلك بينٌ في قول الله تعالى على لسان ذلك المؤمن : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ ، فإنه أشار ضمناً أنَّ عملهم سيدخلهم النار ، إنْ هم لم يستجيبوا لدعوته لتوحيد الله تعالى ، والذي يُؤدي إلى الجنة ، ولم يُصرّح علانيةً بأنهم منْ أهل النار ، حتى لا يُثير غبار الشحناء ، فتُعكّر صَفْوَ الحوار القائم بينهم ، وفائدة هذا التلميح هو إثارة وجدانهم الداخلي نحو حجم الخطأ الذي هم عليه ، دون التعرض إلى جرح أشخاصهم ، حتى يتحرك في دَوَاخِلهم الخير المغمور بكثرة الشر ، وتستيقظ فِطَرهم السّليمة لتتجه صَوْب الحق بخطىً مُتّئدة .

وفي الختام يمكننا أنْ نخلص إلى تقرير حقيقة مضمونها أنَّ الإسلام يُوصي " بالتثبت ، وهذه نقطة مهمة يجب التنبه إليها في البحث العلمي ، فهي تُقلل من النتائج السّيئة المترتبة على قصور العلم البشري ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٣٦] ، وقد وردت آية تُلزم المسلمين بوجوب التثبت منْ صحة الأخبار ، وهذه الدقة والتحرز تُؤثر تأثيراً نافعاً في البحث العلمي وذلك عندما تصبح خُلقاً يلتزم به الإنسان في سلوك حياته ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[سورة الحجرات: الآية٦]" (١).

(١) القرطاس ، قيس ، قصور العلم البشري ، الرياض ، دار الفيصل الثقافية ، ط ١ ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨ م ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

الفصل الرابع:

(المضامين التربوية المرتبطة بتبعات العلم)

- المبحث الأول : العمل بالعلم .
- المبحث الثاني : تعليم العلم .
- المبحث الثالث : المنهجية العلمية .

توطئة :

إنّ لكلّ شيءٍ يعمله الإنسان تَبِعة ومسؤولية - تعظم أو تصغر - تترتب على فعل ذلك العمل ؛ حيث تُلقى تلك المسؤولية ويتحمل تلك التبِعة منْ قام بذلك العمل ، صغيراً كان أم كبيراً ، ما دام أنه في طور التكليف ، وكلّ مسؤولية تعظم أو تصغر بقدر عِظم العمل الْمُؤدَّى ، وإنّ منْ أعظم الأعمال التي يقوم بها المرء هو طلب العلم النافع ، والسّعي في تحصيله ، وبما أنّ طلب العلم عظيم المكانة ورفيع الدرجة في الإسلام ، فكذلك تبعته عظيمة على حامله .

وتبعة العلم العمل به ، تطبيقاً وتعليماً ، لأنّ العلم المخزون في الصّدور دون أنْ يكون له صدىً على سطور الواقع ؛ إنما هو بمثابة المال المكنوز الذي لا يستفيد منه صاحبه ، بلْ إنّ الإعراض عنْ تحويل الكلمات إلى حركات ، والامتناع عنْ تعليم الغير ، أشدّ خطراً وأعظم جُرماً .

وكما أنّ على العالم أنْ يبذل علمه للآخرين ، فإنه ينبغي عليه أنْ يُدرك أنّ المستقبلين لعلمه على صُنوفٍ شتى ، فمنهم منْ يقبل العلم لأوّل وَهْلة ، ومنهم الجاهل الذي يعمل العمل بلا علم ، وقد يظنّ أنه على صواب ، ومنهم المتعصب لباطله والباغي على الحق ، ومنهم الذي يعلم الحق ولا يتبعه لهوىً في نفسه ، ومنهم الذي يرفض العلم النافع لأنه مغتر بعلمه الضار ، فكلّ صنف منْ تلك الأصناف له أُسلوب خاص في التعامل معه ، قد لا يصلح مع صنف آخر ، ولذلك لَزِم العالم أنْ يكون على دراية تامة بالكيفية الصّحيحة للتعامل مع كلّ صنف ، كلٌ يُعامل بحسب المانع الذي يمنعه منْ قبول العلم .

وكذلك فإنّ على أهل العلم أنْ ينطلقوا في دعوتهم وتعليمهم للآخرين منْ منهجية علمية ، مُلخصها الاستناد على الدليل البيّن والحجة الدامغة والبرهان السّاطع ، وأنْ يكونوا على علم بما قد يحتجُّ به المعاندين للعلم منْ حُجَج واهية ، حتى يُعدّوا لتلك الحجج ما يدْحضها ويظهر بطلانها .

منْ أجل ذلك فقدِ اعْتنت آيات العلم بهذا الأمر أيّما عناية ، ونبّهت إلى خطورته أعظم تنبيه ، وأرشدت أهل العلم الذين حملوا هذه الأمانة العظيمة إلى الوفاء بحقها ، والقيام بتبعاتها أحسن قيام ، وتحمل المسؤوليات المترتبة على تعلّم العلم تجاه الذات بالعمل به ،

وتجاه الآخرين بتعليمهم ، وسنتناول في هذا الفصل بمشيئة الله تعالى ما على العالم منْ تبعات ومسؤوليات ، وما قد يعترضه على هذا الطريق منْ صعوبات ، تتمثل في أصناف الناس الذين يسعى العالم نقلهم منْ أودية الجهل السّحيقة إلى قِمَم العلم العالية ، وما قد يُواجهون به أدلة العلم الواضحة بأوهام وظنون ، وتقليد أعمى لمنْ سبقهم في مدرسة الجهل ، وسيكون ذلك في ضوء ما تضمّنته آيات العلم – محور الدراسة – منْ مضامين تربوية رائعة تحدثت عنْ هذه الجوانب بتركيز واستفاضة ، وفيما يلي بيان ذلك :

المبحث الأول : العمل بالعلم :

العلم في الإسلام دليل العمل وقائده ، كما أنه – إنْ كان نافعاً – طريقٌ للإيمان ، فكلّ عمل ناجح يسبقه علم نافع ، وكلّ إيمان ثابت يسبقه علم راسخ ، فالعلم سابقٌ للعمل لا لاحق له ، كما قال الله تعالى : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [سورة محمد : الآية ١٩] ، ولأهمية هذا الموضوع وحَسَاسِيته ؛ فقد أوْلاه أهل العلم في مؤلفاهم اهتماماً كبيراً ، وفي مقدمتهم صاحب أصحّ كتاب بعد كتاب الله ﷻ وهو الإمام البخاري – رحمه الله تعالى – حيث أوْرد الآية السّابقة في أحد أبواب كتابه الصّحيح وعَنْوَن له اسم : " باب العلم قبل القول والعمل " [(١)] ، وهذا منْ فقه الإمام البخاري وغزارة علمه ، وهو استنباط تربوي في غاية الدقة منْ هذا الإمام الجهبذ ، حيث بدأ " بالعلم وقد أراد بذلك أنَّ العلم شرط في صحة القول والعمل ، فلا يُعتبران إلا به ، فهو يتقدم عليهما ؛ لأنه مُصحح للنية المصححة للعمل " [(٢)] .

كما عقد الإمام النووي – رحمه الله تعالى – في كتابه القيّم [رياض الصّالحين] باباً بعنوان : "باب تغليظ عقوبة منْ أمر بمعروف أو نهى عنْ منكر ، وخالف قوله فعله " [(٣)] ، وقال الإمام الشّافعي – رحمه الله تعالى –: " ليس العلم ما حُفِظَ ، العِلْمُ ما نفع " [(٤)] .

---

(١) البخاري ، مرجع سابق ، كتاب (العلم) ، باب (العلم قبل القول والعمل) ، ج ١ ، ص ٣٧ .

(٢) البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء ، شرح السّنة ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، د.ت ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط و زهير الشاويش ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .

(٣) النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف ، رياض الصّالحين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، باب رقم (٢٤) ، ص ٩٧ .

(٤) ابن جماعة ، مرجع سابق ، ص٥٠ .

ولذلك فإنَّ العلم " شرط ضروري للعمل ، لكي يصح ويستقيم على أوامر الله تعالى سواء كان هذا العمل عبادة لله ، أمْ كان معاملة للناس " (١) .

فالْقِران بين العلم والعمل أمرٌ في غاية الأهمية في الإسلام ، والله – جلَّ وعلا – قد مقت في كتابه الكريم أنْ يقول المؤمن قولاً لا وجود له على خارطة التطبيق ؛ فقال في محكم التنزيل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [سورة الصف : الآيتين٢ – ٣] ، فالفصل بين العلم وقرينه العمل منهيٌ عنه شرعاً ، منبوذٌ عقلاً .

يقول الخطيب البغدادي – رحمه الله تعالى – بهذا الخصوص : " إنَّ العلم لا قيمة له ما لم يُعمل به ، وهو في ذلك مثل المال الذي لا يُنفق في سبيل الله " (٢) ، إنَّ تشبيهَ البغدادي هذا تشبيهٌ دقيق ، لأنَّ المال المكنوز الذي لا يُنمَّى ينقص ولا يزيد ، وكذلك العلم إذا لم يبذله صاحبه لغيره ، فإنه قد ينساه تدريجياً ، بينما لو أنه قدَّمه للآخرين تعليماً ، فإنَّ ذلك أدْعى إلى زيادة رسوخه وثباته في ذهنه ، مع ما قد يستفيد من المناقشات العلمية والحوارات الأدبية التي تُثري النقاش والحوار بفوائد ولطائف علمية ، وأسرار وخفايا ، ربما كانت مجهولة لديه منْ قبل ، هذا منْ جهة تعليمه .

وأما منْ جهة العمل به ؛ فإنَّ منْ يترك العمل بالعلم حاله أحد أمرين ، إما أنه حامل لعلم غير نافع فلا يريد أنْ يعمل به ، لأنه لا فائدة مرْجوة منه ، وحتى لا يكون أوّل المتضررين به ، وإما أنْ يكون علمه نافعاً ولا يعمل به ، لأنه إما كارهٌ لفعل الخير أو متقاعس عنه ، وكلتا الحالتان قبيحتان ، إذاً فترك العمل بالعلم أمرٌ شنيعٌ فعله عظيمٌ جُرْمه .

ولذا يتوجّب على كلّ ذي علم أنْ يعمل بعلمه ، وأنْ يبدأ بتطبيقه على نفسه أولاً، فيأمرها بما يأمر الناس به ، ويزجرها عما ينهى الناس عنه ، ثم يُثني بتعليم الغير ما عنده من العلم ، فينشرَ الخير في مجتمعه بنشر العلم ، لأنَّ العلم إذا حلّ رحْلَه ببلد ما ؛ فقد آذن

(١) القرضاوي ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

(٢) الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت ، اقتضاء العلم العمل ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٤ ، ١٣٩٧هـ ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ص ١٦ .

بالعيش الرغيد والحياة الهانئة لذلك البلد ، وأما الجهل إذا استحوذ على قومٍ ، فهو أمارة هلاكهم ، وعلامة وقوعهم في المصائب ، وإيذانٌ بحُلول الكوارث على هؤلاء القوم .

إنَّ العمل بالعلم له فوائد عديدة ، ولو لم يكنْ منْ فوائده سوى أنَّ التطبيق يُعزّز حفظ العلم ، ويتبين لفاعله حقائقٌ ودقائقٌ في ذات العمل ، لم تكنْ تخطر بباله لو لم يطبقها على أرض الواقع ، لكفى هذا الأمر أهمية ، فكيف وفيه من الفوائد ما تجفّ الأقلام بذكره .

ولننظر الآن إلى الطريقة القرآنية التي عالجت بها آيات العلم هذه الظاهرة المشينة وهي ظاهرة الفصل بين النظرية والتطبيق ، وبين القول والفعل ، وبين العلم والعمل ، وذلك يتمثل في المحاور التالية :

المحور الأول : العلم النافع يُثمر عملاً نافعاً (لا قيمة لعلم لا يُثمر عملاً نافعاً) :

إنَّ العلم الذي لا تكون له ثمرة يافعة نافعة في بستان العمل ، فهو بلا شك علم عديم الفائدة ، لأنَّ العلم النافع هو الذي ينفع صاحبه وغيره ، وهو الذي يُرى له آثار حميدة ونتائج إيجابية على حامله ومُتلقيه ، وأعظم فائدة للعلم تظهر على صاحبه هي تعزيز الإيمان المبذور في النفس البشرية منْ حين ولادتها ؛ كما قال النبي ﷺ : " ما منْ مولود إلا يُولد على الفطرة ، فأبواه يُهودانه أو يُنصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هلْ تحسون فيها منْ جدعاء ؟ " (1) .

فالإيمان المقرون بالعمل الصّالح ما هو إلا ثمرة ونتيجة حتمية للعلم النافع ، ومنْ جهة أُخرى فإنَّ التقوى تُعتبر باباً فسيحاً يُؤدي إلى العلم ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٨٢] .

فمنْ أراد أنْ تكون أعماله صالحة فعليه أنْ يُسبقها بعلمٍ نافع ، ومنْ أراد العلم النافع فعليه أنْ يسبقه بتقوى الله ﷻ ، ولذلك فقد أخبر المولى تبارك وتعالى عنْ قومٍ منْ أهل العلم منْ بني إسرائيل حذروا قومهم منْ مغبة الانجرار وراء ملذات الدنيا ، وتمني الانغماس فيها كغيرهم منْ أهل الدنيا ، فقال تعالى واصفاً هذا الموقف : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ

---

(1) البخاري ، مرجع سابق ، كتاب (الجنائز) ، باب (إذا أسلم الصبي فمات وهل يُعرض على الصبي الإسلام) ، ج ١ ، حديث رقم (١٢٩٢) ، ص ٤٥٦ .

﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ [سورة القصص: الآية ٨٠] .

إنَّ العالم يُبصر بعلمه الأمور على حقائقها ، بينما قد تغيب هذه الصّور كُلياً أو جزئياً عمّنْ ليس له حظّ وافر من العلم ، وعندما يرى العالم الخطر مُحدقاً بأمته ، فإنه يصيح بهم ناصحاً ومنقذاً لهم ، فيقول بلسان المشفق الوَجِل : " ﴿ وَيْلَكُمْ ﴾ مُتوجعين مما تمنوا لأنفسهم ، راثين لحالهم ، منكرين لمقالهم ﴿ ثَوَابُ اللَّهِ ﴾ العاجل منْ لذة العبادة ومحبته ، والإنابة إليه ، والإقبال عليه ، والآجل من الجنة وما فيها ، مما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين ﴿ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ منْ هذا الذي تمنيتم ورغبتم فيه ، فهذه حقيقة الأمر ، ولكنْ ما كلّ منْ يعلم ذلك يُقبل عليه ، فما يُلَقّى ذلك ويُوفق له ﴿ إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ الذين حبسوا أنفسهم على طاعة الله وعنْ معصيته ، وعلى أقداره المؤلمة ، وصبروا على جواذب الدنيا وشهواتها ؛ أنْ تشغلهم عنْ ربهم ، وأنْ تحول بينهم وبين ما خُلقوا له ، فهؤلاء الذين يُؤْثرون ثواب الله على الدنيا الفانية " (١) .

إنَّ هذا الموقف العظيم الذي جمع فيه أهل العلم بين العلم والعمل لأنفسهم والتعليم لغيرهم ، لَيؤكد على أنَّ الجمع بين العلم والعمل أمرٌ بالغ الأهمية ، ويحذر – بمفهوم المخالفة– منْ خطورة الفصل اللاعقلاني بينهما ، لأنَّ " الاقتصار على الإلمام بالمعرفة النظرية دون الالتزام بالتطبيق نقص في نوعية العلم ،ويُفقد صاحبه صفة العقل والتفكير السّليم " (٢).

إنَّ هؤلاء الكوكبة منْ أهل العلم قد أدركوا عِظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاه ما جمعوه من العلم ، وأيْقنوا حَقَارة الدنيا ، فولُّوا قلوبهم صوب الآخرة راغبين ، وتولَّوا عن الدنيا زاهدين ، فبدأوا بأنفسهم في ذلك ، فلم يُلقوا للدنيا بالاً ، ولم يُقيموا لها وزناً ، بلْ أخذوا منها بُلغتهم ، وتزودوا منها زاد الراكب ، وما ذلك إلا نتاج علمهم الذي أظهر لهم حقيقة هذه الحياة ، وأنها مزرعةٌ للآخرة ، فهنا الحرث ، وهناك قطف الثمار .

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٥٧٤ .

(٢) حلال ، عبد الفتاح ، من الأصول التربوية في الإسلام ، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي ، المنوفية – مصر ، ١٩٧٧م ، ص ١٩.

ثم إنهم بعد أنْ عملوا بعلمهم أولاً وزجروا أنفسهم عن الانغماس في الدنيا ، قـــاموا بتعليم الناس ثانياً ، فطبقوا علمهم على أرض العمل ، وأتبعوا ذلك بتعليم الآخرين ، وهـــذا منْ أشرف الأعمال وأجلّ القُرُبات ، فهم لما رأوا أهل الدنيا مُتمنين لأنفسهم شـيئاً مـــنْ حطام الدنيا الزائل ، والذي قد يجرُّهم إلى أمورٍ محرمة كالكبر والخيلاء ، أوضحوا لهم بلسان الحال والمقال ؛ أنَّ ما تمنوه لأنفسهم من الدنيا مفضول لا فاضل ، وأنَّ ما عند الله باقٍ غـــير زائل .

كما بيّن أهل العلم لهؤلاء المنكبين على الدنيا طريقة الوصول ومنْ ثمَّ الحصول علـــى ثواب الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ألا وهو الإيمان الذي يُصدقه العمل ، فمنْ كان مُؤمنـــاً حقاً بنعيم الآخرة فسيعمل لها عملها ، ومنْ كان في إيمانه شائبة أو دَخَن ، فإنَّ عمله للآخرة سيضعف ، وسيتجه بالتالي للدنيا الفانية .

إنَّ هذا التوجيه منْ أهل العلم بضرورة التطبيق العملي للإيمان النظـــري المســطَّر في القلوب ، وترجمته إلى عمل ، لهو مَلْحظ تربوي مهم جداً ، فمنْ أراد شيئاً اتجه نحوه بعملٍ ، ليصل إليه ويحصل عليه ، وهذا المبدأ جديرٌ بأنْ نُربي الناشئة عليه ، سواءً كـــان ذلـــك في دراستهم وطلبهم للعلم ، أم في مستقبل أيامهم حينما يتقلّدون الوظائف المختلفة ، فمنْ أراد أنْ ينال أمراً عظيماً جدَّ في طلبه بكافة الوسائل الممكنة ، وبذل له الأسباب المؤدية إليه حتى يستحصل عليه ، هذا ما يمكنْ أنْ يُقال في أمرٍ منْ أُمور الدنيا ، فكيف يفعل منْ يريد جنـــة الآخرة ، لا شك أنَّ الجهد عليه يتضاعف ، والـــمسؤولية تتعاظم ؛ وذلك لِعِظَم الهـــدف وسمو المقصد .

ومنْ فوائد هذه الآية الكريمة استخدام أُسلوب الترغيب والترهيـــب في التعلـيم ، فهؤلاء العلماء رغّبوا قومهم في ما هو خير لهم منْ متاع الدنيا ، ألا وهو ثواب الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ورهّبوهم منِ اتباع شهوات الدنيا ، والتي قد تُوبق دُنيـــاهم وأُخـــراهم ، فحذّروهم منْ ذلك بقولهم : ﴿ وَيْلَكُمْ ﴾ ، وهي كلمةٌ لا تُقال في العادة إلا عند التحذير منْ وقوع خطر جسيم داهم .

إنَّ على المعلم أنْ يعمل على الاستفادة منْ نزعتي الخوف والرجاء الكامنة في نفـــوس طلابه ، فيعمل على تنميتهما بأسلوب الترغيب والترهيب ، فعندما يهدف إلى ترغيبهم لفعل

أمرٍ ما ؛ فإنه يُورد لهم ما يُثير شهيّة جوارحهم لذلك الفعل ، سواءً عنْ طريق ذكر النصوص الشّرعية من الكتاب والسّنة المرغبة لذلك الفعل ، أو عنْ طريق عرض فوائده وآثاره على الفرد والمجتمع ، وبنفس الطريقة والأُسلوب إذا أراد أنْ يُرهبهم منِ اقتراف فعل ما ، فإنه يذكر لهم مساوئه وعيوبه وأضراره على الناس ، بعد أنْ يذكر لهم الأدلة الشّرعية الناهية عنْ ارْتكاب ذلك الفعل .

كما أننا يمكن أنْ نستفيد منْ هذه الآية الكريمة في حثّ الأجيال على الصّبر ، وتعويدهم بعد تدريبهم على تحمّل المشاق في سبيل سَعْيهم لطلب العلم وعملهم وكدّهم في هذه الحياة ، لأنه من الصّعوبة بمكان أنْ يتوفر للإنسان كلّ ما يريده بدون عناء ولا تعب ، فكلما اشتد بالإنسان التعب والإرهاق ، عليه أنْ يُقابله في الجانب الآخر بصبر أشد ، وتحمل أقوى ، حتى يَهُون عليه ما يُلاقيه منْ مشقة في سبيل الحصول على مراده ، ولْيغرس المربون مبدأ الصّبر في نفوس الفتْية عنْ طريق ترغيبهم فيه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي جاءت مُبينة ما للصّابرين منْ ثواب كبير وأجر عظيم ، ومنْ ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة الزمر : الآية ١٠] ، وقوله ﷺ : " ومنْ يتصبر يُصبره الله وما أُعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر " (١) .

وفي آية كريمة أُخرى يشير المولى تبارك وتعالى إلى ثمرة الرّبط الوثيق بين العلم والعمل، وضرورة أنْ يتمثل علم المسلم على جوارحه وتصرفاته فعلاً نافعاً وسُلوكاً خيّراً ، ولكنْ قبل أنْ نُورد هذه الآية ، كان لزاماً علينا أنْ نذكر قبلها آيتين ، حيث كان لهذه الآيات الثلاث سبب نزول مشترك ، حيث يقول ﷻ في تلك الآيات الكريمة : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الحج : الآيات ٥٢ - ٥٤] .

---

(١) البخاري ، مرجع سابق ، كتاب (الزكاة) ، باب (الاستعفاف عن المسألة) ، ج ٢ ، حديث رقم (١٤٠٠) ، ص ٥٣٤.

إنَّ أعظم فائدة وأينع ثمرة يمكن أنْ يقطفها حامل العلم النافع هي الإيمان بكلّ ما جاء منْ عند الله ﷻ ، والخضوع لأمره والانقياد لشرعه ، فلا خير في علمٍ أياً كان نوعه ؛ ما لم يكنْ سبباً في قُرب صاحبه من الله ﷻ ؛ بأنْ يُبين له الحق ويحثه على فعله ، ويُوضح له الباطل ويردعه عنِ ارْتكابه .

لقد كان لنزول هذه الآيات الكريمة قصّة عجيبة لنبينا محمد ﷺ ، يُبينها لنا الإمام السّعدي – رحمه الله تعالى – حيث يقول : " وهذه الآيات فيها بيان أنَّ للرسول ﷺ أسوة بإخوانه المرسلين ، لَمَّا وقع منه عند قراءته ﷺ : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ ﴾ فلما بلغ ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾ [سورة النجم : الآيات ١ – ٢٠] ، ألقى الشيطان في قراءته : تلك الغرانيق العُلى ، وإنَّ شفاعتهن لتُرتَجى ، فحصل بذلك للرسول – ﷺ – حزن وللناس فتنة كما ذكر الله ، فأنزل الله هذه الآيات " [(١)] .

قال الإمام ابن الجوزى – رحمه الله تعالى – في تفسير الآية الثالثة والمقصودة بهذا الحديث : " ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾ وهو التوحيد والقرآن ، وهم المؤمنون ، وقال السُّدي : التصديق بنسخ الله قوله تعالى : ﴿ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾ ، إشارة إلى نسخ ما يُلقي الشيطان ؛ فالمعنى : ليعلموا أنَّ نسخ ذلك وإبطاله حق من الله ، ﴿ فَيُؤۡمِنُواْ ﴾ بالنسخ ﴿ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾ أي : تخضع وتذل ، ثم بيَّن بباقي الآية أنَّ هذا الإيمان والإخبات إنما هو بلطف الله وهدايته " [(٢)] .

إنَّ التمسك بالحق في خِضَم أمواج الفتن المتلاطمة ، والثبات عليه والإيمان به ، هو منْ سِمات أهل العلم ، كما أخبر بذلك المولى تبارك وتعالى في هذه الآية ، وقد وعد الله ﷻ في نهاية الآية السّابقة بأنْ يهديهم إلى صراط مستقيم ، والمقصود بالصّراط المستقيم هنا كما بيّنه الشيخ السّعدي – رحمه الله تعالى – بقوله : " علمٌ بالحق وعمل بمقتضاه ، فيثبت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة " [(٣)] ، فالثبات على الحق هو منْ دلائل هداية الله ﷻ للعبد ، ومنْ صفات منْ رَسَخ العلم والإيمان في قلبه .

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٤٩٢ .

(٢) ابن الجوزي ، مرجع سابق ، ١٤٠٤ هـ ، ج ٥ ، ص ٤٤٣ .

(٣) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٤٩٢ .

إنّ أهل العلم عندما علموا بأنّ ما سمعوه منْ إضافات ليست منْ عند الله تعالى ، وأنها منْ مصادر مُضلّلة ، لم يرفعوا لها رأساً ، ولم يُصدّقوا بتلك المقولة ، بلْ عملوا بما علموا، وآمنوا بالحق الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ ، وأعرضوا عمّا سِوى ذلك من الباطل الممزوج بالحق .

لقد تجلّت ثمرة العلم النافع الذي تحلى به أهل العلم في تمييزهم للحق الظاهر من الباطل الخفيّ ، فقد أدرك أهل العلم بفضل الله – تعالى – ثم بفضل ما آتاهم الله – تعالى – من العلم النافع حقيقة الشّائعة التي بثّها رأْس الضّلالة ، وهو الشيطان – عياذاً بالله منه – والذي خَلَط كلامه الباطل بكلام الله الحق ، فالْتبس الأمر على طائفة من الناس ، وهم الذين ليس لهم حظّ وافرٌ من العلم ، ولا عمقٌ راسخ في الإيمان ، وهم كما ذكر الله تعالى الذين في قلوبهم زيغ ، في حين أنّ هنالك طائفة أُخرى لم يتسلحوا بالعلم انخدعوا بهذه الشّائعة وصدّقوها ، وهم المشركون كما حدث في هذه القصة .

إنّ أهل العلم دوماً هم القادرون على الوقوف في وجْه الأزمات ، التي تُداهم المجتمعات ، ومنْ تلك الأزمات انتشار الشّائعات في المجتمع ، والتي تنتشر بين أفراده انتشار النار في الهشيم ، ولا يستطيع أحد إيقاف زحف نار الشّائعات عن المجتمع بعد الله – تعالى– سِوى أهل العلم ، فهم أقدر الناس على التصدي لها ، وكشف حقيقتها ، وتعرية النّوايا الخبيثة والأيدي الماكرة التي تقف ورائها ، حتى يميز الحق ويعلُو ، ويظهر الباطل ويُدحض .

إنّ الفِطر السّليمة مجبولة على قبول الحق والانقياد له ، ولذلك فإنّ أهل الباطل يُروِّجون باطلهم بمزجه مع شيء يسير من الحق ، حتى تنتشر أفكارهم الهدّامة بين أفراد المجتمع ، فيقبلها البعض انخداعاً بها ، ويعمل بها البعض الآخر مع شيءٍ من التردد وقلّة قناعة بها ، ومثال ذلك ما يسري الآن في المجتمعات الإسلامية ، حيث يسعى بعض أبنائها – القائمون بمهمة الوكالة للعدو في المجتمع المسلم – إلى خَلْخَلَة الصّف المسلم ، ونشر المبادئ الفاسدة ، والتي تعمل على تقويض عُرى الإسلام عُروة عُروة ، ومنْ ذلك ما يدعون إليه في الوقت الحاضر منْ قضية تحرير المرأة ، وما يدّعونه بأنّ نصف المجتمع مُعطّل ، وأنهم يعملون على إنقاذ المرأة منْ وطْأة التخلّف والظلم الممارس ضدها ، والتلبيس على الناس بأنهم دُعاة خير وإصلاح للمجتمع ، وأنهم يبتغون بتلك الدعوة انتشال المجتمع من العهد

الحجري إلى عهد الحضارة والتقدم ، فهم يُغطُّون مُخططاتهم التي يقصدون بها تحطيم المجتمع منْ خلال إفساد المرأة بتلك الألفاظ البرَّاقة والكلمات الرنّانة ، حتى تتغلغل بين أفراد المجتمع، ويقبلها منْ هو على شاكلتهم ، ومنْ ليس عنده نصيب زاخر من العلم ، يُبين له بُطلان تلك الدعوة المنحلّة منْ كلّ فضيلة والمكْتسية بكلّ رذيلة .

وهنا يأتي دور أهل العلم ، الراسخين والمتبحرين فيه ، حيث يقومون بفصل الحق عن الباطل ، وردّ الشُّبه على أهلها ، وتحذير الناس منْ مغبة الانخداع بهم ، وبيان النتائج المترتبة على تصديقهم ، حتى يعلم الجميع حقيقة تلك الدعوة ، فترفضها جميع شرائح المجتمع على حدّ سواء .

وفي ختام هذا المحور نذكر هنا إضافة قيّمة للإمام ابن جماعة – رحمه الله تعالى – وهو يضع برنامجاً جاداً لحامل العلم ، يُبين فيه ما ينبغي لمنْ تحلى بالعلم أنْ يكون متصفاً به من الأعمال الموافقة للعلم ، فيذكر أنَّ على العالم : " أنْ يحافظ على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام ؛ كإقامة الصّلاة في المساجد للجماعات ، وإفشاء السّلام للخواص والعوام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصّبر على الأذى بسبب ذلك ، صادعاً بالحق عند السّلاطين ، باذلاً نفسه لله لا يخاف فيه لومة لائم ، ذكراً قوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [سورة لقمان : الآية ١٧]...وكذلك القيام بإظهار السّنن ، وإخمال البدع ، والقيام لله في أمور الدين ، وما فيه مصالح المسلمين على الطريق المشروع المسلك المطبوع ولا يرضى منْ أفعاله الظاهرة والباطنية بالجائز منها ، بلْ يأخذ نفسه بأحسنها وأكملها ، فإنَّ العلماء هم القدوة ، وإليهم المرجع في الأحكام ، وهم حجة الله تعالى على العوام ، وقد يُراقبهم للأخذ عنهم منْ لا ينظرون ، ويقتدي بهديهم منْ لا يعلمون " (١) .

(١) ابن جماعة ، مرجع سابق ، ص ٤٩ – ٥٠ (باختصار) .

المحور الثاني : العمل بلا علم جهلٌ محض (لا جدوى لعمل لا يقترن بعلم) :

إنَّ العمل المجرد من العلم ما هو في حقيقته إلا دليل قاطع على جَهَالة فاعلـه ، لأنَّ الجاهل حقاً هو الذي لا يأْبه بما عَمِل ، أَهَو مُوافق للصّواب أم لا ، وليست لديـه الرغبـة الداخلية للسّؤال عن العمل الذي ينوي الإقدام عليه ، أحقاً هو أم أنه للخطـأ أقـرب ، إنَّ الفعل المنبثق عنْ صاحبه المتصف بالجهل أنواع ، فإما أنْ يترتب على فعله ضرر ، وقـد لا يقع منه ضرر ، والفعل ذا الضرر قد يقتصر ضرره على صاحبه دون الآخرين ، وقد يكون ذلك العمل مُتعدياً ضرره للغير ، وربما يكون هذا الضرر المتعدي مقصوداً منْ صاحبه تجـاه الآخرين ، وربما يكون غير مقصود .

ولذلك فإنَّ العمل الذي ينتج عنه ضرر على الغير ، ويكون فاعله عالماً بخطأ فعلـه ، قاصداً إلحاق الأذى بالآخرين ، فإنه بلا شك قد أخطأ منْ جهتين ، الجهة الأولى أنه تعمّـد ارْتكاب العمل الضّار عنْ قصد ، والجهة الأخرى أنه ألحق الضّرر بالآخرين عـنْ عمـد ، وكلتا الحالتين محرمة في شرعنا ، لأنَّ " هذه الأفعال التي اقترن بالعمل بها العلم بتحريمها فعلاً وتركاً ، يستحق فاعلها غضب الله تعالى عليه ، وعقوبته على ذلك بقدر ذنبه ، ويُصـيب شبهاً من اليهود بقدر تركه مما يعلم منْ دون عذر مشروع " (١) .

ولقد تناولت آيات العلم هذه القضية في غير ما موضع منْ كتاب الله ﷻ ، وفيما يلي نُورد أُولى تلك الآيات ، حيث يقول المولى تبارك وتعالى في حال المشركين الذين تأوّلوا على الله تعالى في تحريم بعض بهيمة الأنعام دون بعض بلا دليل شرعي ، وإنما كان سببه الأهواء وانعدام الخشية من الله تعالى ، حيث يقول ﷻ عنْ ذلك : ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٤٤] .

قال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسيره لهذه الآية : " لم يحرم الله تعالى هذا الـذي حرَّموه ، ولم يُوصهم بذلك ، ولم يكونوا حال الوصية حضوراً ، وإنما هو الافتراء والكذب

(١) القاسم ، عبدالحكيم بن عبدالله ، سورة الصلاة ، الرياض ، المنتدى الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ ، ص ٦٠ .

على الله تعالى ، وأخيراً سجَّل عليهم أنهم كَذَبة ظالمون ، مُضلّون لغيرهم بغير علم ، وأنهم لا يستحقون الهداية " [1] .

إنَّ الإصرار على العمل الذي لا يعتمد صاحبه على علم بيّن ولا دليل قاطع ، فإنه مدْعاة للوقوع في مهاوي الردى ، ويجعل منْ صاحبه مُشرّعاً ، يضع للناس ما يجود به جهلُه منْ قوانين وضعيّة ، تحرم عليهم النافع الحلال ، وتحلُّ لهم الضّار الحرام ، ويجرُّ مجتمعه إلى مستوى الحضيض مقارنة بسائر المجتمعات ، فهذه قريش على سبيل المثال ؛ عندما كانت تأخذ دينها منْ أمثال هذا الصّنف ، كانت مُستضعفة من الدول العظمى آنذاك وهي فارس والروم ، وعندما تخلّت عن التشريع الأرضيّ ، واتجهت بقلبها نحو التشريع السّماويّ ، وطبّقت بفعلها التوجيه الإلهيّ ، وتركت بعملها التوجيه البشريّ ، عندها تحطمت أمام حضارتها حضارة مملكتي فارس والروم ، وتسلّمت مقاليد الحكم ، وأخذت زمام القيادة لكلّ شعوب الأرض ، وأصبحت في مُقدمة الأمم ، بعد أنْ كانت في العَرَبة الأخيرة منْ قطار أُمم الأرض .

لقد وَسَم الله تعالى الذي يعمل العمل بلا علم ، وهو مُصرٌّ على ذلك ليُهلك الناس ، بأنه كاذب وظالم ، فهو كاذب في نفسه ، ظالم لها ولمنْ تبعه ، إنَّ هذا الشخص الذي يتعمّد إفساد المجتمع وإضلاله ، لا بدّ لأهل العلم أنْ يُوضحوا له خطأ منهجه وفساد طريقته ، فإنْ تاب وأقلع عُفي عنه ، وإنْ أبى إلا الاستكبار والإصرار ، فلا بدّ عليهم حينئذ أنْ يأخذوا على يديه ، وأنْ يَأْطُروه على الحق أَطْراً ، وألا يدعوا له الفرصة سانحة لينشر مبادئه الهدّامة في المجتمع .

إنَّ الكذب على الناس طريقُه مَزَلّة مدحضة ، ونهايته وخيمة ، فكيف بالكذب على ربِّ الناس ! ، لا بدّ أنه أشد جُرماً وأعظم ذنباً ، لأنَّ الناس عندما يُقال لهم أنَّ هذا الأمر منْ عند الله ، فإنهم يلتزمون به ، ومنْ هنا كان فاعل ذلك أظلم الناس بنص الآية ، والله تعالى يقول في حقّ المشركين : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ فردّ الله ﷻ عليهم بقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ

---

(1) الجزائري ، أبو بكر جابر ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، المدينة المنورة ، مكتبة العلوم والحكم ، ط ٣ ، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م، ج ٢ ، ص ١٣١ .

﴿رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الأعراف : الآيتين ٢٨ - ٢٩] ، فالله ﷻ يتنزَّه أنْ يأمر بأمر ليس فيه مصلحة وخير للعباد ، ويتعالى - جلَّ وعلا - عنْ أنْ ينهى عنْ فعلٍ فيه منفعة وخير لخلقه ، وهنا يأتي دور الفِطَر السّليمة والعقول النيِّرة التي تميز بين الحق والباطل ، وعلى رأسهم طَلبة العلم ، فعليهم أنْ يُبينوا للناس ذلك ، وأنْ يدْحضوا شُبه المفترين على الله - تعالى - بالحجج الدامغة ، حتى يقتنع الناس بخطئهم ، ويضعف تأثيرهم بين فِئام المجتمع شيئاً فشيئاً ، حتى يزول ويتلاشى .

وفي آية أُخرى قريبة من الآية السّابقة يشير المولى تبارك وتعالى إلى سببٍ آخر يُودي بصاحبه إلى تجريد العمل من العلم ، والفصل الأهوج بينهما ، ففي حين أنَّ الآية السّابقة تحدثت عنْ سبب منْ تلك الأسباب وهو الكذب ، فإننا نجد في هذه الآية أنَّ سبب الإصرار على الفصل بين العلم والعمل هو اتباع الهوى ، والذي يكون في غالبه مُعارضاً للعلم ، حيث يقول تبارك وتعالى عنْ حال كثير من الناس : ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١١٩] .

قال العلامة السّعدي - رحمه الله تعالى - : " ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾ أي : بمجرد ما تهوى أنفسهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ ولا حجة ، فلْيحذر العبد منْ أمثال هؤلاء ، وعلامتهم - كما وصفهم الله لعباده - أنَّ دعوتهم غير مبنية على برهان ولا لهم حجة شرعية وإنما يُوجد لهم شبه ، بحسب أهوائهم الفاسدة ، وآرائهم القاصرة ، فهؤلاء مُعتدون على شرع الله وعلى عباد الله ، والله لا يحب المعتدين ، بخلاف الهادين المهتدين ، فإنهم يدعون إلى الحق و الهدى ، ويُؤيدون دعوتهم بالحجج العقلية والنقلية ، ولا يتبعون في دعوتهم إلا رضا ربهم والقرب منه " (١) .

في هذه الآية الكريمة وفي تفسيرها القيّم جُملة من الفوائد النافعة ، التي ينبغي الوقوف عندها ، ومنها أنَّ علامة المتبع هَوَاه ألا يعتمد في دعْواه على دليلٍ يُوافق المنقول من الكتاب والسّنة ، ولا المعقول الذي تقبله العقول الناضجة ، بلْ يستند على شُبه ، يُلبّس بها على منْ ليس له خَلْفية علمية راسخة الجذور ، عميقة الأثر في النفس ، فأتباعه جَهلة الناس ،

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧هـ ، ص ٢٣٣ .

وأعداؤه العلماء وطلبة العلم ، الذين يُفنّدون آراءه ، ويُعرّون أفكاره ، ويُجاهِون أصحابه بمختلف الوسائل ، حتى تنكشف حقيقتهم للآخرين ، ولذلك فإنَّ المتبع هواه يتبعه منْ هو على شاكِلَته والمخدوع به ، وخير سبيل لتبيين الحق لهم ، إقامة حوار علمي هادئ بين الطرفين ، أساسه العلم ، ومُنطلقه الدليل ، وغايته المنشودة الوصول إلى الحقيقة المدعومة بالبرهان السّاطع الذي لا لَبْس فيه ، حتى يتضح لأتباع الطرفين المصيب من المخطئ ، فالمصيب يزداد أهله تمسكاً به ودفاعاً عنه ، والمخطئ يتخلّى عنه أتباعه ، وينحازُون إلى جانب العلم وأهله ، إلا منْ أبى واستكبر وعاند ، فإنه سوف يلقى التهميش في المجتمع ، لأنه لا يملك أدلة تُقنع الغير بصدق مبادئه ، وجدوى أفكاره .

وهكذا نجد أنَّ اتّباع الهوى مُضلّ لصاحبه أولاً وللآخرين ثانياً ، وأنه يجعل منْ صاحبه خالي الوِفاض من الأدلة العقلية والنقلية ، لأنَّ الهوى يُخالف العلم في أكثر حالاته - إلا منْ هذّب هواه وجاهد نفسه ، حتى انقادت نفسُه وانصاع هواه للحق - فالمتبع هواه يختلق أموراً مُنافية للعلم ، ويدعو إلى العمل الذي يُناقض الأدلة العلمية ، لأنه في الأساس جاهل ، ولكنَّ هواه غَلَب عليه حتى جعله يدعو إلى أعمالٍ تشبه في مضمونها أعمال الجاهلية الأولى ، وتختلف معها في الكيفية والأسلوب ، ولعلَّه يأتي على رأس تلك الأعمال النّاشِزَة والناشئة عن الهوى مناهضة الدين والتصدي لأهله ، بدافع حبّ الظهور والشّهرة ، ونشر الفساد بكآفة صوره في المجتمع ، والذي يهدف الدين منْ تشريعاته المتنوعة إلى إنقاذ وتخليص المجتمعات البشرية منْ أضراره .

كما بيّنت الآية الكريمة كثرة التاركين للعلم والمتبعين لأهوائهم ، العاملين بالجهل لإضلال المجتمع وإغراقه في الشُّبُهات والشّهوات ، فلا يضرُّ أهل العلم أنْ كانوا قِلَّة على طريق العلم الموصل إلى الحق ، بلْ عليهم أنْ يكونوا متشبثين بعلمهم ، فخورين بثباتهم ، وأنْ يعملوا على أنْ يكونوا بمثابة الشّمعة التي تضئ الطريق للآخرين ، وأنْ يسْعَوا جاهدين إلى تخليص مجتمعاتهم من الخطر المحدق بهم ، جرَّاء اتباعهم الهوى وتنكبهم طريق الحق والرّشاد ؛ الذي العلم هو الوسيلة المؤدية إليه ، والدليل هو الضوء الذي يُضئ ذلك الطريق ، حتى يسير مُريد الحق وهو على بينةٍ منْ أمره ، في طريق واضح المعالم ، لا لَبْس فيه .

لقد عدَّ الله تعالى خِداع الناس بالأهواء والشّبهات اعتداء عليهم ، وهذه قمّة العدالة الربّانية ، حيث منعت هذه الآية الكريمة مُصادرة حقّ التفكير للغير ، فلكلّ شخص الحقُّ في أنْ يعرف المستند العلمي الذي ينطلق منه ذلك المدعي - المتبع هواه - ، فإنّ كان له براهين مُقنعة ، قَبِلها الناس ، وإنْ لم يكنْ له سوى هواه دليلاً وشُبه برهاناً ، فالناس لهم الحقّ عندها في رفض تلك الدعاوى الباطلة .

وننتقل الآن إلى مشهد آخر ، ومنْ دارٍ إلى دار ، إنها رحلة من الدنيا إلى الآخرة ، لنستعرض فيها هذه الآية الكريمة التي أوضحت لنا المآل الأُخروي للداعين إلى العمل بلا علم، فـقال تعالى عن ذلك : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [سورة النحل : الآيتين ٢٤ - ٢٥] .

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : " يقول تعالى ذكره : يقول هؤلاء المشـركون - لمنْ سألهم ماذا أنزل ربكم - الذي أنزل ربنا فيما يزعم محمد - ﷺ - عليـه أسـاطير الأولين ، لتكون لهم ذنوبهم التي هم عليها مقيمون منْ تكذيبهم الله وكفرهم بما أنزل علـى رسوله ﷺ ، ومنْ ذنوب الذين يصدونهم عن الإيمان بالله...بغير علم ، وقولـه ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ يقول : ألا ساء الإثم الذي يأثمون والثقل الذي يتحملون " (١) .

لقد بينت هذه الآية الكريمة عِظَم الذنب الذي يقترفه الداعي إلى ترك العلم منـهجاً وسبيلاً ، واستبداله بالجهل مسلكاً وطريقاً ، فهؤلاء المشركون - الذين صَدُّوا الناس عـن الدخول في الإسلام وهو دين العلم ، بدعوى أنه كذب واختلاق وقصص الأولين ، دَعَـوا الناس إلى انتهاج الطريق الآخر ، والذي لا بدّ أنْ يكون طريق الجهل - لم تكنْ لهم الحجـة القاطعة التي تُؤيد ما ادّعوه ضد الإسلام الذي جاءهم بالعلم ، وإنما هـي مجـرد أقاويـل وخزعبلات ، منعوا الناس بها من الدخول في نور العلم .

لقد كان العمل الذي قام به المشركون مُعادياً للعلم ، إذْ أنهم لما أدركوا أنَّ العلـم سيسحب بساط الشّهرة والإمرة منْ تحت أقدامهم ، لافتقادهم أبجديات العلـم ، حـاربوا

---

(١) الطبري ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص ٩٦ (باختصار) .

العلم ، ووضعوا أمام انتشاره العراقيل المختلفة ، حتى لا يكون له أتباع ، فتتشكل بذلك جبهة علمية مُضادة لجبهة الجهل المتمثلة فيهم ، فالجهل يُعدّ أكبر عامل منْ عوامل تخلّف المجتمعات عنْ ركب حضارة العلم ، والتي أنتجت لنا التطور التقني والتقدم الصّناعي ، والرُّقي في سائر مجالات الحياة البشرية .

إنّ الدعوة إلى العمل غير المبني على علم ، هي في حقيقتها دعوةٌ إلى انتهاج منهج حياة ، مبدأها الجهل ، ومُنتهاها التخلّف ، وما بين ذلك وذاك ، التخبط في أودية التّيْه والظنون ، لا حياة العلم والفنون .

إنّ إفلاس جنود الجهل من الأدلة المؤيدة لشبهاتهم هو انتصار حقيقي للعلم ؛ لأنه يدل على أنّ العلم ما زال مُتفوقاً بموافقته ومطابقته لأدلة النقل واجتهادت العقل .

لقد جعل الله تعالى الوِزْر المضاعف على الدّاعين إلى الضّلالة والعمل على غير هدىً من العلم ، فإنّ عليهم إثم دعوتهم كما أنّ عليهم إثم منْ تأثر بضلالهم وعمل بدعوتهم ، وهذا إنْ دلّ فإنما يدل على خطورة العمل بغير علم والدعوة المشؤومة إلى ذلك ، وأنه مجازفة وتعريض النفس لغضب الربّ تبارك وتعالى ، لأنّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم - الذي حوَى بين دَفّتيه العلم كلّه - ليُعمل به ويُطبق على أفعال العباد ، فتصبح الأعمال - المنفذة للعلم - عندها قرآناً يمشي على الأرض ، بينما لو تخلّى العباد عن العمل النافع المسبوق بالعلم النافع ، وتركوه جانباً ، وساروا على درب الجهل والضّلالة ، فإنّ ذلك مخالف لأمر الله تعالى - الذي دعا إلى العلم والعمل سوياً - ومَحَطّ سخط الله ﷻ ، والله تعالى حثّ على تدبر القرآن الكريم والتمعن في آياته ليُعمل بها ، فقال تعالى مستنكراً على منْ لم يتدبره : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [سورة محمد : الآية ٢٤] .

لقد تحدثت الآية السّابقة عنْ خطر الدعوة إلى العمل بغير علم والذي يُعدّ بوّابة الولُوج إلى الضّلالة ، لأنّ الجاهل يقع في الخطأ منْ حيث لا يشعر ، وهنا الآن آية كريمة أُخرى تُوضح ما ينتظر الداعي إلى الضّلالة بفعله ؛ من العقاب الأليم ، حيث يقول الله تعالى عنْ ذلك : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [سورة لقمان : الآية ٦] .

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى – : " ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ فقال عبدالله بن مسعود : الغناء والله الذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات...وقوله : ﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي : إنما يصنع هذا للتخالف للإسلام وأهله...وقوله تعالى : ﴿ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ قال مجاهد : ويتخذ سبيل الله هزواً يستهزئ بها ، وقال قتادة : يعني ويتخذ آيات الله هزواً ؛ وقول مجاهد أولى ، وقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ أي : كما استهانوا بآيات الله وسبيله أُهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر " (١).

إنَّ الدّاعي إلى الضّلالة المتمثلة في العمل المجرد من العلم في هذه المرة قد جعل مِنْ نفسه قدوة سيئة لمنْ يُضلهم ، حتى يكون بفعله بعد قوله مُؤكداً على رغبته العارِمة في حبّ الضّلالة للغير ، فهو بقوله مُستهزئٌ بالحق وأهله ، وبفعله مُجانبٌ لطريق العلم النافع وأهله، حيث اتخذ من العبث طريقاً ، ومن اللهو منهجاً ، ومنْ مخالفة أهل العلم الصّادقين هدفاً .

لقد قرّرت هذه الآية الكريمة مبدأً عظيماً من المبادئ التربوية القيّمة ، وهو مبدأ الجزاء منْ جنس العمل ، فكما أنَّ ذلك المضلّ – الدّاعي إلى العمل الضّال المخالف للعلم للنافع – قد استهزئ بالإسلام وأتباعه – الممثلين للعمل الصّالح المقرون بالعلم النافع – فقد كان جزاؤه في الآخرة الإهانة بالعذاب الأليم ، جزاءً وِفاقاً ، وهكذا في كلّ منْ أخطأ ، فإنه ينبغي أنْ يكون عقابُه يتناسب مع قدر حجم الذنب الذي ارْتكبه ، فإنْ كان وقع في زلّة صغيرة فعقابه يكون ملائماً لزلّته الصغيرة ، بخلاف إذا ما وقع في ذنب عظيم ، فجزاؤه عظيم لعظَم خطيئته .

إننا يمكن أنْ نستفيد منْ هذه الآية الكريمة أيضاً في أنَّ الصدّ عنْ وُجوه الخير ، ومنها العمل بالعلم ، قد يكون بتقديم الإغراءات التي تُثير شهوات النفس وأطماعها ، حتى ينساق الإنسان خلف نَزَوَات نفسه ، ويقع في أوْحال الشر والرذيلة ؛ التي كان الجهل والعمل بغير علم منْ أهم الأسباب الموقعة فيها ، ولذلك كان لزاماً على أهل العلم أنْ يعضُّوا على عِلْمهم بالنواجذ ، وألا تُلْهيهم تلك المغريات الزائلة عمّا هم فيه من العمل الدؤوب النافع ، النابع من العلم النافع ، فإنْ همُ انجروا وراءها ، فإنَّ ذلك مُؤذن بزوال ما قد حصَّلوه من العلم ؛

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ١٤٠١ هـ ، ج ٣ ، ص ٤٤٣ (باختصار) .

لأنَّ السّعي وراء الملهيات يتنافى مع أُصول العلم النافع ، الذي يدعو إلى تجنبها وعدم الالتفات إليها ، فضلاً منْ أنْ يمدوا إليها أيديهم .

إنَّ الجهل قد يقود بصاحبه إلى أبشع صور الإجرام ، ويُوقع أهله في أرْذل الأقوال ، ويجرُّ أتباعه إلى مساوئ الأفعال ، فالجاهل قد يقع في فظائع الأعمال وأشنعها ، وهو يظنُّ في نفس الوقت أنه محسن في تصرفه ذلك ، لأنَّ غشاوة الجهل قد حالت بينه وبين أنْ يُبصر الحقيقة ؛ التي انعدمت رؤيتها كلياً أو جزئياً بفعل تلك الغشاوة ، وإليك دليل ذلك منْ آيات العلم ، حيث يقول الله ﷻ عن المشركين : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٤٠] .

قال ابن العربي – رحمه الله تعالى – : " روى سعيد بن جبير عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : منْ أراد أنْ يعلم جهل العرب ؛ فليقرأ ما فوق الثلاثين والمائة منْ سورة الأنعام إلى قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ، وهذا الذي قاله – ﷺ – كلامٌ صحيح ، فإنها تصرفت بعقولها القاصرة في تنويع الحلال والحرام ، سفاهةً بغير معرفةٍ ولا عدل ، والذي تصرفت بالجهل فيه من اتخاذ الآلهة أعظم جهلاً وأكبر جُرماً ، فإنَّ الاعتداء على الله – تعالى – أعظم من الاعتداء على المخلوقين ، والدليل في أنَّ الله واحدٌ في ذاته ، واحدٌ في صفاته ، واحدٌ في مخلوقاته ، أَبين وأوضح من الدليل على أنَّ هذا حلال وهذا حرام ، وقد رُويَ أنَّ رجلاً قال لعمرو بن العاص – ﷺ – : إنكم على كمال عقولكم وَوُفور أحلامكم عبدتم الحجر ، فقال عمرو :تلك عقول كادها باريها "(١) .

وقال الشيخ الجزائري في تفسير تلك الآية : " في الآية دليل واضح على حُرمة القول بدون علم وكذا الاعتقاد والعمل ، فلا يَحِلُّ لأحد أنْ يعتقد أو يقول أو يعمل بدون علم شرعي قد تمكن منْ معرفته " (٢) .

(١) ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبدالله ، أحكام القرآن ، بيروت ، دار الفكر ، د.ت ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، ج ٢ ، ص٢٧٦ .

(٢) الجزائري ، مرجع سابق ، ١٤١٨ هـ ، ج ٢ ، حاشية ص ١٢٧ .

إنَّ انعدام العلم في عقول البشر انعدامٌ لبشريّتهم التي أرادها الله تعالى لهم ، فبالجهل يتحوّل الإنسان إلى كائن غوغائي السّلوك ، همجيّ التعامل ، لا يُحسن سِوى سفك الدماء، وقطع الأرحام وإفساد الأرض ، وتحويل نظام البشر إلى نظام الغلبة للقوي ، فيصبح كلّ إنسان مُستبداً بمنْ دونه في القوة والمال والجاه ، ولا أدلّ على ذلك من الحال التي كان عليها الصّحابة ﷺ قبل الإسلام ، حيث كانوا يتخذون الحجر إلهً يُعبد ، وكانوا يئِدون بناهم وهنَّ أحياء ، خشية العار والنفقة .

وعندما أَنَار الله تعالى قلوبهم بنور العلم والإيمان ، أصبحوا يخشون ظُلْم الحيوان ، فكيف ببني الإنسان ! ، وصاروا نجوماً لامعة في سماء التاريخ ، بعد أنْ كانوا متواجدين في هامش التاريخ ، أصبح العدل شعارهم ، والإحسان دَيْدنهم ، وطلب الحق سبيلهم ، فتحولوا بتلك القيم النبيلة إلى سادة الدنيا وقادها ، ونشروا هذا الدين في أرجاء المعمورة بأخلاقهم السّامية .

لقد بيّنت هذه الآية الكريمة أنَّ الجهل بابٌ يُؤدي إلى سلوك طريق الضّلال ، والخسران هو النهاية الحتمية لهذا الباب ، لأنَّ الجاهل تصدر منه أعمال قبيحة سفيهة – كما ورد في الآية – غير مسبوقة بدراسة علمية لنتائجها قبل الشّروع في فعلها ، ولذلك فإنَّ على أهل العلم مسؤولية عظيمة ومهمة كبيرة ، وهي مسؤولية نشر العلم بين أفراد مجتمعهم ، حتى تستضيء قلوبهم بنوره ، وتسعد حياهم بتطبيقه ، ويعمَّ الخير في المجتمع ، وينعدم – أو يقلّ – الشر ، لأنه إنْ تمسك أفراد المجتمع بما يمليه عليهم عِلمهم ، فإنه سيؤدي كلّ فرد منهم ما عليه بنفس راضية ، وسيأخذ الذي له بنفس مطمئنة ، لأنَّ خريطة الحق واضحة أمام ناظريه ، فهو يهتدي بها في جميع تصرفاته ، ومنْ كان هذا حالُه ، فإنه بالتأكيد لنْ يصدر منه أعمال منافية للشّرع أو العرف ، وسيكون منضبطاً في سلوكه ، سعيداً في حياته.

وها نحن الآن نُلقي الضوء على آية كريمة أُخرى ، تلتقي مع سابقتها في أنَّ المخاطبين فيهما هم المشركون ، بَيْد أنَّ الآية السّابقة أوضحت أحد أفعالهم المنسلخة من العلم ، بينما بينت لنا هذه الآية مدى ما وصل إليه هؤلاء القوم منْ قُبح ما يحتجون به على تلك الأعمال، حيث أَوْدى بهم جهلهم إلى التألّي على الله تعالى بغير علم ، والادعاء بأنَّ أعمال الجاهلية التي يقومون بها مَرْضيٌّ عنها منْ قِبَل الله تعالى ، ولا شك أنَّ هذا الادّعاء الباطل لم

يكنْ ليصدر منهم لو لم تكنْ عقولهم خاوية من العلم النافع ؛ الذي يزجر الإنسان عن الوقوع في مثل هذه الأعمال الفظيعة ، حيث يقول الله تعالى عنهم : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ [سورة الزخرف : الآية ٢٠] .

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : " يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء المشركون منْ قريش : لو شاء الله ما عبدنا أوْثاننا التي نعبدها منْ دونه ، وإنما لم يحلّ بنا عقوبة على عبادتنا إياها لرضاه منا بعبادتنا...يقول الله ﷻ : ﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ ﴾ يقول : ما لهم بحقيقة ما يقولون منْ ذلك منْ علم ، وإنما يقولونه تخرصاً وتكذباً ، لأنهم لا خبر عندهم مني بذلك ولا برهان ، وإنما يقولونه ظناً وحسباناً ﴿ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ يقول: ما هم إلا مُتخرّصون هذا القول الذي قالوه، وذلك قولهم :﴿لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ ﴾"[1].

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله تعالى – : " فمنْ أقدم بالجرأة على ما ليس له بأهل منْ فُتيا أو قضاء أو تدريس ، استحق اسم الذم ، و لم يحلّ قبول فتياه ولا قضائه ، هذا حكم دين الإسلام .

وإنْ رَغِمَت أنوفٌ منْ أناس *** فقل : يارب لا ترغم سواها " [2] .

وننتقل الآن من الحديث عن المشركين ؛ الذين هم أقبح الخلق ، إلى الحديث عنْ أفضل هذه الأمة وأشرفها بعد نبيها محمد ﷺ ، ألا وهمُ الصّحابة ﷺ ؛ الذين عاشوا في أفضل القرون وخير العصور ، وبالتحديد في زمن وقوع حادثة الإفك ، ذلك الْحَدَث الأليم والبلاء العظيم ؛ الذي وقع لنبينا محمد ﷺ وزوجُه الطاهر عائشة الصّديقة بنت أبي بكر الصّديق – رضي الله عنهما – ، حيث اُتُّهم العِرْض الشّريف ونال منه المنافقين أيّما مَنَال ، إذْ كانت تلك الوقْعة فرصةً سانحةً لهم ، لينفثوا سُمّهم الزعاف في وسط ذلك المجتمع الطاهر، وقد وقع في شِراكهم عدد من الصّحابة الكرام ، وخاضوا مع الخائضين ، دون تثـبُّت منْ حقيقة الخبر وتأكد منْ حال المخبر ، فأنزل الله تعالى عدداً من الآيات الكريمات التي تُبرئ عائشة – رضي الله عنها – مما أُلصق فيها زوراً وكذباً ، كما عاتب ﷻ الصّحابة

(١) الطبري ، مرجع سابق ، ج ٢٥ ، ص ٥٩ (باختصار) .

(٢) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، بيروت ، دار الفكر ، د.ت ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج٤ ، ص ٢٠٨ .

– ﷺ – الذين انخدعوا بكثرة منْ تكلّم ، وانجروا وراء أهازيج المنافقين ، فصدر منهم ما لم يكنْ مُتوقعاً من الحديث في العرض الطاهر ، حيث قال تعالى واصفاً حال هؤلاء الصّحابة الذين وقعوا مع منْ وقع من المنافقين في هذه الحادثة : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النور : الآية ١٥] .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – : " أي : تتلقفونه ويُلقيه بعضكم إلى بعض ، وتستوشون حديثه ، وهو قول باطل ، ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ والأمران محظوران ، التكلم بالباطل والقول بلا علم ، ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا ﴾ فلذلك أقْدَم عليه منْ أقْدَم من المؤمنين ؛ الذين تابوا منه وتطهروا بعد ذلك ، ﴿ وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ وهذا فيه الزجر البليغ عنْ تعاطي بعض الذنوب على وجه التهاون بها ، فإنّ العبد لا يُفيده حسبانه شيئاً ، ولا يخفف منْ عقوبة الذنب ، بلْ يُضاعف الذنب ويسهل عليه مواقعته " (١) .

لقد بيّن الله تعالى لنا في هذه الآية الكريمة خُطورة العمل بلا علم ؛ وأنه قد يجرُّ الإنسان إلى مساخط الله ﷻ وهو لا يشعر ، وقد يَلِج في دائرة غضب الربّ تبارك وتعالى وهو لا يعلم ، وذلك كلُّه بسبب جهله بحقيقة العمل الذي يتعاطاه قولاً أو فعلاً ، فقد يرتكب المرء الذنب وهو لا يدرك أنه معصية لربه ﷻ ، فينغمس فيه انغماساً ، كما قد يتهاون المرء بعِظَم المعصية المقيم عليها مع علمه أنها خروج عنْ طاعة مولاه ﷻ ، فيُدِيم الإقامة عليها ويعود إليها بين الفيْنة والأُخرى ، وكفى بهذه الأضرار أنْ تكون سبباً كافياً للتنفير من الجهل ، ومُسوغاً زاجراً عنْ مخالطة الجهلاء واتباع نعراتهم .

وفي الآية كذلك تحذير من اتّباع أهل الأهواء الذين يُروّجون الشّائعات في المجتمعات الإسلامية ، وينخرون في عضد الأمة ، ويَفُتّون في عزيمتها ، ويسعون في الأرض فساداً ، ويسيمون المسلمين بأسْياط ألسنتهم اللاذعة سُوء العذاب ، لا يهدأ لهم بال ، ولا تقرّ لهم عين ؛ حتى يروا الخراب والدمار قد ضرب بأطنابه على المجتمع المسلم ، وجَثا بثقله على الخير الذي فيه .

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٥١٢ .

إنه ينبغي على أهل العلم تبصير أفراد الأمة – على اختلاف مستوياتهم – بأهمية استباق العلم للعمل ، وإظهار محاسنه بما يترتب على تحقيقه منْ دراسة مسبقة له ، ووضع تصور تقريبي للفعل قبل الإقدام عليه ، وتوقُّع عواقب ذلك الفعل ، واتخاذ القرار النهائي بشأن ذلك الفعل ، إما إقداماً أو إحجاماً ، كما أنَّ عليهم في المقابل أنْ يحذروا مجتمعاتهم منْ خطر التسرع في إصدار الأحكام جُزافاً ، بدون تروٍّ وتأنٍّ في الأمر المراد الحكم عليه ؛ لأنَّ العجلة في ذلك قد يترتب عليها الجوْر في الحكم ، والوقوع في المحذور الممنوع والبعد عن المطلوب المشروع ، وهو ضرورة النظر في جوانب الموضوع المختلفة ، مع دراسةٍ وافية للقرائن والأدلة المتنوعة ، ومنْ ثمّ الخروج بالحكم الذي يُناسب الحال والمقال .

إننا في ختام هذا المبحث نُسطر هنا مقولة جميلة للإمام علي بن أبي طالب ﷺ ، حيث جمعت بين أَحْرُفها ما قد قررناه آنفاً في المحورين السّابقيْن ، منْ ضرورة اقتران العمل بالعلم للعالم ، وأيضاً ضرورة استباق العلم للعمل بالنسبة للعامل غير المتعلّم ، حيث قال : " إنما زهد الناس في طلب العلم ما يرون منْ قِلّة انتفاع مَنْ عَلِم بما عَلِم " (١) .

فبين ﷺ في هذه الكلمات القلائل أنَّ الناس راغبون عن العلم ، ومن امتنع عنْ طلب العلم فقدْ حقَّ في وصفه أنه جاهل ، والجاهل كما عَلِمنا مما سبق أنه يقع في قبائح الأقوال وفظائع الأعمال دون أنْ يشعر بشناعة جُرمه ، والسّبب في ترك الناس لطلب العلم كما قال ﷺ هو قلة العامل بعلمه ، وكثرة منْ يدع العمل بالعلم ، فكان ذلك مانعاً لغير المتعلّم منْ أنْ يُزيح عنه شبح الجهل .

وأنشد أبو عبدالله إبراهيم بن عرفة في هذا الباب :

" إذا أنت لم ينفعك علمك لم تجد *** لعلمك مخلوقاً من الناس يقبله
وإنْ زانك العلم الذي قد حملته *** وجدت له منْ يجتنيه ويحمله " (٢).

(١) ابن عبدالبر ، مرجع سابق ، ج١، رقم (١٠٨٧) ، ص٦٣٠ .

(٢) نفس المرجع ، ج١، رقم (١٠٨٨) ، ص ٦٣٠ .

المبحث الثاني : تعليم العلم :

لقد أمر الله ﷻ نبيه محمد ﷺ بنشر العلم وتبليغ شرعه في أصقاع المعمورة بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ ﴾ [سورة المائدة : الآية ٦٧] ، كما حثّ النبي ﷺ على تبليغ العلم ؛ فقال عليه الصّلاة والسّلام في الحديث الذي رواه الحاكم عنْ جبير بن مُطعِم ﷺ : " نضّر الله عبداً سمع مقالتي فَوَعَاها ، ثم أدّاها إلى منْ لم يسمعها ، فَرُبّ حامل فقهٍ لا فقه له ، وَرُبّ حامل فقه إلى منْ هو أفقه منه...(الحديث) " (١) .

إنّ نشر العلم مهمة العلماء الصّادقين - بالدرجة الأولى - العاملين بعلمهم ، والمخلصين في تعلُّمه وتعلِيمه ، لأنّ نشر العلم واجب على كلّ منْ توشّح وِشاح العلم على صدره ، وقد لا يُدرك عِظم هذه المسؤولية إلا منْ وَقَرَ الإيمان في قلبه ، ودلّه علمه بضرورة تبليغ العلم ونشره وبذله للناس ، كما أنّ كتمان العلم مُوجب لسخط الله تعالى وعقوبته ، كما روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " منْ سئل عنْ علم فكتمه ألجمه الله بلجام منْ نار يوم القيامة " (٢) .

إنّ تبليغ العلم ونشره بين الناس ليس بالأمر الهيّن ، وهو كذلك لا يستطيعه كلُّ أحد، وذلك لأنّ القائم على التعليم يُواجه أصنافاً مختلفة من الناس ، يختلفون باختلاف مشاربهم والبيئات المنحدرين منها ، فمنهم منْ يغلب عليه التواضع للحق ، فيقبل العلم النافع منْ أيّ شخص كان ، ومنهم المتكبر الذي طغى على نفسه الكِبر ، والذي حال الكبر بينه وبين قبول الحق الذي يُؤيده العلم ، ومنهم الجاهل الذي يحتاج إلى الأخذ بيده برفق ولين لإنقاذه منْ وطأة الجهل ، ومنهم المتعصب لباطله الذي يكون التعامل معه عنْ طريق المقارعة بالحجة والبرهان ، ومنهم المغتر بعلمه ، والذي يتطلب الأمر معه تبيان ما لديه منْ علم زائف ضار غير نافع ، فاختلاف منْ يُوَجّه إليه العلم يتطلب من العالم القائم على التعليم اختلافاً في الأسلوب والأداء المتبع في نشر العلم بين تلك الفئات المختلفة .

---

(١) الحاكم ، مرجع سابق ، كتاب (العلم) ، ج ١ ، رقم (٢٩٤) ، ص ١٦٢ .

(٢) أبو داود ، سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، بيروت ، دار الفكر ، د.ت ، كتاب (العلم) باب (كراهية منع العلم) ، ج ٣ ، حديث رقم (٣٦٥٨) ، ص ٣٢١ .

ولذلك كان هذا الأمر في غاية الأهمية ، ولأجله فقد تناولت آيات العلم هذا الموضوع منْ زوايا عدة ، وباهتمام بالغ ، وذلك لما لهذا الأمر منْ فوائد عديدة ، عمَّ خيرها وتعدَّ نفعها حامل العلم ومتلقيه ، وسيتناول الباحث هذا الموضوع بإذن الله تعالى منْ محاور عِدة ، وذلك على النحو التالي :

المحور الأول : البدء بتعليم الأقربين :

لقد جاء الأمر الرباني الكريم للنبي المصطفى الرحيم ﷺ ؛ بأنْ يبدأ في دعوة قومه للإسلام بأقرب الأقربين إليه ، وذلك مُستقىً منْ قول الله ﷻ : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء : الآيتين ٢١٤ - ٢١٥] ، فأُتَمَر النبي ﷺ بهذا الأمر على الفور ، وبدأ في تبليغ رسالة العلم والنور لقومه ، كما روى ابن كثير - رحمه الله تعالى - : " عن ابن عباس قال : لما أنزل الله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ أتى النبي - ﷺ - الصّفا فصعد عليه ؛ ثم نادى : يا صباحاه ، فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسولَه ، فقال رسول الله - ﷺ - : يا بني عبد المطلب يا بني فهر ؛ يا بني كعب ؛ أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أنْ تُغير عليكم صدقتموني ، قالوا : نعم ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب لعنه الله :تباً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ،وأنزل الله ﷻ:﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ " [1].

ولعلَّ أبرز معالم هذا المبدأ ما أوضحته آية العلم التي تحدثت عنْ أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، حينما بدأ بنشر العلم الذي بَلَغَه والخير الذي وَصَلَه إلى أبيه آزر ، حيث استخدم معه أَلْطف العبارات وأَلْين الكلمات ، رغبة في استجابته وقبوله للعلم الذي جاءه عنْ طريق ابنه، وبالرغم منْ كلّ المحاولات التي بذلها إبراهيم عليه السلام ، إلا أنها لم تلق قبولاً منْ قبل أبيه ، الذي استخدم معه الأدلة الحسّية وما ينبني عليها منْ استنتاجات عقلية ، حيث بيَّن لأبيه أنَّ الأصنام التي يعكف على عبادها منْ دون الله تعالى لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنه شيئاً ، وكلُّ هذه أمور حِسّية معروفة لديه ، ثم نقله بها إلى الاستنتاج العقلي ؛ وهو أنَّ هذه العبادة

---

(١) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية ، بيروت ، مكتبة المعارف ، د.ت ، باب (الأمر بإبلاغ الرسالة) ، ج ٣ ، ص ٣٨ .

ما هي في حقيقة الأمر إلا عبادة للشيطان ، وأنها سبب لحلول عذاب الله تعالى على فاعلها ، لأنه بهذا العمل أصبح للشيطان ولياً ،فقال تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام وهو يخاطب أباه:﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾[سورة مريم:الآية٤٣].

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – : " ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ﴾ أي : يا أبت لا تحقرني وتقلْ : إني ابنك ، وإنَّ عندك ما ليس عندي ؛ بلْ قد أعطاني الله من العلم ما لم يُعْطِك ، والمقصود منْ هذا قوله : ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ أي : مستقيماً معتدلاً ، وهو : عبادة الله وحده لا شريك له ، وطاعته في جميع الأحوال ، وفي هذا منْ لطف الخطاب ولِينِه ما لا يخفي ؛ فإنه لم يقلْ : يا أبت أنا عالم وأنت جاهل ، أو ليس عندك من العلم شيء ، وإنما أتى بصيغة : أنَّ عندي وعندك علماً ، وأنَّ الذي وصل إليَّ لم يصل إليك و لم يأْتك ، فينبغي لك أنْ تتبع الحجة وتنقاد لها "(١) .

لقدِ احْتوت هذه الآية الكريمة على كنوز تربوية نفيسة ، نذكر منها : التواضع ولين الجانب الذي مثّله إبراهيم عليه السلام في أُسلوبه الرائع ، الممتلئ حناناً وبراً بأبيه ؛ الذي واجه ابنه بكلِّ صَلَفٍ وكبرياء ، إلا أنَّ ذلك لم يُثْنِ منْ عزيمة إبراهيم عليه السلام في إقناع أبيه على اتّباعه ، لأنَّ العلم الذي معه أنفع وأحق بأنْ يُتبع ، وإنْ كان جاء عنْ طريق ابنه ، فعلى أهل العلم أنْ يتلمَّسوا خُطَى إبراهيم عليه السلام في تعليمهم للناس ، وأنْ يكونوا لُطَفاء في تعليم الغير ، خافضين لهم جناح الذل ، رحمة بهم وعطفاً عليهم ، فإنَّ ذلك أدْعى إلى تقبُّل الآخرين لعِلْمهم ، وأحْرى إلى تعميق مكانتهم في المجتمع ، لأنَّ الجميع يُكنّ لهم المحبة ، ويُقابلهم بجميل الكلام وطِيب الفِعَال النابع عنْ عميق منزلتهم في قلوبهم ، فإذا ما تحقق ذلك لأهل العلم ؛ أصبحت كلمتهم مُطاعة وأوامرهم مُجابة بين أفراد المجتمع .

إنَّ عدم تقبل الآخر لعلم العالم المتبع في أُسلوبه اللين والرحمة بالمتعلم ؛ لا يعني ذلك فشل العملية التعليمة والتربوية ، بلْ هو منعطف ينبغي على العالم أنْ يقف معه وقفة محاسبة لتقييم أُسلوبه في الطرح وطريقته في التعليم ، وأنْ يتعرف على الطريقة المثلى والمناسبة لجذب المتعلم نحوه ، وإفادته منْ علمه .

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٤٤٤ .

ومن الفوائد التربوية في هذه الآية الكريمة ؛ أنّه ينبغي على أهل العلم أنْ يسلكوا طريق الخليل إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه ؛ وذلك في محبة نشر الخير والعلم النافع بين الناس، وأنْ يكونوا حريصين على ذلك أشد الحرص وألا يملّوا منْ إرشاد الآخرين إلى ما ينفعهم ويصلح أُمورهم ؛ سواءً كان ذلك في أُمور دينهم أو دُنياهم وألا تكون المواقف الصّلبة الصّادرة من الغير حجر عثرة وحائلة لهم دون الاستمرار في نشر العلم ، بلْ عليهم أنْ يزدادوا عزيمة وقوة ؛ كلما ازدادت ضَرَاوة محاولات الآخر للصدّ من انتشار العلم والقيم الخيِّرية في المجتمع .

ومن المضامين التربوية في هذه الآية الكريمة حثّ أهل العلم على استخدام الأدلة الحسِّية للوصول بالمتعلّم – عنْ طريقها – إلى الحقائق العقلية (الغيبية) ، والتدرج بالمتعلّم في التعليم بدءاً بالأمور التي يُدركها ويُحسّها منْ حوله ، وانتهاءً بالأمور التي لا يلمسها بإحساسه ، فيصبح المتعلّم – بعد ذلك التدرج – يتلمّسها بعقله ، وتصبح لديه المحسوسات العقلية منْ قبيل المحسوسات الحسّية .

المحور الثاني : منْ يقبل العلم ؟! :

بالرغم منْ إنَّ عملية نقل العلم قد يعترضها العديد من العوائق والصّعوبات في مسيرها لنشر الخير بين شرائح المجتمع المتنوعة ؛ إلا أنه وفي نفس الوقت قد يجد العلم منْ يقبله ويعمل به ، وينافح عنه ، وهذا بلا شك هو المراد منْ عملية التعليم ، وأنَّ تلك الفئة التي قَبِلت العلم هي فئة عزيزة ، يجمع بين أفرادها التواضع للعلم ومُعلِّمه ، والرغبة في تنوير عقولهم ، وتبصير قلوبهم ، والرُّقي في درجات سُلَّم العلم الذي بدايته في الأرض ونهايته في السّماء ، فمنْ أخذ بالعلم فقد أخذ بحظّ وافر من العِزَّة والكرامة والسُّؤْدَد والرِفعة .

ولأنَّ منْ يقبل العلم في مجملهم يتصفون بصفات حميدة ؛ فقد أشارت آيات العلم إلى هذه الفئة النفيسة ، وبيَّنت أهم صفة تميزوا بها ، والتي كانت سبباً رئيساً في قبولهم للعلم الذي أتاهم ؛ ألا وهي كونهم مُتصفين بالعلم ، فهم في جوانب عُلماء ؛ قد أدركوا مقاصدها ، ووقفوا على حقيقتها ، وهم في جوانب أُخرى جُهلاء لم يقفوا على علمها وحقيقتها ؛ ولذلك فإنهم يُدركون بعين العلم الذي معهم أهمية ما جاءهم من العلم الذي ليس معهم ، وأثره الإيجابي على حياتهم وسلوكهم ، فتجدهم مُسارعين ومُسابقين إلى

الإذعان للعلم الذي جاءهم منْ أيِّ شخص كان ، وعاملين به حتى يكون لهم قَدَمَ السَّبْقِ في قبول العلم والعمل به .

لقد أشارت آيات العلم إلى تلك الفئة التي قادها علمها إلى التسليم الفوري بالعلم ، حتى وإنْ كان مصدره مُخالفاً لعقيدة تلك الفئة ؛ فإنه لما ذكر المولى تبارك وتعالى في سورة النساء بعض الأعمال المخالفة للنَّهج الرباني التي كان يقوم بها يهود ، كالظلم والصَّدّ عنْ سبيل الله تعالى وأخذ الربا وأكل أموال الناس بالباطل ؛ استَثْنى ﷻ فئة منهم ، بلْ وامْتَدحهم بصفات فيهم لم تكنْ مُتوافرة في غيرهم ، حيث لم يُؤثر عليهم كونهم قِلّة كالقشّة بين أمواج البحر المتلاطم بالفتن ، في قبول الحق الذي جاءهم منْ غيرهم ، تلك الفئة هي أهل العلم والإيمان ، فقال تعالى عنهم : ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء : الآية ١٦٢] .

قال السّيوطي – رحمه الله تعالى – : " أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنْ قتادة في قوله : ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ قال : استثنى الله منهم – يعني يهود – فكان منهم منْ يُؤمن بالله وما أُنزل عليهم وما أُنزل على نبي الله – ﷺ – يُؤمنون به ويُصدقون به ويعلمون أنه الحق منْ ربهم ، وأخرج ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس في قوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ ... الآية ﴾ قال : نزلت في عبد الله بن سلام وأسيد بن سعية وثعلبة بن سعية ؛ حين فارقوا يهود وأسلموا " (١) .

لقد كانت هذه الآية الكريمة مُسليةً لهؤلاء النفر المبارك الذين فارقوا – وهم قِلّة – قومهم ، واستْبدلوا الذي هو خير بالذي هو أدنى ، وأنقذوا أنفسهم بالمسارعة إلى قبول العلم الذي جاءهم عنْ طريق سيد العلماء ﷺ ، وأبرز القرآن الكريم شأْن هؤلاء العلماء الأقلاء ، حيث جُوبهوا منْ قومهم بالتهميش ، في حين أنَّ آيات العلم قامت بإظهارهم والإشادة بعملهم هذا .

---

(١) السيوطي ، مرجع سابق ، ١٩٩٣ م ، ج ٢ ، ص ٧٤٤ .

لقد وجد هؤلاء العلماء منـــزلتهم اللائقة بهم ،ومكانتهم المرموقة في مجتمع الإسلام؛ ذلك المجتمع الذي يحظى أهل العلم فيه بالعناية والاهتمام ، فوجدوا المجال الرَّحــب الــذي يستطيعون منْ خلاله مُواصلة مسيرتهم العلمية ، واستكمال أنشطتهم الإبداعية ، وتنمية مــا لديهم منْ مواهب وابتكارات ، وتسخير ذلك جميعاً في خدمة دينهم ومجتمعهم .

إنَّ على المجتمعات التي ينال أهل العلم فيها مكانتهم المناسبة ؛ أنْ تجــذب نحوهــا العلماء المضطهدون منْ قِبل أقوامهم - بسبب علمهم - وعلى اختلاف تخصصاتهم ، وتُهيّئ لهم المناخ المناسب لعلمهم ، وتساعدهم على تنمية مواهبهم ، وتسعى إلى اكتشــاف مــا لديهم منْ طاقات وقُدُرات يَنْدر وجودها عند كثير من الناس ، وتعمل على تشجيعها بكافة الوسائل الممكنة المادية والمعنوية ، حتى يَعُمّ نفعها الحاضر والباد .

إنَّ أهم ما يُميز منْ يقبل العلم أنه يقبل العلم الحديث والقديم على حــدّ ســواء ، فالعلم الذي تُوصل إليه قبل عشرات السّنين ، يُوازي لديه في الميزان ما تم اكتشــافه قبــل سُويعات قليلة ؛ ما دام أنَّ كلا النوعين تم التوصل إليهما بطرق مُوافقة للعقــل والنقــل ، فهؤلاء العلماء المشار إليهم في الآية السّابقة ؛ آمنوا بما أُنزل على نبيهم موســى ﷺ قبــل عُقود من الزمن ، وما أنْ سمعوا أنَّ كتاباً آخر أُنزل على النبي الخاتم محمد ﷺ يُوافــق مــا عندهم من العلم ، آمنوا به على الفور ، واتبعوه بالرغم منْ معارضة غالبية قومهم ،وهذا هو دَيْدن العالم الحقّ ؛ بأنْ يقبل العلم منْ أيّ شخص كان ، سواء كان مُعاصراً له في زَمَنــه أم سابقاً له في غابر الدهر ، وسواءً كان قبولُه للعلم مُرضياً للآخرين أم مُسخطاً لهم ، فكــلا الأمرين عنده سيّان ؛لأنَّ مقصوده من اتباع العلم والعمل به رضى الله ﷻ لا رضى الناس .

وفي آية أُخرى يبين الله ﷻ أصناف العلماء حِيَال العلم المكنوز في القرآن الكريم ، والذي اشتمل على آيات محكمات وأُخرى متشابهات ، وانقسام العلماء تجاه ذلك إلى قسمين ، فالقسم الأول : هم عُلماء الآخرة الذين يقبلون كلا النوعين ويذعنون له ، وأما علماء الدنيا فيتبعون المحكم والمتشابه ، لا قبولاً له وإنما لأجل لَبْس المحكم بالمتشابه وإثارة غبار التشويش على أعين التفكير الصّافي ، فقال تعالى عنْ كلا الفريقين : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ

مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ٧] .

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى – : " يخبر تعالى أنَّ في القرآن ﴿ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أي : بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ، ومنه آيات أُخَر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم ، فمنْ ردّ ما اشتبه إلى الواضح منه ، وحكَّم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ، ومنْ عكس انعكس... ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ ﴾ أي : ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ، ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ﴾ أي : إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أنْ يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة ويُنْزِلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه ، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه ؛ لأنه دافع لهم وحجة عليهم ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ ﴾ أي : الإضلال لأتباعهم ؛ إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم... وقوله تعالى : ﴿ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ ﴾ أي : تحريفه على ما يريدون... وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾ اختلف القرّاء في الوقف هاهنا؛ فقيل على الجلالة... واختار ابن جرير هذا القول ، ومنهم منْ يقف على قوله : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول ، وقالوا الخطاب بما لا يُفهم بعيد... وقال ابن أبي نجيح عنْ مجاهد : والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به... ﴿ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾ أي : الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق، وكلّ واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له ؛ لأنَّ الجميع منْ عند الله وليس شيء منْ عند الله بمختلف ولا متضاد... ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ أي : إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أُولو العقول السّليمة والفُهوم المستقيمة "(١) .

وأسند الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – إلى عمر بن عبد العزيز قولَه : " انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن ؛ إلى أنْ قالوا : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ ﴾ "(٢) .

---

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ١٤٠١ هـ ، ج ١ ، ص ٣٤٥ – ٣٤٨ (باختصار) .

(٢) الطبري ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ١٨٣ .

وروى الإمام البخاري – رحمه الله تعالى – عنْ عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت : " تلا رسول الله – ﷺ – هذه الآية : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ...الآية ﴾ قالت: قال رسول الله – ﷺ – : فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه ؛ فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم " [1] .

وهكذا كان – ولا زال – أهل العلم في مُقدمة منْ يقبلون الحق ويتبعونه ، ويذبُّون عنه وينصرونه ، بخلاف أهل الزيغ والضّلال الذين لا يستطيعون مُجابهة الحق بالحجج والبراهين ؛ ولا طاقة لهم بالصّمود أمامه ، فلا يملكون عندها إلا أنْ يحتالوا على الناس ؛ فيُظهرون لهم أنهم متبعون للعلم الحق ، ويَلْبِسون الحق الإلهي بباطلهم الشيطاني ، حتى يُروّجون – منْ خلال ذلك – مبادئهم الهدَّامة ، ومُعتقداتهم الفاسدة ، ويخلطون سُمَّهم القاتل بشيء يسير من العسل الجاذب ، لأجل أنْ يخدعوا الناس فينساقوا وراء أفكارهم المنحرفة ، فيحصل لهم ما أرادوا من الإضلال والإفساد .

وهنا تبرز أهمية العلم كحصن للإنسان ومانعٍ له من الانجرار خلف علماء الضّلالة ، الذين لا يستطيع الجاهل مُقاومة ما لديهم من الباطل الممزوج بشيء من الحق ، ولا يقدر على كشف زيفهم إلا منْ أنار العلم بصره ونوَّر بصيرته ، فأمثال هذا قادر على استبصار الحقائق منْ بين ركام الباطل ، فيبين للناس الحق منْ ضده ، ويُظهر الصّواب منْ خلافه ، ويُصفي الخير منْ شوائب الشر المتراكمة عليه .

ومنْ مضمون الآية وصريح الحديث التحذير من اتباع علماء السّوء ؛ الذين يلبسون الحق بالباطل لأنَّ في اتباعهم بُعدٌ عن الحق ومُجانبةٌ للصّواب ، وفي مخالفتهم السّلامة من الوقوع في الزلل ، وسلوك طريق الرشاد ، ولا يكون ذلك إلا بملازمة أهل العلم الصّادقين ؛ الذين يدعون إلى الحق الأبلج الذي لا لبس فيه ولا عِوَج .

ومنْ فوائد هذه الآية الكريمة أيضاً أنه لا ينبغي على طالب العلم أنْ يُعْمِل عقله في التفكير فيما لا طاقة له به ، كأمور الغيب وكيفية صفات الله ﷻ وتفاصيل الأمور التي لم يُكشف الحجاب عنها ، لأنَّ ذلك مَدْعاة إلى الحيرة والضياع في فَلَكِ العلم الواسع بلا طائل

---

(1) البخاري ، مرجع سابق ، كتاب (التفسير) ، باب (منه آيات مُحكمات) ، ج ٤ ، رقم الحديث (٤٢٧٣) ، ص ١٦٥٥ .

ولا منفعة تُذكر ، فلا بدّ على طالب العلم أنْ يحدّد لنفسه مساراً ، يمكن للعقل أنْ يسبح فيه ، وفق طاقته المحدودة وقُدراته المعهودة ، وقد كان عدم الالتزام بهذا القيد السّبب الأول في إدراج اسم كثير من الفِرَق تحت مُسمّى الفرق الضالّة - كالمعتزلة والخوارج- وذلك لضلالها وعدم تمسكها بهذا القيد ؛ حيث تَاهت عُقولهم وحَارَت نُفوسهم في أُمورٍ لم يستطيعوا أنْ يخرجوا منْ وراء البحث فيها بشيء يُذكر لهم ؛ بلْ كان كُلّ ما بذلوه في البحث في أمثال تلك الأمور حُجةً عليهم لا لهم ، وزيادة في التّيْه الذي كانوا يهربون منه إلى اليقين .

وفي ختام هذه الآية الكريمة بين الله تبارك وتعالى أنّ أُولي العقول السّليمة هم الذين يستفيدون من التذكير والتعليم ، وينتفعون من الوعظ والإرشاد ؛ ذلك أنّ العقل المستبصر بالعلم يقبل الحق وإنْ كان مُرًّا ، ويتبعه وإنْ قلّ متبعوه ، ويسلك طريقه وإنْ عَزَّ سالكوه ؛ فالفِطَر النقية منْ شوائب الذات وحظوظ النفس لا تستنكف أنْ تنقاد للحق الآتي منْ كبير أو صغير ؛ أو شريف أو وضيع ، المهم عندها مُتابعة الحقّ تحت أيّ ظرف كان .

وفي مقامٍ آخر وفي صورةٍ أوضح يذكر المولى ﷻ موقف أهل العلم من العلم المنزَّل على رسوله ﷺ ؛ حيث كان موقفهم من العلم الذي جاءهم موقفاً إيجابياً ، ونظروا إليه على أنه حق وأتاهم من طريق حق - القرآن الكريم - الذي مصدره من الحق ﷻ ، وأنه هادٍ إلى طريق قويم ، فيقول ﷻ عنهم : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سورة سبأ : الآية ٦] .

قال السّعدي - رحمه الله تعالى - : " لما ذكر تعالى إنكار منْ أنكر البعث ، وأنهم يرون ما أنزل على رسوله - ﷺ - ليس بحق ، ذكر حالة الموفَّقِين من العباد ؛ وهم أهل العلم ، وأنهم يرون ما أنزل الله على رسوله - ﷺ - من الكتاب وما اشتمل عليه من الأخبار هو الحق ؛ أي : الحق منحصرٌ فيه وما خالفه وناقضه فإنه باطل ، لأنهم وصلوا من العلم إلى درجة اليقين ، ويرون أيضاً أنه في أوامره ونواهيه ﴿ يَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾...وهذه منقبة لأهل العلم وفضيلة وعلامة لهم ، وأنه كلما كان العبد أعظم علماً وتصديقاً بأخبار ما جاء به الرسول- ﷺ - وأعظم معرفة بحكم أوامره ونواهيه ، كان من

أهل العلم الذين جعلهمُ الله حجة على ما جاء به الرسول - ﷺ - ، احتج الله بـهم على المكذبين المعاندين " (١) .

إنه من الصّعوبة بمكان على كثير من العلماء أنْ يُقرَّ بخطأ ما كان عليه ويرجع عنه إلى جادة الصّواب - وهذا حال الكثير منهم - إلا أنَّ منْ صدق منهم في علمه ومقصده ، فإنه على استعداد تام للتخلي عنْ آرائه التي ثبت خطؤها ، ويُعلن للملأ أنَّ الحق في ضدها ؛ بلْ يكون هو أول منْ يدعها ويُوَلِّي وجهه عنها ، وهذه هي غاية الموضوعية والنَّزَاهة التي يدعو إليها الإسلام ، فقد " عُنِيَ بالذين أُوتوا العلم - في هذه الآية الكريمة - مُسْلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام - رضي الله عنه - ونُظرائه الذين قد قرؤوا كُتب الله التي أُنزلت قبل الفرقان ، فقال تعالى ذكره : وليرى هؤلاء الذين أُوتوا العلم بكتاب الله الذي هو التوراة الكتاب الذي أُنزل إليك يا محمد - ﷺ - منْ ربك هو الحق ، وقيل عُنِيَ بالذين أُوتوا العلم أصحاب رسول الله ﷺ " (٢) .

وعلى اعْتبار كلا الفريقين ، فإنَّ عُلماء أهل الكتاب ومنْ كان له علم سابق من أصحاب رسول الله ﷺ - منْ غير أهل الكتاب - قد تجردوا من الانحيازية إلى الموضوعية ، وتركوا ما كانوا عليه إلى ما جاءهم من الحق عنْ طريق الرسول ﷺ ، فهم بدايةً رأوا أنَّ دين الإسلام وكتابه القرآن هو الحق ، ثم بعد ذلك التصديق حصل منهم التطبيق ؛ فآمنوا وأسلموا ، وعملوا بما علموا.

إنَّ العلماء الذين يحظون بالكلمة المسموعة بين الناس ، إذا ما بُحث وراء مكانتهم تلك ؛ لوجِد أنَّ السّبب الكامن خلف تلك الحفَاوة التي يتمتعون بها ؛ هو قناعة الناس أنَّ هؤلاء العلماء يبحثون عن الحق ،ويجتهدون في البحث عنه ،ويعملون به إذا وجدوا بُغيتهم .

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٦٢١ - ٦٢٢ (باختصار) .

(٢) الطبري ، مرجع سابق ، ج ٢٢ ، ص ٦٢ .

المحور الثالث : عقبات في طريق نشر العلم :

إنه ولا بدّ لمنْ تصدّى لعملية نشر العلم بين أفراد المجتمع أنْ تعترض مسيرته العلمية عدداً من العِقاب والصّعاب ، حيث تتنوع بتنوع الحال ، وتختلف باختلاف الأشخاص الذين يُوجه إليهم العالم علمه ، ولكلّ نوع منْ تلك العِقاب طريقة خاصة في علاجها وتخطيها ، ولأهمية هذا الموضوع ؛ فقد أشارت إليه آيات العلم بشيء من العناية والتركيز ، وذلك لما يعنيه هذا الأمر منْ آثار سلبية ووخيمة إنْ لم يقُم أهل العلم باحتوائها ومعالجتها ، وفيما يلي بيانٌ لتلك العقبات التي أشارت إليها آيات العلم :

أولاً : عقبة الجهل :

يعتبر الجهل منْ أخطر العوائق التي تحول بين الإنسان وبين وصوله إلى الحقيقة ، ولا يستطيع شيء إزالة ذلك الخندق المظلم سِوَى العلم ، لأنّ العلم قادر على تفنيد حجج الجهلة من الناس ، فحججهم ليس لها أساس علمي ، ولا مستند واقعي ، وبالتالي فهي تهوي منْ أول وهْلة لأول مُواجهة علمية حقيقية تعتمد على أدلة يقينية وبراهين ثابتة بين فريق العلم وفريق الجهل .

إنّ العلم بحقائقه النّيّرة وأدلته السّاطعة وبراهينه المبهرة ؛ لا يخشى مُواجهة الجهل بتُرّهاته السّاقطة وأدلته الواهية وبراهينه الضعيفة ، وقد ورد في آيات العلم مُكاشفة ومُواجهة منْ هذا القبيل ، فقد حصلت المواجهة بين أعلم العالمين وبين أجهل الجاهلين ؛ حيث ردّ الله تبارك وتعالى دعاوى المشركين ؛ الذين دفعهم جهلهم إلى التقوّل على الله تعالى ، ونسب ما لم ينسبه إلى نفسه ، فدحض أقوالهم بقوة الأدلة ودمغ أباطيلهم بوضوح البراهين ، فانْكفأت أوعية أساطيرهم ، وأصبحت خاوية منْ كلّ حجة يمكنهم أنْ يتكئوا عليها ، فإليك هذه المواجهة كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ

﴿ ... ٱلۡخَبِيرُ ۝١٠٣ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾
[سورة الأنعام : الآيات ١٠٠ – ١٠٤] .

قال الإمام الواحدي – رحمه الله تعالى – : " ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ ﴾ أطاعوا الشّياطين في عبادة الأوثان فجعلوهم شركاء لله ، ﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۢ ﴾ افتعلوا ذلك كذباً وكفراً ؛ يعني الذين قالوا : الملائكة بنات الله ، واليهود والنصارى حين دَعَوا لله ولداً بغير علم ، لم يذكروه عنْ علم ، إنما ذكروه تكذباً ، وقوله : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ ﴾ أي : منْ أين يكون له ولد ، ولا يكون الولد إلا منْ صاحبة ، ولا صاحبة له ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ ﴾ أي : وهو خالق كلّ شيء... ﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ يعني : بينات القرآن ، ﴿ فَمَنۡ أَبۡصَرَ ﴾ اهتدى فلنفسه عمل ، ﴿ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ ﴾ فعلى نفسه جنى العذاب ، ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾ برقيب على أعمالكم حتى أُجازيكم بها " (١) .

إنَّ الجهل قد يُوقع بصاحبه إلى السّقوط في هاوية سحيقة ، جرَّاء أعماله الشّنيعة التي يقع فيها دون أنْ يُدرك ما يترتب على فعلها منْ نتائج وخيمة ، كما يُقحمه الجهل على التجرؤ على سلوكيات فظيعة بالغة في الخطورة ؛ حتى ولو كان ذلك التجرؤ على الله ﷻ ، فينسب إليه جهلاً ما لا يليق به ، وما ليس له به علم ، ومنْ أظلم ممنْ قال على الله ﷻ بلا بينة ولا برهان ، وافترى عليه أشنع النقص ، الذي يتنـزّه الله ويتعالى عنه .

وفي الآية استنتاج عقلي مفاده تنـزُّه الله تعالى منْ نسبة الولد إليه ، وقد اعتمد ﷻ في تقرير هذه الحقيقة على أدلة عقلية يقبلها كلّ عقل سليم ؛ إذْ كيف يكون لله تعالى شريك منْ خلقه تنصرف إليه بعض صنوف العبادة المستحقة لله وحده ؛ وهو ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ ، ومتقن صنعتهما على غير مثال سابق ، ولم يزعم أحد – سوى الله تعالى – أنه خالق السّماوات والأرض ، فكان هذا أقوى دليل على وحدانية الله تعالى ،كما دلَّ أيضاً على أنَّ الولد الذي يُنسب إليه ،ما هو في حقيقة الأمر إلا مخلوقاً – عظُم أم صغُر– منْ سائر مخلوقاته التي ابْتدعها وأبْدعها في هذا الكون ، فكيف يُعبد المخلوق ويُترك الخالق!.

---

(١) الواحدي ، مرجع سابق ، ١٤١٥ هـ ، ج ١ ، ص ٣٦٨ – ٣٦٩ (باختصار) .

ومن الأدلة التي استدلَّ بها الله تعالى على امتناع حصول الولد له امتناع لازم ذلك ، وهو امتناع حصول الزوجة له – تعالى الله عنْ ذلك عُلواً كبيراً – أي أنّه لا يمكن أنْ يكون لله تعالى الولد ، وليس له في الأصل ما يُوجب حصوله وهي الزوجة ، فكان هذا دليلاً آخر على انفراد الله ﷻ بالعبادة وتنـزُّهه عن الولد والزوجة .

ومن الفوائد العظيمة منْ هذه الآيات الكريمة إقناع الجاهل بالأدلة العقلية التي يستْسيغها عقلُه ، ويقبلها قلبُه ، حتى يثبت عنده بقينٍ بُطلان ما كان يعتقده ، فينتقل عنه – بقناعة – إلى ما جاءه من الحق – برغبة – عبر الطرق العلمية التي استخدمها حامل العلم مع فاقده ، كما أنَّ اتباع هذا الأسلوب الرباني الكريم ؛ المبني على التعامل بالأدلة الإقناعية يُفيد ضمان عدم تصلُّب وإصرار الجاهل على رأْيه ، والذي ثبت عنده خطؤه ، لأنَّ من الناس منْ إذا جُوبه جهله بعنف التغيير أخذته العزة بالإثم ، واستكبر وأصرّ على موقفه الخاطئ ، بينما إذا وُوجِهَ جهله برفق التعليم ولِين التغيير ؛ حصل له من القبول والإذعان للحق ما لم يكنْ مُتوقعاً .

إنَّ المحصِّلة النهائية المرجوّة من التعليم هو التطبيق والعمل بالعلم ، وهو ما دعا إليه كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ ، وهذا ظاهرٌ وبيّن الدلالة منْ هذه الآيات الكريمة ، فالله ﷻ حينما أثبت للمشركين استحقاقه للعبادة دون مشاركة أحد منْ خلقه ؛ طلب منهم بعد ذلك العلم أنْ يعملوا به ، وأمرهم بإفراد العبادة له ﷻ ، ونبذ ما سواه من الآلهة المزعومة ، وهو ما ينبغي أنْ يُركز عليه القائمون على مؤسسات التربية والتعليم ؛ فيربطوا بين ما يتلقاه الطلبة من العلوم النظرية مع مُتطلباتها التطبيقية ، ويعملوا على ربط طلبة العلم بميدان التطبيق ، وتشجيعهم بمختلف الحوافز المادية والمعنوية ، لكي يقوموا بتطبيق ما تعلّموه على أرض الواقع .

إنه لا بدّ على أهل العلم أنْ يُظهروا للآخرين إرادة الخير لهم ، وأنهم يسعون جاهدين لأنْ ينقذوهم من الوقوع في أخطار أعمالهم المخالفة للسّلوك القويم ، وفي نفس الوقت تحذيرهم منْ مغبة السّقوط في الهاوية ؛ إنْ هم أصرُّوا واستمرُّوا في تلك الأفعال الخاطئة ، فإنَّ ذلك حريٌ بأنْ يبين للآخرين مُرادهم في الإصلاح وهدفهم في التقويم

وغايتهم في نشر الخير بين الناس ، فإذا ما تم ذلك لهم حصل لدى الآخرين القبول لعلمهم والانتفاع به .

ثانياً : عقبة التعصب للباطل :

لا يخشى أهل العلم مُواجهة الجهلاء ،كما أنهم لا يخشون مُواجهة المتعصبين للباطل ، ولكنَّ المواجهة هذه المرة تحتاج منهم إلى حِنكة وحِكمة ، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٦٩] ، لأنَّ المتعصب للباطل يُدرك خطأ مُعتقده وصواب ما يُضاده ؛ إلا أنَّ حُبّ الشّهرة والرئاسة يحولان دون اعْتراف الكثير من الناس بالحق واتباعهم للعلم ، ولهذا كانت هذه العقبة تتطلب منْ أهل العلم مزيداً من العناية بالترتيب والتنظيم في الحوار ، والتركيز في استحضار الأدلة والبراهين ، باعتبار أنَّ الذي يُحاورنه لديه من العلم الشيء الذي قد يُساعده في المزيد من الإصرار والاستكبار والمعاندة والصّمود في وجه أهل العلم ؛ الذين يسعون جاهدين إلى إنقاذه من الشر ، وإنِ استْبسل في الاستمساك به .

ومن الحكمة في مُواجهة أهل الباطل المتعصبين ، عدم مجاراتهم في عِنادهم ضد الحقّ ؛ الأمر الذي قد يتسبب في بُعدهم عنه أكثر منْ ذي قبل ، وذلك مأْخوذٌ منْ قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٠٨] .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – : " ينهى الله المؤمنين عنْ أمر كان جائزاً ، بلْ مشروعاً في الأَصل ، وهو سبّ آلهة المشركين ، التي اتخذت أوثاناً وآلهة مع الله ، التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبّها ، ولكنْ لما كان هذا السبُّ طريقاً إلى سبِّ المشركين لربِّ العالمين ، الذي يجب تنـزيه جنابه العظيم عنْ كلّ عيب وآفة وسبّ وقدح ؛ نهى الله عنْ سبِّ آلهة المشركين لأنهم يتحمّسون لدينهم ويتعصبون له ؛ لأنَّ كلّ أمة زيّن الله لهم عملهم فرأوه حسناً ، وذبُّوا عنه ودافعوا بكل طريق...وفي هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية

وهي : أنَّ الوسائل تُعتبر بالأمور التي توصل إليها ، وأنَّ وسائل المحرم ولو كانت جائزة تعتبر محرمة إذا كانت تُفضي إلى الشر "(١).

وقال الشوكاني – رحمه الله تعالى – : " في هذه الآية دليل على أنَّ الداعي إلى الحق، والناهي عن الباطل ، إذا خشيَ أنْ يتسبب عنْ ذلك ما هو أشد منه من انتهاك حُرم ، ومخالفة حق ، ووقوع في باطل أشدّ ؛ كان الترك أوْلى به ؛ بلْ كان واجباً عليه...وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أنَّ هذه الآية محكمة ثابتة غير منسوخة ، وهي أصل أصيل في سدّ الذرائع وقطع التطرق إلى الشبه "(٢).

حقاً إنَّ الجدال مع المتعصبين للباطل دوماً يمرُّ بأنفاقٍ مُظلمة ، قد يكون الخروج منها إلى الغاية التي ينشدها أهل العلم وهي هداية ذلك المناور والمحاور ، وقد يكون العكس ؛ وذلك عندما يتصلّب على رأْيه الشاذ ويتشبث بموقفه الخاطئ ، ويزداد إصراراً بعد إصرار في تعصبه لباطله ؛ وقد يكون ذلك التعصب راجعاً لأحد أمرين :

الأول : خطأٌ في الأسلوب والطريقة التي يتبعها العالم مع ذلك المتعصب ، والتي زادت منْ حماقته المتمثلة في التمسك بالاعوجاج في المنهج والتطبيق .

الثاني : الاستكبار والأَنَفَة الصّادرة ابتداءً من الطرف المتعصب ، بسبب خوفه منْ زوال منصبه أو تحول الأنظار عنه إلى غيره .

فها هو الله ﷻ ينهى في هذه الآية الكريمة عنْ أمر جائز ؛ لأنه قد يُفضي إلى عظيم منْ عظائم الذنوب ، وهذا في غاية الحكمة الإلهية منه ﷻ ، وهي في نفس الوقت تربية عظيمة لهذه الأمة ، لأجل أنْ تسعى في منهجها الدّعوي والتربوي إلى تقديم درء المفسدة على جلب المصلحة ، وسدّ الباب الذي قد يلِج منه الشيطان برَجله وخيله ؛ فيحدث عندئذٍ ما لا يُحمد عُقباه وما لم يكنْ في الحسبان ، ولذلك فإنَّ على أهل العلم مهمة صعبة في مُواجهة المتعصبين للباطل .

لقد بيّن الله تعالى لنا في هذه الآية الكريمة أُسلوباً راقياً منْ أساليب التعامل مع جنود الباطل ؛ ألا وهو تقديم ما قد يكون للعيان تنازلاً ، وهو في حقيقته مكسباً آخر يُحْرِزُه

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٢٣١ (باختصار) .
(٢) الشوكاني ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ١٥٠ (باختصار) .

الداعي إلى الحق ، يتمثل ذلك في حماية جَنَاب الحق الذي يحمله ، وصَوْنه منْ تجريح المتعصب الذي لا يجد من الأدلة ما يُبرئ ساحته ؛ فيحاول اتباع طريقة القدح في الحق ذاته والنَّيْل منه بالسِّباب والشتام ومنْ حامله أيضاً ، كلّ ذلك محاولة فاشلة منه لتغيير دفّة الحوار لصالحه ، فكان من الحكمة مع أمثال هؤلاء أنْ يُحَافَظ على لؤلؤة الحق من التجريح ، وذلك بعدم مبادلة الطرف الآخر نفس النوع من التعامل ، بلْ إنَّ البعد عنْ هذا الأسلوب الوَقِح في الجدال ؛ هو في حقيقته رِفعة للحق وأهله ؛ ودناءة للباطل وأهله ، فكلمة الحق ترفع منْ شأن قائلها عند الآخرين ، وتعظم منْ قدر العلم الذي معه في نفوس المستمعين ؛ في حين أنَّ كلمة السُّوء تجرُّ على صاحبها النّكال والوبال ، لأنه يُظهر للآخرين أنه لا يملك من الحق شيئاً ؛ ولذلك فهو يترنح بألفاظ بذيئة وعبارات قبيحة ، وليس عنده بينة أو برهان يعضد رأيه ويصدق قوله .

ومنْ أعظم منْ تعنت في قبول الحق وماطل وجادل عن الباطل هم – كما أخبر الله تعالى – بنو إسرائيل ؛ ولذلك فقد ذكرهم الله ﷻ في آيات العلم بهذه الصّفة في أكثر منْ موضع منْ كتابه ﷻ ، ومنْ صور التعصب للباطل التي ذكرها الله تعالى عنهم – وهي منْ لوازمه – البغي على الحق ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ١٩] ، وقال عنهم أيضاً : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة يونس : الآية ٩٣] ، وقال عنهم كذلك : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ [سورة الشورى : الآية ١٤] ، وهم كذلك الذين قال فيهم : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة الجاثية : الآية ١٧] .

قال الإمام الطبري – رحمة الله تعالى – في آية آل عمران : " يعني بذلك جلّ ثناؤه وما اختلف الذين أُوتوا الإنجيل ؛ وهو الكتاب الذي ذكره الله في هذه الآية في أمر عيسى وافترائهم على الله فيما قالوه فيه من الأقوال التي كثر بها اختلافهم بينهم وتشتت بها كلمتهم

وباين بها بعضهم بعضاً ؛ حتى استحلَّ بها بعضهم دماء بعض ؛ ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ يعني : إلا منْ بعد ما علموا الحق فيما اختلفوا فيه منْ أمره ، وأيقنوا أنهم فيما يقولون فيه منْ عظيم الفِرْية مُبطلون ، فأخبر الله عباده أنهم أتوا ما أتوا من الباطل ، وقالوا ما قالوا من القول الذي هو كفرٌ بالله على علمٍ منهم بخطأ ما قالوه ، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلاً منهم بخطئه ؛ ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلاف الذي هم عليه تعدياً منْ بعضهم على بعض ، وطلب الرِّياسات والملك والسّلطان " (١) .

وأما آية العلم في سورة يونس ؛ فيقول فيها الشيخ أبو بكر الجزائري : " يريد أنَّ بني إسرائيل الذين أكرمهم ذلك الإكرام العظيم ، كانوا قبل مبعث النبي ﷺ متفقين على دين واحد ، منتظرين النبي المنتظَر المبشر به في التوراة...فلما جاءهم وهو العلم وهو القرآن والمنـزل على محمد ﷺ اختلفوا فمنهم منْ آمن به ومنهم منْ كفر " (٢) .

وقال العلامة السّعدي – رحمة الله تعالى – في آية الشورى : " لما أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم ، ونهاهم عن التفرق ، أخبرهم أنهم ينبغي لهم أنْ لا يغتروا بما أنزل الله عليهم من الكتاب ، فإنَّ أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع ، ففعلوا ضدّ ما يأْمر به كتابهم ، وذلك كلّه بغياً وعدواناً منهم ، فإنهم تباغضوا وتحاسدوا ، وحصلت بينهم المشاحنة والعداوة ، فوقع الاختلاف ، فاحذروا أيها المسلمون أنْ تكونوا مثلهم " (٣) .

في حين كانت آية العلم في سورة الجاثية منْ نصيب الإمام القرطبي – رحمه الله تعالى – حيث قال في تفسيرها : " ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ قال ابن عباس : يعني أمر النبي ﷺ ، وشواهد نبوته بأنه يُهاجر منْ تهامة إلى يثرب وينصره أهل يثرب... ﴿ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ ﴾ يريد يوشع بن نون ؛ فآمن بعضهم وكفر بعضهم ، حكاه النقاش ، وقيل : ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ ﴾ نبوة النبي ﷺ ، فاختلفوا فيها ، ﴿ بَغۡيَۢا

(١) الطبري ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢١٢ .

(٢) الجزائري ، مرجع سابق ، ١٤١٨ هـ ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ (باختصار) .

(٣) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٧٠١ .

﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي : حسداً على النبي ﷺ ...﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أي: يحكم ويفصل ،﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا " [1] .

لقد كانت هذه الصّفة الذميمة ؛ وهي البغي على الحق ، مُستنكرة ومُستقبحة ممنْ حمل علماً ؛ لأنَّ المتوقع حدُوثه ممنْ هذا حالُه ؛ أنْ يكون أوّل متبعٍ للحق ومنقادٍ له ومدافع عنه ، لا عكس ذلك ، لأنَّ عنده من العلم ما يُساعده على تمييز الحق من الباطل ، وإزالة اللبس الذي قد يعتري المستبصر للحوادث النازلة ، إلا أنهم قد بدر منهم ما لم يكنْ مُتوقعاً ؛ إذْ كانوا منْ أوائل المعارضين للحق ، وفي مقدمة الدّاعين إلى محاربته ، ولا شك أنَّ فاعل ذلك أعظم جُرماً من الذي يتصدى للحق جهلاً منه لا عنْ علم به ، بيْد أنَّ هؤلاء العلماء وقفوا في الجبهة الأخرى للعلم لمقاومته ومدافعته عنْ يقين بأنهم مخطئون ، وأنَّ الصّواب كلّه مع الفريق الآخر الذي يرفع شعار العلم والعمل سوياً .

إنَّ مخالفة الحق إنْ كان ديناً يُورث الكفر ، وإنْ كان مبدأً يجرّ إلى الضّلالة ،﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [سورة يونس : الآية ٣٢] ، ذلك لأنه لا يقف في وجْه الحق إلا الضّلال والخطأ والمنكر وسيء الأقوال والفِعال ، ومنْ هنا كانت مبارزة أمثال هؤلاء المتعالمين تتطلب نوعاً خاصاً من المناظِرين المتمرِّسين على الجدال مع مثل هذه الفئة .

إنَّ على أهل العلم الصّادقين تعويد أنفسهم وتربية طلبتهم على الانصياع التام والانقياد المباشر لما يأتيهم من الحق ، وإنْ جاء منْ صغير أو وضيع أو فقير ؛ لأنَّ الحق أحقُّ أنْ يُتبع ، ولأنَّ في اتباعه سلوك طريق النجاة في الدنيا والآخرة ، وفي مخالفته ميلٌ عنْ جادّة الصّواب وانحراف عن الصّراط المستقيم في الحياة الفانية والباقية ، وكما أنَّ اعتْراض الباطل مؤشرٌ على وجود ظاهرة صحية في المجتمع ، حيث يدل هذا الفعل على حياة قلب ذلك المعترض وحُبّه للخير للناس كآفة ؛ فإنه كذلك لا يعترض الحق إلا منِ امْتلأ قلبه حسداً لأهل الحق وبُغضاً لهم ولما يحملونه من الخير ، فبالتالي تكون معارضته للحق مُؤشراً على فساد نيّته وخُبث طويّته .

---

(١) القرطبي ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، ص ١٦٣ (باختصار) .

ثالثاً: عقبة تَتَبُّع الهوى :

إنَّ العقبة في هذه المرة تختلف عنْ سابقتها في كون العقبة السّابقة كانت حجر عثرة أمام أهل العلم في نشر الخير ، في حين أنَّ هذه العقبة – في الغالب – مُقتصرٌ ضررها على من اتصف بها ، فالهوى دائماً يُخالف العلم وما يدعو إليه من الحق ؛ لأنَّ الحق في غالبه ثقيل بطبعه على النفوس التي رَضَخت لسلطان الهوى ، ولذلك كان المتبع لهواه – غالباً – لا يملك من العلم شيء حتى يُدافع عنْ هواه المخالف للحق ، بخلاف المتعصب للباطل الذي هو في الأصل عالم؛ إلا أنه غير عامل بعلمه ، لأنَّ الحسد نال منْ قلبه ومنعه من اتباع الحق المعلوم عنده بأوصافه وخصائصه ، ومنْ هنا كانت دعوة المتبع هواه إلى الحق تتطلب أُسلوباً مُغايراً لما عهدناه مع المتعصب لمذهبه ؛ يتضح ذلك عند الحديث عنْ آيات العلم التي تحدثت عنْ هذا الموضوع الهام باستيفاء لجوانبه المختلفة .

ولذلك فقد لقيَ الأنبياء – عليهم الصَّلاة والسَّلام – مع أُممهم ، والمصلحون مع أقوامهم معاناة شديدة منهم ، لأنهم أَلِفُوا الحياة بأنماط قد طبع عليها الهوى بطابعه ، وجاءهم الأنبياء – عليهم الصَّلاة والسَّلام – والعلماء الربّانيون بالعلم الذي يخالف في توجيهاته طبائع الهوى ؛ والتي لا يُغيرها إلا العلم الصّحيح والمعرفة المستنيرة ، حيث إنَّ العلم هو الوسيلة الوحيدة للتغيير نحو الأفضل ، وأيُّ تغيير لا ينبني على العلم الصّحيح فإنه يُوقع صاحبه في اتباع الهوى ، والذي يترتب عليه حصول الضّلال والانحراف عن الحق .

لقد تناولت آيات العلم أهل الكتاب كذلك منْ زاوية اتباعهم للهوى ، فتصبح حالة المتبع هواه عند ذلك عنْ علمٍ لا عنْ جهل ، لأنَّ أهل الكتاب عندهم من العلم ما يميّزون به بين الحق والباطل ؛ إلا أنَّ حُبهم للهوى وبُغضهم للحق ؛ جعلهم يُنحُّون علمهم جانباً ويتبعون ما تُملي عليه أهواءهم ، وفي هذه الحالة يصبح العلم الذي يحمله المتبع هواه وَبالاً وحجة عليه ، فقال تعالى عنهم : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٢٠] .

قال عبدالله بن عمرو– رضي الله عنهما – في هذه الآية : " فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق اليهود والنصارى بعدما علموا من القرآن والسّنة – عياذاً بالله من ذلك – فإنّ الخطاب مع الرسول والأمر لأمته " (١) .

وقال تعالى عنْ أهل الكتاب أيضاً : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٤٥] .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى– : " ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ إنما قال أهواءهم ولم يقلْ دينهم ؛ لأنّ ما هم عليه مجرد أهواء نفس ، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين ، ومنْ ترك الدين اتبع الهوى لا محالة...أيّ ظلمٍ أعظم منْ ظُلْم منْ علِم الحق والباطل ، فآثر الباطل على الحق ، وهذا وإنْ كان الخطاب له ﷺ ، فإنّ أمته داخلة في ذلك، وأيضاً فإذا كان هو ﷺ لو فعل ذلك – وحاشاه – صار ظالماً مع عُلو مرتبته ، وكثرة إحسانه ، فغيره منْ باب أوْلى وأحرى " (٢) .

وقال تعالى عنْ أهل الكتاب كذلك : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [سورة الرعد : الآية ٣٧] .

قال الشيخ أبو بكر الجزائري : " ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ بأنْ وافقتهم على مِلَلِهم وباطلهم في اعتقاداتهم ، وحاشا رسول الله ﷺ أنْ يفعل ، و إنما الخطاب منْ باب : إياك أعني واسمعي يا جارة ، ﴿ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ أي : ليس لك منْ دون الله منْ وليٍ يتولى أمر نصرك وحفظك ﴿ وَلَا وَاقٍ ﴾ يقيك عذاب الله إذا أراده بك لاتباعك أهل الباطل وتركك الحق وأهله " (٣) .

لقد كان نصيب أهل الكتاب – إلا منْ آمن منهم واتبع الحق – منْ رذائل الأقوال وقبائح الأفعال كبيراً ؛ ذلك لأنهم علموا فلم يعملوا بما علموا ، بل اتخذوا أهواءهم منهج حياة ، يسيرون وِفق ما تُمليه عليهم أهواءهم المنحرفة وآراؤهم الضّالّة ، وجعلوا منْ علمهم

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ١٤٠١ هـ ، ج١، ص ١٦٤.

(٢) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٥٤ – ٥٥ (باختصار) .

(٣) الجزائري ، مرجع سابق ، ١٤١٨ هـ ، ج ٣ ، ص ٣٤ .

أداةً ومطيَّةً لتبرير ما هم عليه من المخالفات العقدية والتجاوزات الدينية والاستغلال السّيّءِ لمكانتهم الشّرعية في المجتمع ، ولا شكَّ أنّ مثل هؤلاء العلماء هم أخطر على مجتمعاتهم من السّلطان الجائر ، لأنّ الناس عندما يُطيعون السّلطان إذا كان جائراً في حكمه ؛ فإنهم يُطيعونه لجوره لا لقناعتهم بأُمره ، وأما العالم المتبع هواه ؛ فالناس يتبعونه برغبة وقناعة ؛ ظناً منهم أنه لنْ يُشرع لهم إلا ما هو موجود عنده في الكتاب المنزّل ؛ والحقيقة خلاف ذلك.

إنّ موقف أهل العلم من المتبعين لأهوائهم عنْ علمٍ كموقف عبدالله بن سلام ﷺ حينما رأى فئة منْ أهل الكتاب شرّعت بأهوائهم ما ليس في كُتُبهم ، وتركوا شرع الله تعالى الموجود عندهم في الكتاب المنزَّل عليهم ، فأضلوا أنفسهم وأقوامهم بأهوائهم ، والقصّة كما رواها الإمام البخاري – رحمه الله تعالى – : عنْ عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أنه قال : " أنّ اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أنّ رجلاً منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما تجدون في التوراة في شأْن الرجم ، فقالوا : نفضحهم ويجلدون ، فقال عبد الله بن سلام : كذبتم إنّ فيها الرجم ؛ فأَتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده ، فإذا فيها آية الرجم ، فقالوا : صدق يا محمد – ﷺ – فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجِما ،قال عبد الله : فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحجارة " (١) .

إنّ هذا الموقف الشجاع الذي وقفه عبدالله بن سلام ﷺ منْ قومه لهو المرجعية الصّحيحة للتعامل مع المتبعين لأهوائهم عنْ علم ، فعلى أهل العلم الاهتداء بهذا العمل الذي تمّ تحت مَرْأى ومَسْمع من الرسول الكريم ﷺ ، وأنْ يُبينوا للناس حقيقتهم ؛ حتى لا ينخدعوا بضلالاتهم وينساقوا وراء أهوائهم .

ولما صدر منْ هؤلاء المتبعين لأهوائهم الصُّدود عمَّا وَهَبهم الله تعالى من العلم ، وتكبروا على الحق الآتي من العلماء الصّادقين ، وحادوا عنه إلى الضّلال باختيارهم ، لم يكنْ وراء ذلك إلا أنْ ينالوا الاستحقاق الإلهي الذي اتضحت معالمه في قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ

---

(١) البخاري ، مرجع سابق ، كتاب (المناقب) ، باب (قول الله تعالى : يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) ، ج ٣ ، رقم الحديث (٣٤٣٦) ، ص ١٣٣٠ .

ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الجاثية : الآية ٢٣] .

قال الإمام ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – : " قال ابن عباس : كان أحدهم يعبد الحجر ، فإذا رأي ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر ، و قال قتادة : هو الكافر لا يهوى شيئاً إلا ركبه ، وقال ابن قتيبة : المعنى يتبع هواه ويدع الحق ، فهو له كالإله " [(١)] .

وأضاف العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – : "﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ من الله تعالى، أنه لا تليق به الهداية ، ولا يزكو عليها ، ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ ﴾ فلا يسمع ما ينفعه ،﴿ وَقَلْبِهِۦ ﴾ فلا يعي الخير ، ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ تمنعه منْ نظر الحق ،﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي: لا أحد يهديه ، وقد سدّ الله عليه أبواب الهِداية ، وفتح له أبواب الغواية ، وما ظلمه الله ؛ ولكنْ هو ظلم نفسه ، وتسبب لمنع رحمة الله عليه ، ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ما ينفعكم فتسلكونه ، وما يضركم فتجتنبونه " [(٢)] .

لقد كانت عقوبةً عادلة من الذي لا يظلم مثقال ذرة ؛ ذلك لأنّ الله ﷻ أوْضح لبني الإنسان طريق الهداية وطريق الضّلالة ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [سورة البلد : الآية ١٠] ، فمنْ أراد إحدى الطريقين هُيِّئت له الأسباب الملائمة لما يُحبه منهما : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [سورة الليل : الآيات ٥ – ١٠] .

إنّ على اللبيب الفَطِن أنْ يختار لنفسه طريق الهداية ، المبتدئ باتباع الحق ونبذ الأهواء المخالفة له ، وإنْ تشبّثت بها الأنفس وتعلّقت بها الأمانيّ ، فالخير كلُّه في تركها ومخالفة النفس الأمّارة بالسّوء ، والشرّ كلّه في الانقياد الأعمى للأهواء دون بصيرة .

إنها حقاً مسؤولية شاقة على أهل العلم تجاه العلماء المتبعين لأهوائهم ، فهم منْ جهة عليهم مسؤولية النصيحة والبلاغ لهم ؛ فلعلهم أنْ يكفوا أذاهم عن الآخرين بكفّ أهوائهم

---

(١) ابن الجوزي ، مرجع سابق ، ١٤٠٤ هـ ، ج ٦ ، ص ٩٢ .

(٢) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٧٢٢ .

عن التشريع ، ومنْ جهة أُخرى عليهم مسؤولية توضيح الحق للناس عامة ، وردع الباطل بكشف زيفه ودحض شبهاته بالأدلة والبراهين الدامغة ، حتى يرجع إلى الحق من انخدع ويثبت عليه منْ ثبت .

لقد كانت الآيات السّابقة تتحدث عمّن اتبع هواه بعد أنْ جاءه علم بأنّ اتباع الهوى منبوذٌ شرعاً وعقلاً ، ونُورد هنا آيةً تُبين حال من اتبع هواه قبل العلم ، وما مصيره بعد أنْ علم أنه كان متبعاً لهواه ، مخالفاً للحق ؛ وأصرّ على لزوم الهوى واستحبه على الهدى فقال تعالى عنْ هذه الحالة : ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [سورة الروم : الآية ٢٩] .

قال الإمام القرطبي – رحمه الله تعالى – : "﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ ﴾ لما قامت عليهم الحجة ؛ ذكر أنهم يعبدون الأصنام باتباع أهوائهم في عبادها وتقليد الأسلاف في ذلك ، ﴿ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ ﴾ أي : لا هادي لمنْ أضله الله تعالى " (1) .

لقد كان المتبع هواه في هذه الحالة قبل أنْ يُعلّم لديه نسبة ضئيلة من العذر ؛ وهو الجهل المركب القابع على عقليات العرب آنذاك ؛ والذي حال دون اتضاح الصّورة أمامهم بحقيقة القوانين التي كانوا يُقدسونها في ذلك الوقت ، إلا أنّ هذه النسبة قد تضاءلت شيئاً فشيئاً ، حتى اخْتفت بعدما عَلِم بُطلان ما كان يعمل به من الأهواء ، وأنها مغضبة لربه ومولاه ﷻ .

إنّ هذا المتبع لهواه ، الجاهل بحقيقة ما يتبعه ؛ قد قامت عليه الحجة بعد أنْ أُخبر بأنّ ما كان يتبعه ليس ديناً إلهياً وإنما هو دين بشري ، خرج إلى الجهَلَة من الناس عبر عُلماء السُّوء ، فأنتجت عُصارة أهوائهم تشريعاً أرضياً مُناهضاً للتشريع السّماويّ ؛ وعلى ذلك فيكون إصراره على الاستمرار بالعمل بتلك الأهواء بعد علمه بضلالها ؛ إصرارٌ على ارْتكاب الخطأ عنْ عمد ، فيصبح عندها مُستحقاً لأنْ يُلبس حُلّة الضّلالة ، ويُحال بينه وبين لباس الهداية ، بسبب استكباره عنْ قبول الحق الذي جاءه .

---

(1) القرطبي ، مرجع سابق ، ج ١٤ ، ص ٢٣ .

إنَّ عقبة الجهل إذا أُضيف إليها عقبة اتباع الهوى أصبحت المهمة الموكَلة إلى العلماء الصّادقين مهمة عظيمة والمشقة مضاعفة ، فعلى العالم أولاً أنْ يُزيل شبح الجهل عنْ راكب فرس الهوى ، وذلك بتعريفه أنَّ ما يفعله مجانبٌ للصّواب ؛ وأنه في حقيقة الأمر لا يتبع سِوى ضلالات وأفكار انحرفت اتجاهاتها عن المسار الصّحيح ؛ فأصبحت تتخبط في التفكير هنا وهناك بلا مُستند شرعي ؛ فَتاهت في غيّها وأَتاهت غيرها ، ثم عليه ثانياً أنْ يسعى جاهداً إلى إقناعه بترك الهوى ؛ بأنْ يُثبت له بالأدلة والأمثلة أنَّ اتباع الهوى يجرّ إلى مزالق الشرّ وأنَّ في مخالفته السّلامة من الوقوع في الزلل .

رابعاً : عقبة الاغترار بالعلم :

يُعتبر الكِبْر منْ أقوى العوامل المؤدية إلى الاغترار بالعلم الذي توصل إليه العالم ، سواءً أكان ذلك العلم إنجازات علمية أو مُكتشفات مخترعة ، فالعالم عندما يصل إلى هذا المستوى ؛ فإنه قد لا يقبل إضافات علمية من الآخرين إذا لم يكنْ سبباً في اكتشاف تلك الإضافات العلمية ، وقد يستحيل عليه قبول الحق الآتي ممنْ دونه في المنزلة العلمية ، لأنه قد وصل إلى درجة عالية من الثقة بنفسه وعلمه ، أَوْدت به إلى الاغترار بما عنده من العلم ، وأَفْضت به تبعاً لذلك إلى الامتناع عنْ قبول العلم والحق الذي لم يكنْ أَحَدَ وَاجديه ومُكتشفيه ، وقد قال الشيخ عبدالرزاق عفيفي – رحمه الله تعالى – كلمة ثمينة تُكتب بمداد الذهب ؛ لأنها تُعبر عنْ حقيقة طالما كانت خافية عنْ أذهان بعض العلماء الذين جرَّهم الغرور بقدراتهم العقلية ومُنجزاتهم العلمية ؛ وأوْقعهم في أودية سحيقة بعيدة العمق من التّيْه والتخبط في أفكارهم الذاتية المجردة منْ قبول الحق والعلم الذي أتاهم منْ غيرهم ؛ حيث يقول : " إنَّ الذين لديهم ذكاء حادّ ؛ لا يقبلون الصّواب غالباً إلا إذا كان منْ عند أنفسهم؛ وذلك أنَّ الله تعالى أعطاهم قدرات وطاقات عالية ، وُفِّقوا بسببها إلى كثير من الحق الذي أخطأ فيه الناس ، ولذلك فلديهم من الثقة بآرائهم وعدم الثقة بآراء الآخرين ما يصعب معه على الناس إقناعهم بغير الآراء التي يرون هم " [1] .

ولقد قرّرت آيات العلم هذه الحقيقة ، وذمّت فاعلها ، وبيّنت شناعة جُرمه وأليم عقابه ؛ حيث يقول الله ﷻ في مثل هؤلاء الرافضين للحق المغرورين بما عندهم من العلم :

---

(١) العودة ، سلمان بن فهد ، أدب الحوار ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م ، ص ٣٩ – ٤٠ .

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة غافر : الآية ٨٣] .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – : " ذكر جُرمهم الكبير : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ من الكتب الإلهية ، والخوارق العظيمة ، والعلم النافع المبين ، الهادي من الضّلال ؛ والحق من الباطل ، ﴿ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ المناقض لدين الرسل ، ومن المعلوم أنّ فرحهم به يدل على شدة رضاهم به وتمسكهم ، ومعاداة الحق الذي جاءت به الرسل ، وجعل باطلهم حقاً ، وهذا عامٌ لجميع العلوم التي نُوقض بها ما جاءت به الرسل ، ومنْ أحقها بالدخول في هذا ، علوم الفلسفة ، والمنطق اليوناني ، الذي رُدّت به كثير من آيات القرآن ، ونقصت قدره في القلوب ، وجعلت أدلته اليقينية القاطعة أدلة لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين ، ويقدم عليها عقول أهل السَّفه والباطل ، وهذا منْ أعظم الإلحاد في آيات الله والمعارضة لها والمناقضة ؛ فالله المستعان " (١) .

بعد أنْ ذكر الله ﷻ حال أُمة بأكملها ، وقعت في أَسْر الغرور بالعلم ، يذكر تعالى حال شخصية قديمة قِدَم التاريخ ، ومعروفة عبر الأجيال ؛ إذا ذُكر اسمها ذُكر معه الغرور بالعلم الذاتي ، وما يتبعه منْ كُفر النعمة ورفض النصيحة ، إنها بلا شك شخصية قارون الإسرائيلي ؛ التي تتكرر نُسَخها في كلّ زمان ومكان ، فقد أعطى الله تعالى لقارون أموالاً طائلة ، يصعب حمل مفاتيح خزائنها على العصبة منْ أُولي القوة ؛ فكيف بالأموال نفسها !، وبالرغم منْ ذلك لم يُؤدي قارون شُكر هذه النعمة ، بلْ إنه لم يعترف أصلاً بفضل الله تعالى عليه ، أنْ أعطاه هذه النعم ، وقابل تلك النعم بالجحود والنُّكْران ، ونسبَ الفضل في الحصول عليها إلى علمه ، و لم ينسب الفضل إلى علم الله تعالى؛ الذي لولاه لم يستطع أنْ يستحصل على شيء منها ، ولو كان مثقال خردلة ، فقال تعالى على لسان هذا المغتر بعلمه حينما نصحه صُلَحاء قومه بعدم الاغترار والتكبر بتلك النعم ، واستخدامها في ما ينفع منْ خيريّ الدنيا والآخرة ، إلا أنه ردّ عليهم بقوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٦٩٠ .

ﭐللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [سورة القصص : الآية ٧٨] .

قال الإمام الواحدي – رحمه الله تعالى – : " ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ على فضل علم عندي ، وكنت بذلك العلم مستحقاً لفضل المال ،وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة، قال الله تعالى : ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ﴾ للمال منه،﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ لأنهم يدخلون النار بغير حساب" (١).

لقد حدَا الاغترار بالعلم وعدم الاعتراف بالفضل لله ﷻ في ذلك العلم ، وعدم تسخير ذلك العلم وتلك النعم في مرضات الله ﷻ ؛ إلى أنْ كان سبباً في نزول العقاب الإلهي على ذلك المغتر ، فخسف الله تعالى به وبداره الأرض ، فكانت عقوبته تلك دلالة على مقْت الله تعالى لهذا العمل ، وكانت في نفس الوقت تحذير من الله – جلّ وعلا – منْ أنْ يقع أحدٌ منْ خلقه فيما وقع فيه قارون ، فلربما يحصل له مثل ما حصل لقارون ؛ من المقت والبغض الإلهي .

إنَّ على الإنسان الذي يُوليه الله ﷻ علماً أنْ يجعل منه جسراً ليعبر بواسطته إلى فضاء العلوم الأُخرى ، فيتعلّم منها ما ينفعه وأُمته ، ويفتح ذراعيه على مصراعيها لكلِّ حقٍّ آتٍ إليه ، وأنْ لا يجعله حائلاً يحول بينه وبين طلب العلم الذي يجهله ، أو سبباً في تقوقعه على نفسه وتكبره على غيره ، فلا يقبل الحق الذي يأْتيه منْ غيره ، ظناً منه أنه قد بلغ الثُّريّا في العلم ، وأنَّ ما عنده من العلم يكفيه لأنْ يستبصر به دربه في هذه الحياة ، وما علِم أنَّ العلم يتجدّد في كلّ يوم ، فما كان معمولاً به اليوم ؛ فقد يكون منسوخاً بما اكتُشف من العلم في اليوم التالي .

إنَّ الموقف السّديد للمسلم الرشيد تجاه نعم الله الظاهرة والباطنة ؛ أنْ يُظهر تواضعه لربه ﷻ ، وأنْ يُقابل النعم المنزَلة عليه بالشكر والثناء على الله تعالى بما هو أهلُه ، ولا يكون ذلك إلا بعد أنْ يعترف الإنسان في داخله بأنَّ الله تعالى هو المنعم وصاحب الفضل

(١) الواحدي ، مرجع سابق ، ١٤١٥ هـ ، ج ٢ ، ص ٨٢٥ .

عليه أولاً وآخراً ، فليس له حولٌ ولا قوة في الحصول عليها وجمعها ، وأنْ يعلم علم اليقين أنَّ هذه النعم جاءته من الله تعالى تفضلاً وتكرماً ، لا استحقاقاً ومجازاةً .

إنه لحريٌ بالعالم الذي آتاه الله تعالى قدرةً عاليةً من الذكاء والتفكير والتحليل والاستنباط ؛ ألا يرْفض أيّ فكرة تأتيه على الفور ، دُونما تمعُّنٍ فيها وتبصّر في مدلولاتها ودراسةٍ للنتائج المترتبة على متابعتها والعمل بها ، فلربما يكون الخير في الأخذ بها والشرّ في تركها ، ومنْ أجل ذلك كان ولا بدّ على العالم أنْ يُخضع الآراء والمبادئ المستجدة تحت مجهر التحليل ، ويُسلِّط عليها أضواء التفكير ، وفي ختام هذه التجربة يُسجّل العالم ملاحظاته ومَرْئِيّاته على تلك الأفكار ويضع عليها قراره النهائي ؛ إما بالقبول لفائدتها ، وإما بالرفض لعدم جدواها .

ويُستثنى منْ موقف العالم من الأفكار الجديدة ما يتلقاه منْ نصوص الوحيَيْن الكتاب والسّنة ، فإنه وإنْ كانا مُوافِقَيْن للعقل ؛ ولا يمكن بأيّ حالٍ من الأحوال أنْ يتعارضا مع العقول السّليمة والفِطَر المستقيمة ؛ إلا أنَّ هناك من الأمور الغيبية ما لا طاقة للعقل في تصوره ، وما لا يستطيع احتماله ، كأحوال الإنسان في قبره وأهوال يوم القيامة ، وأعظم منْ ذلك وأجلّ معرفة كُنْه أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العُلى ، فالواجب على العالم في هذه الحالة أنْ يقبل ما جاء به الدّين جملةً وتفصيلاً ،وألا يجعل شيئاً منه محلاً للدراسة العقلية، فإنَّ العقل عندها يحارُ ولا يصل إلى مُبتغاه من الفهم ؛ الذي يرجو منْ ورائه العمل بمقتضى ذلك الفهم ، بلْ إنَّ عليه التسليم المطلق والقبول المباشر والإذعان الفوري لكلّ ما يأتيه منْ قِبَل هذا الدّين ؛ لأنَّ الله تعالى لا يأْمر إلا بمنفعة عباده ، ولا ينهى إلا عنْ ضررهم وفساد حياتهم .

المحور الرابع : كيف ينجح المعلم في تخطي تلك العقبات ؟ :

لما كان المحور السّابق يتناول بعض ما قد يعترض العلم في طريق انتشاره منْ عقبات، وما يمكنْ أنْ يُواجهه حاملُه منْ صعوبات ، وبعد أنْ عرفنا الكيفية المثلى لمعالجة أمثال تلك الصّعوبات منْ خلال الموقف القرآني الذي وقفته آيات العلم منْ تلك الصِّعاب عند حدوثها، كان من المناسب أنْ نتحدث بعد ذلك عنْ بعض الوسائل الاستباقية ، والتي قد يحدّ تطبيقها منْ وقوع أمثال تلك العِقاب ، ولذلك فإنَّ على المعلم مهمة الكشف عنْ أفضل

السُّبل وأنجع الطرق وأنجح الأساليب ؛ التي يستطيع منْ خلالها نقل ما لديه من العلم إلى فئات المجتمع المختلفة ، والتي تتنوع بتنوع مشارب أصحابها ، واختلاف بيئاتهم المنْحَدرين منها ، حتى يتمَّ الهدف المنشود منْ عملية التربية والتعليم ؛ وهو تقويم الْمُعْوَج وتصحيح أفكاره ، وتدعيم المصيب وتثبيت خطواته .

وقبل ذلك ينبغي علينا أنْ نُدرك أنَّ الجوّ التعليمي الآن قد تغير عمّا كان عليه في السّابق ، ففي الماضي لم يكنْ يُنافس المعلم شيء من الوسائط التربوية الموجودة الآن كوسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة والمقروءة ، وأما اليوم فقد " تعددت الوسائط التربوية في المجتمع ، وتحتم عليها أنْ تتعاون مع المؤسسات الاجتماعية فيه ، وتنسق الجهود فيما يتعلق بشؤون التعليم ، فإنَّ النتائج التربوية التي يريدها المجتمع لنْ تتحقق إلا منْ خلال المعلمين ؛ باعتبارهم قادة تربويين في بيئاتهم ، وعليهم واجب دراسة مشكلات التنسيق واتخاذ الخطوات الإيجابية الأولى في هذا الاتجاه ، ليعينوا المجتمع على الحصول على أحسن تربية لأبنائهم " (١) .

وبناءً على ذلك فإنَّ على المعلم أنْ " ينغمس في حياة مجتمعه ويخالط الناس ، وليس عليه إلا أنْ يتصل بالحياة الاجتماعية فلا يعتزل الناس ، ولا يكون زاهداً في صحبتهم ، يائساً منْ إصلاحهم ؛ بلْ يُشارك في كثير من الأعمال الاجتماعية والمشاريع الثقافية والخيرية ، إنه لا شيء أقْتل لنفس المعلم من العزلة ، لأنها تبعده عن الحياة وتوقعه في التشاؤم ، وتملأ نفسه قلقاً واضطراباً ، ونحن نستعيذ بالله منْ مرض التشاؤم وخُدع العزلة ، ونسأله المنّ على المعلمين بروح سمحة ونفس راضية مطمئنة ، حتى يثقوا بأنفسهم ، ويفرحوا بمؤالفة الناس ، فإنَّ اعتزال الناس في المجتمع أشدّ فتكاً بنفس المعلم منْ أي شيء آخر" (٢) .

وإذا كان المعلم يريد العيش الفاعل والمشاركة الناجحة في حياة مجتمعه ، فعليه معاملة الناس " بمكارم الأخلاق ، منْ طلاقة وجهٍ ، وإفشاء السّلام ، وإطعام الطعام ، وكظم الغيظ ، وكفّ الأذى عن الناس واحتماله منهم ، والإيثار وترك الاستئثار ، والإنصاف وترك الاستنصاف ، وشكر التفضل ، وإيجاد الراحة ، والسّعي في قضاء الحاجات ، وبذل

---

(١) أبو الفتوح ، رضوان وآخرون ، المدرس في المدرسة والمجتمع ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٣م ، ص ١٢ .

(٢) صليبا ، جميل ، مستقبل التربية في العالم العربي ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٦٧م ، ص ٣٨٨ .

الجاه في الشفاعات ، والتلطف بالفقراء ، والتحبب إلى الجيران والأقرباء ، والرفق بالطلبة وإعانتهم وبِرّهم " (١) .

فإذا ما تم ذلك ؛ أصبح المعلم محبوباً لدى طلابه خاصة وعند الآخرين عامة ، كما يستطيع المعلم بما أُوتِيَ منْ علم بنفسيات الآخرين ومنْ خلال قراءاته وتجاربه ؛ أنْ يفهم طبائع الناس الذين يُعايشهم ، ويحاول أنْ يحملهم على الانسجام والتعاون والبناء معاً ، بالرغم من اختلاف أجناسهم وألوانهم وإيديولوجياتهم ، لذلك فهو يسعى باستمرار لوضع اللبنة فوق اللبنة لبناء مجتمعٍ على أُسس سليمة متينة ، منطلقاً منْ مجلس درسه ، ومنتهياً برحاب مجتمعه .

هذا وإنَّ معرفة المعلم لطلابه اسماً اسماً ، ومناداتهم بها أو بِكُناهم ، يُشبع لديهم حاجتهم الطبيعية للتقدير ، ويجعل الطالب يشعر أنَّ له قيمة ومكانة في بيئته ، الأمر الذي يحقق عنده الشّعور بالاطمئنان وهو ما يدفعه – في نفس الوقت – إلى مزيد من التعلّم والمشاركة ، وعلى المعلم كذلك أنْ يحترم منْ يحضر درسه " فيوقر أفاضلهم بالعلم ويكرمهم بحسن السّلام وطلاقة الوجه ومزيد الاحترام " (٢) .

وهكذا نجد أنَّ التعلّم كما يراه المربون الأوائل قولاً وعملاً ، لا مجرد تلقينٍ لمعلومات مكتوبة ؛ تُنسى بعد حِين ، بلْ هو عملية تفاعل تتم في وسط اجتماعي شديد الفاعلية ، فهو " نشاط اجتماعي ، يجري في وسط اجتماعي وفي تفاعلات اجتماعية ، وفي تشابك اجتماعي" (٣) .

بَيْد أنَّ هذه العملية الاجتماعية التفاعلية " ليست علاقة محصورة في دائرة التعلّم فحسب ، بلْ إنها أكثر اتساعاً وأعمق غوراً ؛ بحيث تتناول ما قد يتعرض له المتعلّم ، وما قد يحزنه منْ مشكلات حياته وهمومها ، فالأستاذ المتعلّم هو معلم حياة ، وشركاء التعلّم هم شركاء حياة " (٤) .

---

(١) ابن جماعة ، مرجع سابق ، ص ٥٢ – ٥٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٦٨ – ٦٩.

(٣) عثمان ، سيد أحمد ، التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م ، ص ٩١ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٩٧ .

ومنْ أهم الأمور التي ينبغي على المعلم أنْ يتنبه إليها أنْ " يحترم العلوم الأُخرى التي يتلقاها المتعلّم ، ويحثه على الاهتمام بها ، وألا يزدريها أمامه ، ولا يُحقر شأنها ، ما دامت علوماً نافعة تحتاج الأمة إليها...فإذا هوّن المعلم منْ هذه العلوم أمام المتعلّم ، ربما لقيَ كلامه القبول عنده ؛ فأهملها واستهتر بها ، وفتح عليه باب التقصير والتخلّف فيها " (١) .

ولضمان نجاح التفاعل بين المعلم وطلابه ؛ فإنّ عليه ألا يُكثر الانتقاد والعتاب ، وعليه ألا " ينظر إلى الأخطاء وحدها ، دونما نظر إلى الصّواب ؛ فمن المعلمين منْ إذا أخطأ زميله أو مسؤوله في تصرف ما ، أو في علاج مشكلة معينة أكثر من انتقاده وذمّه ، وهذا لا يحسن بالمعلم ؛ بل اللائق به أنْ يلتمس العذر لإخوانه ، وأنْ يضع نفسه موضعهم ، فماذا سيصنع لو وقع فيما وقعوا فيه ، ولا يعني ذلك ألا يُبدى الملاحظات...وإنما يعني أنْ يكون ذا نظرة متوازنة وأنْ يكون منصفاً ؛ فما أجمل الإنصاف " (٢) .

إنّ " هذه البيئة وهذا الوسط الاجتماعي النقي ؛ يتربى فيه المتعلّم المسلم ، ويكون المعلم أحد بُنَاته ، ويقوم هذا الوسط على التعاون والمحبة والشورى والاختيار ، مما كان له أثره الواضح في النماء السّليم السّويّ لشخصية المتعلّم المسلم ، حتى إنّ المدارس الإسلامية منذ نشأتها لم تعدّ لتكون مركز إشعاع فِكري فقط ، بلْ مركزاً لخدمات اجتماعية مختلفة ، يساهم فيها المعلمون والمتعلّمون على حد سواء " (٣) .

إنّ هذه الخطوات وتلك الإجراءات إذا ما وجدت طريقها نحو التطبيق ؛ فإنها ستكون عوناً -بإذن الله تعالى - للمعلم على تفادي العقبات والصِعاب التي سبق ذكرها في المحور السّابق ، وتعمل على جعل عملية التعليم عمليةً سَلِسَة التنفيذ ، سريعة التحقيق لأهدافها ، بأسرع وقت ممكن وأقلّ جهد .

---

(١) البيانوني ، عبدالمجيد ، رسالة المعلم وآداب العالم والمتعلم ، بيروت ، دار ابن حزم ، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) الحمد ، محمد بن إبراهيم ، مع المعلمين ، الرياض ، دار ابن خزيمة ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ ، ص ٧٥ .

(٣) سعد الدين ، محمد منير ، دراسات في تاريخ التربية عند المسلمين ، بيروت ، دار بيروت المحروسة ، ط ٢ ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م ، ص ١٢٦ .

المبحث الثالث : المنهجية العلمية :

بعد أنِ استعرضنا في المبحث السّابق أهمية نشر العلم بين طبقات المجتمع ، وما قد يُواجهه أهل العلم منْ عقباتٍ تحول بينهم وبين نشر الخير الذي معهم ، نذكر في هذا المبحث المنطَلَق والمرتَكز الذي يستند عليه أهل العلم في تعليمهم للغير ، فقد جاءت آيات العلم مبينةً أنّ على أهل العلم أنْ يكونوا دوماً معتمدين في دعوتهم للخير وفي نشر العلم على أدلة وبراهين ، تُقنع الآخرين بصحة ما عندهم من الحق ، وتكون كفيلة بأنْ تُجليَ العَمَى الجاثي على قلوب منْ لم يذق حلاوة العلم والحق الذي جاء به .

ثم إنّ آيات العلم قد شنَّعت على المدّعين كذباً وزوراً ، المبتدِعين والمبتعِدين عن الدليل والحجة ، الذين يستغلّون حبّ الناس للخير ، فيسعون إلى استمالة أفئدتهم تارة بالحِيَل والأساطير ، وتارة أُخرى بالقوة حتى يُوقِعوا الناس في لُجَج الباطل وحِمَم الشرّ وهم لا يشعرون ، فوقفت منهم آيات العلم موقفاً واضحاً ؛ حيث أظهرت خطأهم ، وحذَّرت من الاغترار بهم ، والانخداع بأباطيلهم .

وفي حين أظهرت آيات العلم عَوَر الأوْهام والظنون التي يرْتكز عليها كارهو الحق ، أبْرزت أهمية الاعتماد على العلم اليقيني الذي ينطلق بموازاة العقل والنقل سوياً ، ولا يتعارض مع أحد منهما ، فالعلم الحقيقي هو العلم الذي تُدركه العقول وتبصره العيون وتَلْحظه جميع الحواس ، فذلك العلم الذي يحظى بالقبول منْ كلّ منْ علمه ، وهو كذلك أَدْعى إلى ثباته ورسوخه في الأفهام أكثر من الأوهام .

إنّ التقليد الأعمى هو آفة الآفات ، وصانع العقول المقفلة في كلّ المجتمعات ، ولذلك فقد جاءت آيات العلم محذِّرة أيّما تحذير منْ هذا الدّاء العضال ، وداعية إلى تحرير العقول منه ، وإلى فتح أبواب الاجتهاد على مرّ العصور ، حتى لا يتوقف العلم عن امتداده وانتشاره، وحتى لا تتوقف العقول عنْ مهمّتها الرئيسة ؛ وهي البحث عن الحقيقة والتنقيب عنها منْ بين الركام الهائل من الشّائعات والأساطير .

كلّ تلك المحاور والأفكار سنتناولها - بمشيئة الله تعالى - في هذا المبحث بشيء من التفصيل الموجز ، فإلى أُولى تلك المحاور :

المحور الأول : النعي على المستندين على الأوهام والظنون والدعوة إلى الاعتماد على العلم اليقيني :

أ / النعي على المستندين على الأوهام والظنون :

لقد دعا الإسلام أتباعه إلى الاعتماد على الحجة والبرهان في أخْذهم وتركهم، وقولهم وفعلهم، وألا يكونوا أُمةً غوغائية، لا مُستند علمي لهم؛ ولا منهجية علمية يتبعونها في حياتهم وحوارهم مع الآخر، ولأجل ذلك فقد شنَّع القرآن الكريم في آيات العلم على الذين يتخذون من الخرافة ديناً ومن الأساطير منهجاً، ومن العلم عدواً، حيث اتسع مجال الأوهام والظنون عند الجهلاء من الناس؛ حتى أصبح يتناول أموراً عظيمة في حياته، كإنكار عقيدة البعث، وتكذيب الله تعالى فيما يتعلق ببعض مخلوقاته كما سنرى لاحقاً، ولا شك أنَّ منْ كان هذا حالُه فإنه سيكون عُرضة للسّقوط في مُستنقع لا قعر له من الأساطير والخرافة.

ولذلك فقد جاءت آيات العلم كاشفةً لهذا الغطاء الأسود، الذي طالما كان حائلاً دون رؤية الحق عند كثير من الناس، ومُبينة خطأ تلك الظنون التي اتخذوها ديناً يُدان به؛ فهي لا تُوافق العقول المستنيرة بنور الإيمان ونور العلم، فالإيمان يأْبى عليهم أنْ يقولوا على الله ما لا يعلمون، والعلم يمنعهم من الخوض فيما لا دليل عليه ولا بينة على صدقه، ومن أجل ذلك فقد نعى القرآن الكريم على الدهريين أقوالهم؛ التي يسندون فيها انقضاء آجالهم إلى الدهر، فقال ﷻ عنهم: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [سورة الجاثية : الآية ٢٤].

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى –: " ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ أي: منكرو البعث: ﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾: إنْ هيَ إلا عادات، وجَرْيٌ على رسوم الليل والنهار؛ يموت أُناس، ويحيا أُناس، ومنْ مات فليس براجع إلى الله، ولا مجازى بعمله، وقولهم هذا صادر عنْ غير علم، ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ فأنكروا المعاد، وكذبوا الرسل الصّادقين، منْ غير دليل دلَّهم ولا برهان، إنْ هيَ إلا ظنون، واستبعادات خالية عن الحقيقة "(١).

---

(١) السعدي، مرجع سابق، ١٤١٧ هـ، ص ٧٢٢ – ٧٢٣.

لقد أوْدت جَهَالة هؤلاء القوم والأساطير التي كانوا يعتمدون عليها إلى القول بأمر تأْباه النفوس السّوية ؛ حيث رَضُوا منْ أنفسهم أنْ يكونوا أُلعوبة تتقاذفهم الأوهام والظُّنون ، ونطقت ألسنتهم بأقوال هي منْ قبيل غرائب العجائب ؛ إذْ كيف تُنسب الحياة والممات إلى الليل والنهار ، وفي كلّ صبيحة وعشية ينقضي أمام أنظارهم يوم كاملٌ بليله ونهاره وهم أحياء ، فكيف يقضي الآجال ويُحي الأجيال منْ كان يُقضى عليه ! .

وهكذا نُدرك أنَّ كلّ قول وعمل مُجانبٌ للبرهان العقلي والدليل النَّقْلي فمستنده ظنونٌ وأوهام ، ومنْ كانت الظنون دليله والأوهام طريقه ؛ فإنه سيعيش أسيراً للجهل ، ومُقيد بسلاسل الأساطير ، التي لا يستطيع أنْ يَحُلّ قيدها سِوى العلم ، الذي يُزيل اللبس عن الأفهام ، ويرفع الغشاوة عن الأبصار .

إنَّ المجتمعات التي تخلو من العلم وأهله ، فلا بدّ أنْ ينتشر تبعاً لذلك الجهل وأهله ، ولأجل ذلك فعلى الغَيُورِين منْ أهل العلم أنْ يعملوا جاهدين على طمس معالم الجهل ، وذلك بسحق الأساطير ومحو الأوهام التي تُعَشْعِش على العقول ، ونشر نور العلم بين الناس، وأقرب مثال على ذلك تلك الجهود العظيمة الذي قام به شيخ الإسلام ومجدد العصر محمد ابن عبدالوهاب – رحمه الله تعالى – الذي نشأ في بيئة كَثُرت فيها الشِّركيّات الناجمة عن انتشار الخرافة في أوساط المجتمع ؛ فلم يهدأ له بال حتى واجه الجهل وأهله بمفرده ، وجاهد في سبيل نشر العقيدة الصّحيحة وإرجاع الناس إلى سواء السّبيل ، فآواه الله تعالى إلى فئة مؤمنة قَبِلت الحق الذي جاء به ، وأعانته على إفشائه بين الناس ، وآتاه الله تعالى سُؤْله ، وأعاد جزيرة العرب مرة أُخرى إلى حصن التوحيد ، بعد أنْ كانت غارقة في أوحال الأوهام التي أوقعتهم في الشرك وأخرجتهم منْ حظيرة الإسلام وهم لا يشعرون .

ولذلك فإنَّ الإسلام يُريد منْ كلّ مسلم أنْ " يبني أحكامه على حقائق ومسلمات ، لا على أساس الأوهام والظنون ، فتفكيره علمي ، وليس تفكيراً خرافياً أو أُسطورياً ، ولا يُفكر عنْ طريق غيره ، وإنما تفكيره نابع في الواقع منْ عقيدة " (١) .

---

(١) أبو العينين ، علي خليل ، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم ، المدينة المنورة ، مكتبة إبراهيم حلبي ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م ، ص ١٦٣ .

ومنْ جزيرة العرب حيث المشركين ، إلى الشام وبالتحديد في أرض الأنبياء – عليهم الصَّلاة والسَّلام – في فلسطين ، حيث نشأ وترعرع نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام ، حيث ادَّعى أعداؤه من اليهود أنهم قتلوه ، واستندوا في ذلك الادعاء على ظنون لا عنْ يقين بذلك، حيث قال تعالى عنهم : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء : الآيتين ١٥٧ – ١٥٨] .

إنَّ الظنون هذه المرة لم تأت منْ جهلة كمشركي العرب ، ولكنَّ الظانين في هذه المرة ممنْ وُسموا بالعلم ، وأُلصقوا به إلصاقاً ، وهم اليهود – أعداء الله تعالى وأعداء أنبيائه عليهم الصَّلاة والسَّلام – حيث ادّعوا وهم مفتخرين بذلك – عياذاً بالله تعالى – أنهم قد أجهزوا على نبي الله عيسى عليه السلام ، وأجهضوا دعوته ، والشاهد منْ هذه الآيات الكريمة قوله تعالى رداً عليهم في دعواهم تلك : ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ ، حيث اعتمدوا في دعواهم – وبئست الدعوى – على الظنّ ، لا على يقين ودليل واضح ، يُثبت للآخرين صدق مقالتهم .

قال الإمام ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – في تفسير قوله تعالى : ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ : " قال الزجاج : ﴿ٱتِّبَاعَ﴾ منصوب بالاستثناء ، وهو استثناء ليس من الأول ، والمعنى : ما لهم به منْ علم إلا أنهم يتبعون الظنّ ، وإنْ رُفع جاز على أنْ يجْعَل علْمهم اتباع الظنّ ، كما تقول العرب : تحيتك الضرب " (١) .

إنَّ مجرد الادّعاء والوقوف في وجوه رموز النَّزاهة والخير في المجتمعات ، ما هو إلا إعلانٌ للناس كافة عنْ مستوى الخبث وكُره الخير للغير المستتر في بواطن هؤلاء القوم ، الذين تتكرر صُوَرهم منْ حينٍ لآخر في شتى المجتمعات على اختلاف أجناسها وأديانها ، وفي نفس الوقت هو إشعار بمكانة مُريدي الخير بين الناس ؛ فلو لم يكنْ لهم ذلك التأثير الإيجابي في الناس ، وتلك المكانة المتميزة بين أفراد المجتمع ؛ لَمَا وجدوا منْ يُواجههم ويسعى للحيلولة دون انتشار شعبيتهم التي يستحقونها بين طبقات المجتمع ، فعلى العقلاء أنْ يرْبأوا بعقولهم

(١) ابن الجوزي ، مرجع سابق ، ١٤٠٤ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ .

عنْ متابعة الظنون وأصحابها ، وإلا فقد أدخلوا أنفسهم في دوّامة لا نهاية لها من الظنون والشّكوك ، والتي ينتج عنْ متابعتها بالتالي مجانبة طريق الحق والعلم ، كما أنَّ عليهم أنْ يُوطّنوا عقولهم على ألا يقبلوا من الأحداث ألا أصْدقها ، ومن الأقوال إلا أثْبتها ، ومن الأفعال ألا أصحّها ؛ حتى يضْمنوا وجودهم في دائرة الحق المبتغى والخير المرتضى .

ولذلك فلا بدّ على أهل الحلّ والعقد في سائر المجتمعات أنْ يُسوّدوا أهل العلم الصّادقين العاملين ، وأنْ يُوطّدوا لهم المكانة ويُعززوا لهم التقدير اللائقين بهم ، وألا يسمحوا للمغرضين الكارهين للخير بمجابهتهم ؛ لأنَّ في محاربتهم محاربة لما يحملونه من الخير والعلم ، والمتأمل في سُنن الله تعالى في خلقه ؛ أنَّ الغلبة للخير وإنْ طالت جولة الشرّ وكَثُر وجوده بين الناس ، فلا بدّ منْ أنْ يضمحلّ ويتلاشى ولو بعد حين ، لأنَّ النفوس جُبلت على حبّ الخير واتباع الحق وقبول العلم ، إلا منْ شذ منها .

إنَّ الدعاوى ما لم يُعضّدها علمٌ بيّن ، يُوضح للآخرين مصداقيتها ؛ فهي مجرد ظنون لا يُلتفت إليها ولا يُصدّق صاحبها ، فالظنون مجرد أوهام قد تصيب أحياناً وقد تخطئ أحياناً أُخرى ، ولذلك فإنَّ العاقل لا يستطيع أنْ يُضحيَّ بعقله ويُصادر أفكاره لأوهام وشكوك ، لا يدري أمصيب قائلها أم مخطئ .

إنَّ الشّكوك دوماً مصدر قلق ، فهي تجرُّ على أصحابها الفُرقة والاختلاف ، لأنها لا تعتمد على مُنطلقٍ صحيحٍ منشؤه العلم الذي ينتج عن اتباعه الوحدة في الكلمة ، والسّبب في ذلك أنّها صادرة عنْ أوهام خالية من الموضوعية والشّفافية والمصداقية ، وبالتالي فهي عُرضة لتداول العقول لمحتوياتها ، فكلما مرَّت هذه الشّكوك على شخص زاد فيها ما يُلائم فكره ، وحذف منها ما يتعارض مع مذهبه ، وعلى ذلك فكلٌّ يدلي بدلْوه ، فهذا يزيد وهذا يُنقص ، ومنْ هنا كان منشأ الاختلاف والتعارض ، بخلاف ما إذا كان للفكرة مُنطلقاً علمياً راسخاً ، لا مجال للاختلاف فيه ، ولا محلّ لتعارض الآراء حوله .

وأخيراً يأتي دور أهل العلم في إزالة تلك الأوهام والظنون العالقة في الأذهان عبر الأزمان، وتبصير العامة والخاصة بحقيقتها ، ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ [سورة الأنفال : الآية ٤٢] ، فمنْ أراد النجاة فوق الأرض ويوم العرض ، فعليه

التخلّي عنْ كلّ مبدأ أصله أوهام ومُنطلقه شكوك ومبعثه ظنون ، وأنْ يتجه بقلبه وعقله إلى ما يُصدقه الدليل ، ويُعضّده البرهان في كلّ قول وفعل .

وعوداً على بدء حيث الآيات القرآنية التي تتحدث عن الظنون العجيبة التي اتخذها المشركون معتقدات يدينون بها ، والتي تُنبئ عنْ مدى تمكن الخرافة منْ تلك العقول ، والتي وُسِم بعض أصحابها بأنهم منْ دُهاة العرب ؛ إلا أنهم في باب المعتقد يُحكّمون ما سيّطر على عقولهم مما يظنون أنه حق ، وما هو من الحق شيئاً ؛ حيث قال الله تعالى مُخبراً عنْ بعض ما يدينون به من الظنون : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [سورة النجم : الآيات ٢٧ – ٣٠] .

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – " يقول تعالى ذكره : إنَّ الذين لا يصدقون بالبعث في الدار الآخرة وذلك يوم القيامة ، ليسمون ملائكة الله تسمية الإناث ، وذلك أنهم كانوا يقولون هم بنات الله...وقوله : ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ﴾ يقول تعالى : وما لهم يقولون منْ تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى منْ حقيقة علم ، ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ يقول : ما يتبعون في ذلك إلا الظنّ ، يعني أنهم إنما يقولون ذلك ظناً بغير علم ، وقوله :﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ يقول : وإنَّ الظنّ لا ينفع من الحق شيئاً فيقوم مقامه ، وقوله :﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ : فدع منْ أدبر يا محمد عنْ ذكر الله ، ولم يؤمنْ به فيوحده... ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ يقول تعالى ذكره : هذا الذي يقوله هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة في الملائكة منْ تسميتهم إياها تسمية الأنثى مبلغهم من العلم ؛ يقول : ليس لهم علم إلا هذا الكفر بالله والشرك به على وجه الظنّ بغير يقين علم...وقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ

﴿أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره : إنَّ ربك يا محمد هو أعلم بمنْ جار عنْ طريقه في سابق علمه..وربك أعلم بمنْ أصاب طريقه فسلكه في سابق علمه وذلك الطريق أيضاً الإسلام"[1].

إنَّ الجرْأة على الله ﷻ بالقول عليه ما لم يقُلْه ؛ لَيَدل دلالة واضحة على ضعفِ أو انعدامِ الإيمان باليوم الآخر في قلب ذلك المتجرئ ، وهو علامةٌ أيضاً على جهله ، إما جهلاً منه بحرمة ما ينسبه إلى الله تعالى بغير حق ، أو جهلاً بما يترتب على قوله ذلك منْ أضرار على المجتمع ككل ، ومنْ ثَمَّ نُدرك يقيناً أنَّ الجهل هو بوَّابة دخول الأوهام والظنون على الإنسان، لأنَّ العقل الذي استْنار بنور العلم والإيمان ؛ لا يمكنْ له أنْ يقبل التُّرهات من الأفكار والدُّونِ من الأقوال والأفعال ، فهو إنْ أعْمَلِ فكره ؛ فَبِما ينفع أشغله ، وإنْ تحدث؛ خرج منْ فَمِه الجواهر والدُّرر ، وإنِ افْتعل أمراً ؛ فخيراً يفعل .

إنَّ اتباع الظنون يُوقع أهله في هاوية التفكير وحضيض العقلانية ، إذْ كيف لمخلوق أنْ ينسب البُنُوَّة لله - تعالى الله عنْ ذلك عُلواً كبيراً - ويختلق هذا القول بلا بينة ! ، فهذا إنْ دلَّ فإنما يدل على سفاهة تلك العقول ، وما أحدثته الظنون فيها من التبعية المطلقة للخرافة والتسليم الفوري للأساطير ، دون تفكير مُسبق ودراسة متأنيّةٍ لحقيقة تلك الشّكوك ، وهذا هو حال الإنسان الذي لم يتسلّح بِسلاح العلم ، فإنه لنْ يستطيع إدخال تلك الظنون في معمل التفكير ؛ وتسليط أضواء الاختبارات عليها ، وإجراء امتحان لها على مَحك الواقع ، للتأكد منْ صحتها أو عدم مصداقيتها ، بخلاف المتعلّم فإنه يستطيع رؤية الوجه الآخر القاتم لهذه الظنون منْ أوّل وهْلة يسمعها ، لأنّها لا تنطلي إلا على العقول الفارغة من العلم ، وأمَّا الأفهام التي مَلأَها العلم نوراً ؛ فلا تجد الأوهام إليها طريقاً ، ولا سبيلاً تخلص إليها منه .

ولذلك كان نشر العلم بين أفراد المجتمع على اختلاف أسنانهم ؛ مطلباً حضارياً وحاجة مُلحةً ، تفرضها الظروف الآنيّة والمستقبلية لأوضاع المجتمع ، فالمجتمعات التي غلب على معظم أفرادها انتفاء الأمية - كشعب اليابان مثلاً - نجدها في مقدمة الأمم تطوراً ، في حين أنَّ المجتمعات التي ما زالت الأوهام تضرب بأطنابها على أفرادها ؛ نجدها قابعة في هامش التاريخ وفي مُؤخرة الأمم .

---

(١) الطبري ، مرجع سابق ، ج ٢٧ ، ص ٦٣ (باختصار) .

ومنْ فوائد هذه الآيات الكريمة أنَّ اتباع الحق يهدي فاعله إلى اليقين ، والـيقين يَتْبعه شعورٌ بالأمان النفسي في قلب مُتبعِ الحق بأنه يسير على الطريق الصّحيح ، وأما الظنّ فيقود مُتبعيه إلى الشك ؛ الذي يجرّ على صاحبه الشتات والضياع النفسي ؛ الذي يشعر صاحبه معه بالتخبط في أفكاره والعشوائية في تصرفاته ؛ الأمر الذي يجعل معه من الصّعوبة بمكان الاهتداء إلى أقوم السُّبُل مُعتَقَداً وقولاً وفعلاً .

ومنْ أبرز المضامين التربوية في هذه الآيات الكريمات التوجيه الربّاني بالإعراض والبعد عمّنْ كان عقلُه أسيراً للخرافة والأباطيل ، لأنَّ مجالستهم ومخالطتهم قد تجلب البلادة في التفكير ، والسّلبية في الابتكار ، والبطء في الإبداع ، ناهيك عمّا قد يجره الإقبال عليهم من الانزلاق في هُوَّة الابتداع في الدين ، هذا إذا لم يكنْ قد خرج منه بالكلية .

وفي الآيات السّابقة إخبارٌ بأنَّ حدود التفكير لأهل الأوهام محدودةٌ جداً ، وغير بعيدة المدى ؛ ذلك لأنَّ الظنون إذا سَيْطرت على العقل البشري كَبَّلته وقيَّدته عن التفكير ، وأصبح حاملها كالرجل الآلي ، لا يرى إلا ما ترى تلك الأوهام ، بخلاف أهل العلم ؛ الذين يملكون نطاقاً فسيحاً ومجالاً رَحْباً للتفكير ، ومضبوطاً بضوابط شرعية ، تحول بينهم وبين التمادي في التفكير حول أُمور قد حُسِم مجال الاجتهاد العقلي فيها ، وليس للعقل فيها أيّ تصرف البتة .

ثمّ إنّ تصديق الأوهام ومتابعة الظنون ؛ يدلّ على ضلال منْ يقبلها ، وأنه من الذين يعملون على نشر الجهل في المجتمع ، وما يترتب عليه منْ وقوع مفاسد عظيمة لا تُحمد عقباها ولا يمكن حصرها ، كما يدلّ الانقياد وراء الناعقين لها على إفلاس عقل المنقاد ، وخُلوّه من الأفكار المفيدة ، وعدم قدرته على الإتيان بالنافع ؛ حتى ولو كان ذلك النافع فكرةً أو كلمةً تجلب الخير له ولمجتمعه .

وفي مخالفة الخرافة والظنون دلالة على هداية كارهها ، وقدرته على التحليل والتفكير والاجتهاد ، وهذا ما ينبغي أنْ يُشجع عليه النشء ، وأنْ يُدرَّبوا في المدارس والمعاهد والجامعات على دراسة الأفكار قبل قبولها ، وعدم التعجل في العمل بها ، لأنَّ الأخذ بها دون تروّ وبحثٍ وتحرٍّ عن الصّواب ؛ ربما يُوقع في المهالك ، التي تجرّ على الأمة جمعاء التخلّف عن ركب الحضارة ، والوقوع في مصيدة الخرافة .

ب / الدعوة إلى الاعتماد على العلم اليقيني :

العقل منْ أكبر نِعَم الله تعالى على بني الإنسان وهو الفارق بينه وبين بني الحيوان ، وهو سبب تكريم الله ﷻ لآدم ﵇ وذريته على سائر المخلوقات ، وهو أيضاً مناطُ التكليف ؛ وبزواله يُرفع القلم عنه وبعوده يعود القلم ، ولذلك فقد جاءت تعاليم الدّين الإسلامي مخاطبةً للعقل " مُوجهة له ، متخذة منه حُجة على الإنسان " (١) .

فالعقل هو ملكة عظيمة وَهَبها الله تعالى للإنسان حتى تساعده على التفكُّر والتدبُّر فيما حوله منْ مخلوقات الله ﷻ ؛ لأنَّ العقل له " قدرة على الاختيار والإرادة والإدراك والفهم والتميز" (٢) ، فكلّ تلك المميزات للعقل مكّنته منْ جعل الإنسان أهلاً لأنْ يكون خليفة في الأرض ، ومسؤولاً عنْ إعمارها على الوجْه الذي يريده الله تعالى ، إعماراً دينياً وإعماراً دُنيوياً .

واستناداً على أهمية العقل في الإسلام ، ولِما تميّز به منْ اهتمام واعتناء في هذا الدّين ، جاء التوجيه القرآني الكريم للإنسان بأنْ لا يقبل بعقله إلا ما كان معلوماً عنده صَوَابُه وصحته ، وأنْ يتنحّى عنْ كلّ ما يجهله حتى تتبين حقيقته ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ ، ثم حذّره بعد هذا الأمر منْ مغبة اتباع ما لم يتبين له ويتأكد عنده أنه إنِ اتبعه أصبح في عِداد المصيبين لا المخطئين ؛ وإنْ لم يكنْ كذلك فهو مسؤول مسؤولية تامة عند وقوعه في الخطأ والزلل ، والذي لم يبذل الأسباب المانعة من الوقوع فيه ؛ فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٣٦] ، والمعنى : " لا تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك " (٣) .

ولكي يتم للإنسان الوصول إلى المعرفة اليقينية المتعلقة بأيّ أمرٍ كان ؛ فإنّ عليه أنْ يستند في ذلك البحث على ما وَهَبه الله تعالى من الحواس المختلفة ، والتي يُوجهها العقلُ توجيهاً مباشراً ، فإذا ما تضافرت الحواس في عملها مع العقل ، فإنّ الإنسان سيصل إلى درجة كبيرة من الإدراك بمعرفة ذلك الأمر ، فالإدراك إذاً " هو العملية التي يتم بها معرفة ما

---

(١) الزنتاني ، عبدالحميد ، أسس التربية الإسلامية في السّنة النبوية ، ليبيا – تونس ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤ م ، ص ٥١١ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٥١٣ .

(٣) المصري ، مرجع سابق ، ج ١، ص ٢٦٦ .

حولنا منْ أشياء عنْ طريق الحواس ، وهي عملية مركبة لا تستطيع الحواس وحدها أنْ تقوم بها " [(١)] ، ما لم يكنْ هناك تضافر في الجهود بينها وبين العقل .

لقد كان الاعتماد على العلم اليقيني جزءاً هاماً من المنهجية العلمية التي رسمتها آيات العلم ؛ بلْ هو ركن أساسيٌ للوصول إلى الحقيقة المنشودة ، ومنْ لم يستند في بحثه عن الحق على اليقين من القول والفعل ؛ فقد تاه عن الحق وحَاد عنه إلى طريق الباطل ، ولأجل ذلك جاءت آيات العلم مُؤكدةً على أهمية التيقُّن في كلّ تصرفات المرء ، حتى لا يقع بالتـالي في هاوية الأوهام والظنون ؛ فقال تعالى:﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ [سورة التكاثر :الآية٥].

قال الإمام الشوكاني – رحمه الله تعالى – في هذه الآية الكريمة : " لو تعلمون الأمر الذي أنتم صائرون إليه علماً يقيناً ،كعلمكم ما هو متيقن عندكم في الدنيا، وجواب ﴿لَوۡ﴾ محذوف ، أي : لشغلكم ذلك عن التكاثر والتفاخر ، أو لفعلتم ما ينفعكم من الخير ، وتركتم ما لا ينفعكم مما أنتم فيه ، و ﴿ كَلَّآ﴾ في هذا الموضع الثالث للزجر والردع كالموضعين الأوليين ، وقال الفرار : هي بمعنى حقاً وقيل : هي في المواضع الثلاثة بمعنى (ألا)، قال قتادة : ﴿ ٱلۡيَقِينِ﴾ هنا الموت ، ورُويَ عنه أيضاً أنه قال : هو البعث ، قال الأخفش : التقدير : لو تعلمون علم اليقين ما ألهاكم " [(٢)] .

وفي صلح الحديبية عندما أراد النبي ﷺ الدخول إلى الحرم هو وأصحابه ﷺ لأداء مناسك العمرة ، وقامت قريش صفاً واحداً في وجْه هذه النسْمة الطيّبة الآتية منْ طيبة الطيبة لتمنعها منْ أداء هذه الشّعيرة العظيمة التي يبذل المرء منْ أجلها أعزّ ما يملك ؛ لكي يتمكن منْ تحقيقها على أرض الواقع ، بعد أنْ كانت حُلماً يُراودُه بين الفَيْنة والأخرى ، وبعد أنْ قامت مفاوضات السّلام بين الطرفين ، وتهاوت جميعها أمام الصَّلف والعناد والكبرياء المتمثل في صناديد قريش ؛ والذين رفضوا كلّ المساعي القائمة بين الطرفين ، والتي دارت رَحَاهَا حول موافقة أهل مكة لأهل المدينة بالدخول إلى الحرم ؛ إلا أنّ الطُغْمة الطاغية المتربعة على كُرسي الرئاسة القرشية صدَّها غُرورها ومكانتها وسُمعتها بين قبائل العرب من السَّماح

---

(١) عبد العال ، حسن ، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية – التربية والطبيعة الإنسانية ، الرياض ، دار عالم الكتـب ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م ، ص ١٧ .

(٢) الشوكاني ، مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٤٨٩.

للفئة المؤمنة من الولُوج الآمن للحرم الآمن ، وانتهت تلك المفاوضات بعقد الصّلح بين الطرفين ، ورجوع النبي ﷺ وصحبه الكرام ﷺ إلى المدينة المنورة ، دون أنْ يظفروا بما أتوْا منْ أجله ، ونزلت آية منْ آيات العلم مُسلّية لهم عنْ مُصابهم ذلك ، وأخبرهم الله – جلّ وعلا – في هذه الآية أنَّ السّبب الذي منْ أجله منعهم منْ دخول مكة المكرمة عُنوةً على أهلها وبقوة السّلاح ؛ هو عدم توفر مُعطيات ومُؤشرات العلم اليقيني لدى المسلمين آنذاك ، فلم يكنْ معلوماً لديهم في ذلك الوقت مَنِ المسلم منْ أهل مكة منْ غيره ، لأنَّ المسلمين كانوا يخفون إسلامهم حتى لا يتعرضوا للفتنة في دينهم منْ قِبل الفئة الباغية التي يعيشون بينها ، حيث يقول تعالى عنْ تلك الواقعة : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [سورة الفتح : الآيتين ٢٤ – ٢٥] .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – : " يقول تعالى ممتناً على عباده بالعافية منْ شر الكفار ومنْ قتالهم ، فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أي : أهل مكة ﴿ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي : منْ بعد ما قدرتم عليهم وصاروا تحت ولايتكم بلا عقد ولا عهد ، وهم نحو ثمانين رجلاً ، انحدروا على المسلمين ليصيبوا منهم غرة، فوجدوا المسلمين منتبهين فأمسكوهم ، فتركوهم و لم يقتلوهم ، رحمة من الله بالمؤمنين إذْ لم يقتلوهم...ثم ذكر تعالى الأمور المهيجة على قتال المشركين وهي كفرهم بالله ورسوله، وصدهم رسول الله ومنْ معه من المؤمنين ، أنْ يأْتوا للبيت الحرام زائرين معظمين له بالحج والعمرة...وكلّ هذه أمور موجبة وداعية إلى قتالهم ، ولكنْ ثَمَّ مانع وهو : وجود رجال ونساء منْ أهل الإيمان بين أظهر المشركين ، وليسوا بمتميزين بمحلة أو مكان ، يمكن أنْ لا ينالهم أذى ، فلولا هؤلاء الرجال المؤمنون والنساء المؤمنات ، الذين لا يعلمهم المسلمون ﴿ أَن تَطَـُٔوهُمْ ﴾ أي : خشية أنْ تطؤوهم ﴿ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾، والمعرة : ما

يدخل تحت قتالهم ، منْ نيلهم بالأذى والمكروه ، وفائدة أُخروية ، وهو : أنــه ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ فيمُنُّ عليهم بالإيمان بعد الكفر ، وبالهدى بعد الضّلال ، فيمنعكم منْ قتالهم لهذا السّبب، ﴿ لَوْ تَزَيَّلُواْ ﴾ أي : لو زالوا منْ بين أظهــرهم ، ﴿ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ بأنْ نبيح لكم قتالهم ، ونأذن فيه وننصركم عليهم " [1] .

لقد رهّب الله تعالى المؤمنين منْ دخول مكة عنوةً آنذاك ؛ مــع تــوفر القــدرات العسكرية والإمكانات البشرية ، التي تؤهلهم للاقتحام العسكري لبكّة ، ولكنَّ الرحمة الإلهية التي شملت المؤمنين داخل مكة وخارجها أحاطت بهم منْ كلّ جانب ، ومنعت بعضهم من الوقوع في بعض ، لئلا يقع أحد منهم في معرة قتل أخيه المسلم المكيّ بلا علم ، فكان هــذا هو السّبب الرئيس لمنع المسلمين منْ دخول مكة بقوة السّلاح ، وكان هناك سبب آخــر لم يكنْ في حُسبان المسلمين كذلك ؛ وهو رجاء دخول بعض منْ كان في صــفّ الشــرك في ذلك الوقت إلى الصفّ الإسلامي ، ومنْ ثَمَّ نجاته منْ عاقبة الشــرك والكفــر في الــدنيا والآخرة، والتّنعم بثمرات الإيمان وخيرات الإسلام في العاجل والآجل .

فيا لله العجب ! كم كان لمنعه ﷺ للمسلمين منْ دخول مكة بالقوة مــن الفوائــد الآنيّة والبعدية والمصالح والمنافع الدُّنيوية والأُخروية ما لا يُحصى ، وكم كان سيحصل لهم من الشر العظيم لو دخلوا مكة عُنوةً على أهلها ، فلربما يُصيبوا إخواناً لهم في العقيدة بغــير علم ، فيقعوا بالتالي في همٍّ عظيم وحزنٍ شديد من الأذى الذي صدر منهم تجاه إخــوانهم المسلمين المقيمين بين أظهر المشركين ، أو قد يقتلون مشركين أصلاً ومعتقداً ، فيحول قتلهم بينهم وبين الدخول في الإسلام ، وبالتالي يحرمهم حِرماناً سَرْمدياً منْ دخول الجنة .

كما بيَّن تعالى للمسلمين أنه لو تحقق لهم العلم اليقيني بأشخاص إخوانهم في الــدّين من الرجال والنساء الموجودون داخل حدود مكة المكرمة ، واستطاعوا أنْ يعرفوا المشركين حقاً ، لأذنَ الله تعالى لهم بدخول مكة رغم أُنوف صناديدها ، ولكنْ لَمَّا لم يتحقق لهم هذا الشرط ، مُنعوا منْ دخول مكة حرباً .

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٧٣٨ – ٧٣٩ (باختصار) .

لقد وضع الله تعالى في هذه الآية الكريمة المؤشر الحقيقي للإقدام على ترك أو فعل أيّ أمر ، ألا وهو توفر العلم بكافة جوانب الموضوع المعني طرحُه أو فعلُه ، وحين انعدام الرؤية الكاملة للموضوع المراد فعلُه أو تركُه ، أو وجود الضبابية في تلك الرؤية ؛ فإنه ينبغي على المسلم أنْ يتوقف فوراً عن الفعل أو الترك ، حتى يترجح له إحدى الحسنيين ، فإذا ما تبين له بالأدلة والقرائن أنّ الفعل أوْلى من الترك ، أقدم على الفعل وهو راسخ الْخُطا ثابت الجنان، وأما إذا ترجّح له كِفّة الترك على كِفّة الفعل ؛ فعليه عندها أنْ يُحجِم عنه وهو مُطمئنّ الفؤاد ، غير متردد السّلوك ولا مُتذبذب الشّعور .

كما بيَّن ﷻ الأهمية القصوى التي تترتب على توفر العلم اليقيني بشيء ما ، حيث يعني ذلك القدرة على تصميم الخطط الكفيلة - بإذن الله تعالى - على إنجاح الفعل أو الترك على حدٍ سواء ، لأنّ الخطوات التنفيذية التي يسلُكُها الفاعل أو التارك ؛ معلومة له سلفاً في الخريطة الأولية التي رَسمها مسبقاً ، ليصل إلى الهدف المنشود بدون عناء التفكير أو مشقة التنفيذ .

وقد عدَّ المناوي (علم اليقين) درجة منْ درجات العلم ، حيث قال في تصنيف درجات العلم :

١. " علم اليقين : ما أعطاه الدليل بتصور الأمر على ما هو عليه .
٢. عين اليقين : ما أعطت المشاهدة والكشف .
٣. حق اليقين : ما حصل من العلم بما أُريد له ذلك الشُّهود " (١) .

إنّ الإسلام يريد منْ طالب العلم أنْ يمرَّ في بحثه عن الحقيقة بتلك الدرجات الثلاث ، فهو يأمره أولاً بأنْ يتحرّى الدليل الذي يُؤيّد صدق ما توصل إليه من المعطيات حول الحقيقة التي لم يطلع عليها ، فإذا ما تمَّ له ذلك ، واطّلع بحواسه اطلاعاً مباشراً على تلك الحقيقة ؛ ثم قارنها مع الأدلة التي ثبت عنده صدقها ، وصل في نهاية المطاف إلى أعلى درجة منْ درجات العلم ؛ وهي درجة حق اليقين ؛ وهي الدرجة التي تشابكت فيها الأدلة مع الرؤية ، وأيَّد بعضها بعضاً ، حتى أصبحت الحقيقة ماثلةً أمامه .

---

(١) المناوي ، مرجع سابق ، ص ٥٢٤ .

إنَّ العلم اليقيني هو علمٌ قائم على الأدلّة والحجج التي لا مِراء فيها ولا جِـدال ، ولا يقوم معها للشك قائم ، وهو علمٌ يسعى للوصول إلى المعرفة الحقَّـة المقرونـة بـالبراهين السَّاطعة، والتي تزيد منْ قناعة الإنسان وثباته على موقفه ، ومنْ فوائد العلم اليقيني أيضاً أنه يساعد على اتضاح الصّورة أمام الإنسان بعد أنْ كان غياب الدليل يُشكّل عائقاً وغشـاوة تمنع منْ رؤية حقيقة الشيء كما هي عليه ، ويجعل المرء يسير بخُطاً ثابتةً مُتّئِـدة مدروسـة سلفاً، عالماً بأنه يسير على الطريق الصّحيح المؤدي إلى حقيقة ما .

المحور الثاني : الإسلام يحذر من التقليد اللامنهجي :

لقد حذّر الإسلام من التقليد أيّما تحذير ، ونهى عن اتباع الآخرين منْ غير وقـوف على الدليل والاقتناع بصحة ما يتبعه ، ولذلك فقد شدّد القرآن الكريم النّكير على أُنـاس كانوا متمسكين بآرائهم ؛ لا لأنهم كانوا مقتنعين بصحتها ، ولكـنْ لأنَّ آبـاءهم كـانوا يفعلونه ، فقال الله تعالى عنْ هذه الفئـة : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة المائدة : الآية ١٠٤] .

كما استْنكر " القرآن الكريم على الكفار عدم اهتدائهم للإيمـان ، لأنَّ آبـاءهم لم يأْتوه ، فهم يسيرون على منوال آبائهم ويستهدون بهـم ، فيقـول لهـم : ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٧٠] ، وهو اسـتنكار صريح وواضح للتقليد دون تحكيم العقل " (١) .

ثم صوّر الله تعالى بعدها حال هؤلاء المقلدين لآبائهم مع دُعاة التوحيد ، بحال البهائم والراعي ؛ حين يصيح بها لتُقبل أو تُدبر ، فتسمع الصّوت ولا تعِي المعـنى ، فقـال ﷻ : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٧١] ، فهذا النص القرآني الكريم صـريح الدلالـة في أنَّ التقليـد الأعمى الغير مسبوق بالتحري والتثبت إنما هو منْ شأن الكافرين .

---

(١) المرصفي ، محمد علي ، من المبادئ التربوية في الإسلام " بحوث ودراسات " ، جدة ، عالم المعرفة ، د.ت ، ص ٢٨ .

والقرآن الكريم حينما ينفّر الناس من التقليد الأعمى في الدنيا بمثل ذلك التصوير البديع ، فهو أيضاً يُكرهه لهم ببيان عاقبة التقليد الأعمى في الآخرة ، وإيضاح حال المقلّدين مع مَنْ قلّدوهم يوم القيامة ؛ حيث قال تبارك وتعالى عنْ هذا المشهد الأُخروي الرهيب : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾[سورة البقرة : الآية ١٦٦] ، فإذا كان المقلَّدون في الآخرة سيتبرؤون ممن اتبعوهم بالتقليد ، فمنْ باب أوْلى أنْ يتبرأ المقلِّدون منهم في الدنيا ؛ بعدم متابعتهم متابعةً عمياء دون دليل أو برهان ؛ قبل أنْ يتمنوا ذلك في الآخرة ؛ كما قال تعالى عنْ هذه الأُمنية : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٦٧] .

والتقليد المذموم هو قبول القول واتباعه منْ غير دليل نقلي أو عقلي ، وقد تضافرت الأدلة القرآنية منْ آيات العلم على النهي عن التقليد الأعمى إلا ما كان مُوافقاً للنقل والعقل، فقال تعالى في التحذير منْ هذه الآفة : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [سورة الحج : الآية ٧١] .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – : " يذكر تعالى حالة المشركين به ، العادلين به غيره ، وأنّ حالهم أقبح الحالات ، وأنه لا مُستند لهم على ما فعلوه ، فليس لهم به علم ، وإنما هو تقليد تلقّوه عنْ آبائهم الضّالين ، وقد يكون الإنسان لا علم عنده بما فعله ، وهو – في نفس الأمر – له حجة ما علمها ، فأخبر هنا أنّ الله لم يُنزل في ذلك سلطاناً ، أي : حجة تدل عليه ، ويجوزه ، بلْ قد أنزل البراهين القاطعة على فساده وبُطلانه ، ثم توعَّد الظالمين منهم المعاندين للحق ، فقال : ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ ينصرهم منْ عذاب الله إذا نزل بهم وحلّ " (١) .

وقال ﷻ في آية أُخرى هي أوضح دلالة منْ سابقتها ، وأشدّ في تشنيعها لهذا المزلق الخطير منْ أُختها ؛ وهو مزلق التقليد الأعمى ، حيث يقول تعالى عنْ إحدى الحِكم التي منْ

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٤٩٥ .

أجلها أنزل كتابه الكريم على نبيه محمد ﷺ : ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ﴾ [سورة الكهف : الآيتين ٤ – ٥] .

جاء في تفسير هاتين الآيتين عند الجلالين – رحمهما الله تعالى – : "﴿ وَيُنذِرَ ﴾ من جملة الكافرين ؛ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴾ ، ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ ﴾ بهذا القول ﴿ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ ﴾ منْ قبلهم القائلين له ﴿ كَبُرَتۡ ﴾ عظمت ﴿ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ ﴾ كلمة تمييز مفسر للضمير المبهم ؛ والمخصوص بالذم محذوف ، أي : مقالتهم المذكورة ، ﴿ إِن ﴾ ما يقولون في ذلك إلا مقولاً كذباً "[1] .

لقد جعل التقليد منْ أصحابه مجرد وسائط نقل لما يتضمّنه ذلك التقليد ؛ سواءً أكان ذلك التقليد في أُمور مكذوبة مغلوطة مُلبسة على الناس ، أو كانت منْ قبيل الخرافة الممنوعة وقوعها عقلاً ؛ إلا أنَّ تناقلها عبر الأجيال جعلها في عِداد الموروثات المسلَّم بصحتها ومنْ غير المقبول التناقش فيها ، وبذلك تكون العقول البشرية عديمة الفائدة ، فوظائفها الرئيسة مُعطّلة ، وإعْمَالُها في كشف الحقيقة حول المتَنَاقَل ممنوع ، ومنْ يتجرّأ في مخالفتها فحقوقه مُصادرةٌ سلفاً .

إننا يمكن أنْ نستْشف منْ هذه الآيات الكريمة فوائد تربوية عديدة ، منْ جملتها أنَّ الدّين الإسلامي متمثلاً في القرآن الكريم وسنة رسوله محمد ﷺ ؛ جاء ليمحو التقليد الأعمى الذي كان سائداً في الفترات المظلمة منْ تاريخ العرب ، وفتح لهم عِوَضاً عنْ ذلك باب الاجتهاد العقلي ، والتمحيص والتدقيق في كلّ ما يتلقاه الأبناء عن الآباء ، وحثّ على أنْ يكون هناك ما يقوم مقام المرشِّحات ؛ التي تعمل على تنقية المنقول إلينا ممنْ سبقنا ، وألا يقبلوا من التراث إلا ما كان مُوافقاً للدليل النقلي والمنطق العقلي ، فالإسلام جاء بمحاسن الأخلاق ومكارم الأفعال ، فلا يتعارض معه أيّ فعل حميد ، ولا يتنافى معه كلّ قول كريم .

إنَّ التقليد للموروث دون تحليلٍ لمحتواه ، وبلا دراسة لأسباب وجوده على خارطة الثقافة العامة للمجتمع ، قد يُوقع الإنسان في هاوية الشرك والخروج من الدّين بالكلية وهو

(١) السيوطي ، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين و آخر ، تفسير الجلالين ، القاهرة ، دار الحديث ، ط ١ ، د.ت ، ج ١ ، ص ٣٨١.

لا يشعر ، وقد يجعله من الذين انخرطوا في سِلْك الخرافة والأوهام ، ولأجل ذلك جاء الإسلام بتحرير العقول منْ هذا القيد الذي طالما ظلّ مُكبِّلاً لعقول أمة من الناس – العرب– كانت تُحارب هذا الدّين بحجة أنه لم يكنْ دين آبائهم ، وظلّوا بسبب ذلك قابعين في البوادي يأْكل بعضهم بعضاً ، ليس لهم طموح سِوَى طموح الحيوان وليس لديهم جهودٌ تُذكر في إقامة حضارة إنسانية يافعة راقية ، فلما أَذن الله تعالى لهم بالدخول في الإسلام ، وانحلّ هذا القيد الجاثم على عقولهم ، فتفتَّحت مداركهم العقلية التي كانت مُتوقفة عن العمل ردحاً من الزمن ، وأخذوا يُعمِلون عقولهم فيما حولهم منْ مخلوقات الله تعالى ، فنشروا هذا الدّين في أصقاع المعمورة ، وأنشأوا أعظم وأروع وأفضل حضارة بشرية قامت على وجْه الأرض ، كلّ ذلك لأنهم نبذوا التقليد وجعلوه وراءهم ظِهْرِيّاً ، واتخذوا من الاتباع في الدّين منهجاً ، ومن الاجتهاد العقلي فيما دونه من الدنيا – وما لم يرد فيه نص – طريقاً ، وبناءً على ذلك فلم تُواجههم أيّ مُعضلة كانت ؛ إلا وانبَرى لها فطاحِلَة العلماء وجهابذة المفكرين ، الذين كانت مهمتهم تتلخص في ربط الوقائع الآنيّة بمثيلاتها حين تَنَــزُّل القرآن ، فإنْ لم يجدوا لها أختاً من الوقائع الماضية ، اجتهدوا رأْيهم فيما لا يُخالف الأصول الفقهية والقواعد الشّرعية .

إنه يجب على أهل العلم كلٌّ في ميدانه أنْ يُصوّر التقليد في أعين النشء في أقبح صُوَره ، وأنْ يُورد لذلك الأدلة الشّرعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، فإنها كفيلة – بإذن الله تعالى – لإزالة كافة المحسِّنات التي تعلُو وجْه آفة التقليد ، فتظهر في أعينهم في صورتها الحقيقة ، كالعجوز الشمطاء التي لا يرغب فيها أحد .

وفي المقابل وعلى الضدّ منْ ذلك فإنّ على أهل العلم كذلك أنْ يُرغبوا الأجيال القادمة في الاتباع المشروع ، والتقليد الممدوح ، والذي يتمثل في السّير حَذْوَ القُذَّة بالقذة والخطوة بالخطوة على منهج سيد المرسلين محمد ﷺ ، فهذا هو الذي أُمرنا به ، وهو الطريق الموصل إلى محبة الله ﷻ ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ٣١] ، وأنْ يُبنوا لهم أهمية اتباع النبي ﷺ في كلّ صغيرة وكبيرة ، ففي اتباعه النجاة والفلاح في الدّاريْن ، وفي مخالفته والبعد عنْ منهجه الشّقاء والضّلال في الحياتيْن .

الفصل الخامس :

(المضامين التربوية المرتبطة بأخلاق أهل العلم)

- الخلق الأول : استحضار النية والرغبة في طلب العلم .
- الخلق الثاني : النهي عنْ إرجاع العلم إلى الذات .
- الخلق الثالث : حفظ العلم والحذر منْ أسباب النسيان .
- الخلق الرابع : القدرة على إنجاز صِعاب المهام .
- الخلق الخامس : التواضع .
- الخلق السّادس : الجرأة في قول الحق .
- الخلق السّابع : الثبات على الحق وإنْ قلّ أتباعه .
- الخلق الثامن : الرفق بالمتعلم .
- الخلق التاسع : عدم الحرج منْ نفي العلم عن النفس .

توطئة :

يتميز الدّين الإسلامي بأنه دين الأخلاق ، وذلك راجعٌ إلى حقيقته الناصعة وميزتـه الفريدة ، وهو أنه دين معاملة لا دين مبادئ جوْفاء خالية من التطبيق ، فكلُّ ما فيـه مـن أوامر ونواهيٍ تتمثل على سلوك المسلم في هيئة أفعال وأقوال ، متفاوتة بين الفعل والتـرك ؛ فعلٌ لأوامر الله ﷻ وتركٌ لنواهيه ، وخير دليل على ذلك ما جاء عند الإمام النسائي – رحمه الله تعالى – منْ حديث عائشة – رضي الله عنها – عندما سُئلت عـنْ خُلـق الـنبي ﷺ ، فأجابت بقولها : " كان خلق رسول الله القرآن " [1] .

فكان النبي ﷺ والصّحابة ﷺ والتابعين – رحمهم الله تعالى – يتمثّلـون القـرآن في تصرفاتهم صغيرها وكبيرها ؛ حتى أصبح الواحد وكأنه قرآناً يمشي على الأرض ، منْ شـدة تطبيقهم لما جاء فيه من الخير العميم ، أمراً ونهياً ، ترغيباً وترهيباً ، وذلك بالإقبـال علـى المأمور المرغب فيه ، والإعراض عن المنهي المرهب عنه .

ولذلك فقد جاءت نصوص الوحييْن مُرغبة الأمة على وجْه العموم وأهل العلم على وجْه الخصوص للتحلّي بمكارم الأخلاق ، ويأتي في مقدمتها تلك الآية الكريمة التي امتدح الله تعالى فيها نبيه محمد ﷺ بعظَم أخلاقه ، وأنَّ أخلاقه الكريمة وصلت إلى درجة مـن العُلُـوّ والكمال البشري ، ما استْحقت معه الثناء عليها منْ ربّ العالمين وإلى يوم الدّين ، حيـث يقول ﷻ عنْ نبيه محمد ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم : الآية ٤] .

لقد " حوى الفكر التربوي الإسلامي الكثير من الأفكار المفيدة في ترشـيد المـتعلّم وتوجيه جهده وسلوكه لتحقيق أفضل النتائج " [2] ، ولأجل ذلك جاء هذا الفصـل مبينـاً لعددٍ منْ تلك التوجيهات الأخلاقية ، التي تسعى إلى الرفع بالمستوى الأخلاقي لدى المتعلّم ، حتى يصل إلى تحقيق أهدافه منْ عمليتي التعلُّم والتعليم بأفضل الصّور المرجوة .

" إنَّ العلم في نظر الإسلام ليس مجرد حشو الرؤوس بالمعلومات ، ومهما تكنْ قيمة هذه المعلومات منْ جلالة القدر في موضوعها ، أو في طريقة ثبوتها ، حتى العلم المقتبس منْ

---

(١) النسائي ، أحمد بن شعيب ، السنن الكبرى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م ، كتاب (التفسير) ، تفسير (سورة المؤمنون) ، ج ١ ، حديث رقم (١٣٥٠) ، ص ٤١٢ .

(٢) فلاته ، أحمد محمد إبراهيم ، آداب المتعلّم في الفكر التربوي الإسلامي ، جـدة ، دار المجتمـع ، ط ١ ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م ، ص ١٩ .

طريق النبوة ، الذي هو العلم الأعلى ، لا يكفي فيه محض اكتسابه وتحصيله ، بلْ لا بدّ لصاحب العلم من الالتزام بالقيم الخلقية التي يفرضها العلم على أهله ، والتي جعلتهم أهلاً لأنْ يكونوا خلفاء الأنبياء " (١).

إنّ الحديث عنْ أخلاق أهل العلم حديثٌ ذو شجون ، لأنّ الحديث عنها ما هو في حقيقة الأمر إلا حديث عن العلم الذي يعكُف على دراسته أهلُه ، وكما قررنا سابقاً أنّ العلم المقصود في هذه الرسالة هو كلّ علم نافع مُفيد منْ علوم الدّين والدنيا على حدّ سواء، وعلى ضوء ذلك فإنّ استنباط تلك الأخلاق يَكْمن في التمعّن في مفردات ذلك العلم ، واستخلاصها منْ نصوص الكتاب والسّنة واجتهادات العلماء المنبعثة منْ تجاربهم أثناء الطّلب وخلال التدريس ، وحيث أنّ هذه الدراسة محصورٌ موضُوعها في آيات العلم القرآنية ، والتي شملت توجيهاتها جملةً من الآداب التي ينبغي على أهل العلم التخلق بها ؛ فإننا سنتعرف في هذا الفصل بمشيئة الله – تعالى – على الأخلاق التي تضمّنتها آيات العلم ، وذلك على النحو التالي :

الخلق الأول : استحضار النية والرغبة في طلب العلم :

تعتبر النية هي حجر الزاوية في جميع الأعمال ، وعليها يُعوّل ما بعدها من العمل ، ولأهميتها العظيمة فقد شدّد الإسلام في أمر النية ،وحثّ على استحضار النية الخالصة لله ﷻ في كلّ أمر منْ أُمور الدّين والدنيا ، فالعادات المباحة إذا سُبقت بنية طيبة تحولت تلك العادات إلى عبادات يُثاب عليها المسلم ، ودليل ذلك ما جاء عند الإمام البخاري – رحمه الله تعالى – منْ حديث عمر بن الخطاب ﷺ أنّ النبي ﷺ قال : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكلّ امرئ ما نوى " (٢) ، كما روى عن النبي ﷺ قولُه : " إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة " (٣) .

ولم تغفل آيات العلم هذا الجانب المهم منْ جوانب عملية التعليم ، بلْ عدَّته ركيزة أساسية في طلب العلم ، فبصلاحها تُؤتي العملية التعليمية والتربوية أُكُلها ، وبفسادها

---

(١) القرضاوي ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٢) البخاري ، مرجع سابق ، كتاب (بدء الوحي) ، باب (كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ) ، ج ١ ، حديث رقم (١) ،ص ٣ .

(٣) نفس المرجع ، كتاب (الإيمان) ، باب (ما جاء أنّ الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى) ، ج ١ ، حديث رقم (٥٥) ، ص ٣٠ .

تنحرف النتائج المتمخضة من التعليم - أخذاً ونقلاً - إلى غير مسارها الصحيح ، وقد أشارت آيات العلم إلى شيء منْ ذلك ؛ حيث بينت أنَّ منْ لم يصْطحب النية الصّالحة معه إلى حلقة الدرس ، فإنه سيخرج منها كما دخل إليها منْ غير فهم للعلم ولا حفظ له ، وذلك بسبب عدم الرغبة في طلب العلم ، حيث قال تعالى عنْ فئة من المنافقين الذين انْدمجوا في أشرف حلقات العلم على الاطلاق ، وذلك لأنَّ المعلّم فيها هو رسول الله ﷺ ، وبالرغم منْ ذلك ، فقد كانوا يخرجون منْ درسه بلا فائدة ، لأنهم دخلوا إلى حلقة العلم غير راغبين في العلم ولا مُستحضرين النية في طلبه ، بلْ جاءوا ليمنعوا بحضورهم لَوْم الآخرين لهم إنْ لم يأتوا إلى حلقة الرسول ﷺ ، فقال ﷻ عنهم : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [سورة محمد : الآيتين ١٦ - ١٧] .

قال العلامة السّعدي - رحمه الله تعالى - : " يقول تعالى : ومــن المنـــافقين ﴿ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ ما تقول استماعاً ، لا عنْ قبول وانقياد ، بلْ معرضة قلوبهم عنه ، ولهذا قال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ مُستفهمين عما قلت وما سمعوا ، مما لم يكنْ لهم فيه رغبة ، ﴿ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾ أي : قريباً ، وهذا في غاية الذم لهم ، فــإنهم لــو كــانوا حريصين على الخير لألْقوا إليه أسماعهم ، ووعته قلوبهم ، وانقادت له جوارحهم ، ولكنهم بعكس هذه الحال ، ولهذا قال : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي : ختم عليها وســدَّ أبواب الخير التي تصل إليها بسبب اتباعهم أهواءهم ، التي لا يَهْوُون فيها إلا الباطل ، ثم بين حال المهتدين ، فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ ﴾ بالإيمان والانقياد واتباع ما يرضي الله ؛ ﴿ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ شكراً منه تعالى على ذلك ،﴿ وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ أي : وفقهم للخير، وحفظهم من الشر ، فذكر للمهتدين جزاءين : العلم النافع ، والعمل الصالح " (١) .

لقد كانت عقوبة عاجلة على هؤلاء الراغبين عن العلم المتخذين منه رِدْءاً من اللّوم ، والمقبلين عليه إقبال إكراهٍ لا إقبال رغبة ومحبة ، فنظراً لأنهم لم يدخلوا في إطار النية الصّالحة

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـــ ، ص ٧٣١ .

عند مخالطة أهل العلم ، فإنهم لم يدخلوا بالتالي في ثمرات العلم النافع المترتبة على اقتران النية الخالصة في طلب العلم ، ومنْ هنا كان ذلك الموقف درساً تربوياً رائعاً ، يُستفاد منه في ضرورة إخلاص النية لله ﷻ عند طلب العلم .

وعلى ذلك فينبغي على طالب العلم أنْ يستهدف بطلب العلم رضا الله ﷻ ، ثم منفعة نفسه وأمته ، وأما طلب العلم لأغراض دُنيوية بحتة فمنهي عنه ، لأنّ " التعلُّم لغير الله حرام باطل ، وطلب العلم لا للعلم به ضائع " [1] .

يقول ابن جماعة – رحمه الله تعالى – : " واعلم أنّ جميع ما ذُكر منْ فضيلة العلم والعلماء ؛ إنما هو في حقّ العلماء العاملين الأبرار المتقين ، الذين قصدوا به وجْه الله الكريم والزُّلفى لديه في جنات النعيم لا منْ طلبه بسوء نية ، أو خبث طوية ، أو لأغراض دُنيوية منْ جاه ، أو مال ، أو مكاثرة في الاتباع والطلاب " [2] .

وكذلك فإنّ فساد النية يجعل حظّ المتعلّم منْ طلب العلم ما يناله في الدنيا منْ عائد ، وأما في الآخرة فما له منْ نصيب ، كما قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [سورة الشورى : الآية ٢٠] .

وفي المقابل فعلى العالم كذلك أنْ يقصد في تعليمه " وجْه الله تعالى ، ولا يقصد به توصلاً إلى غرض دُنيوي ، كتحصيل مال أو جاه أو شهرة أو سمعة أو تميز عن الأقران ونحو ذلك " [3] .

وقد قال الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى – : " وددت أنّ الخلق تعلّموا مني هذا العلم ، على أنْ لا يُنسب إليّ حرف منه " [4] .

إنّ النية الصّالحة لها فوائد وثمرات يانعة على نفسية المتعلّم ؛ إذْ " أنّ الطالب عندما يطلب ابتغاء رضى الله ، فسوف يشعر بسعادة روحية كبرى وهو يحصل العلم ، وهي

---

(١) زاده ، طاش وآخر ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م ، ج ١ ، ص ١٨ .

(٢) ابن جماعة ، مرجع سابق ، ص ٣٧ – ٣٨ .

(٣) القاسم ، الحسين بن المنصور بالله ، آداب العلماء والمتعلمين ، بيروت ، الدار اليمنية ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م ، ص ٢١ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٢١ –٢٢ .

سعادة تُذلل الصّعاب أمام الطالب ، وتجعله قادراً على بذل الجهد والوقت في رضاً وبهجة ، ولعلّ ذلك يفسر قوة احتمالهم الكثير من الصّعاب في سبيل تحصيل العلم ، كما يفسر من ناحية أُخرى هذا المحصول العلمي الضخم الذي حصلوه أثناء الطلب " (١) .

الخلق الثاني : النهي عنْ إرجاع العلم إلى الذات والاغترار به :

لقد تقرر أنَّ العلم هِبةٌ من الله تعالى ، يُوفق إليه منْ يشاء منْ عباده ؛ وعلى ذلك فلا يجوز للعالم بعد تحصيله للعلم أنْ ينسب شيئاً منه إلى نفسه ، دون أنْ يُرجع الفضل في جمعه وحفظه إلى الله تعالى ، وقد جاءت الآيات الكريمة والأحاديث الشّريفة مُوجهة كلّ منْ أتقن فناً منْ فنون العلم ، بأنْ لا يغترّ بما عنده من العلم ، وألا ينسب ما توصل إليه منْ رَغَد في العيش أو حُلول نِعمة بعد نِقمة إلى اجتهاده العلمي وقدراته العقلية ومجهوداته الذاتية .

وقبل أنْ ندْلف إلى شواهد هذا الخُلق منْ آيات العلم ، نُعرِّج غير بعيدٍ في صحيح الإمام البخاري – رحمه الله تعالى – والذي أورد حديثاً شديد الارتباط بهذا الموضوع ، فقد بيَّن هذا الحديث محبة الله تعالى إرجاع العلم إليه ، فقد روى عنْ أُبي بن كعب ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " قام موسى النبي خطيباً في بني إسرائيل فسُئِل : أيُّ الناس أعلم ؟ فقال : أنا أعلم ، فَعَتَب الله عليه إذْ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه إنّ عبداً منْ عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك ... الحديث " (٢) .

ففي هذا الحديث دلالة صريحة على أنه لا ينبغي للعالم أنْ يردّ العلم إلى جهوده القاصرة ، ويتناسى منْ دلّه إلى طلب العلم أولاً ، وهيَّئ له الأسباب المعينة لذلك ثانياً ، وذلّل له كثيراً من الصّعاب التي اسْتوقفته أثناء مسيرته العلمية ، ولولا فضل الله تعالى عليه بمنحه هذا العلم لَمَا أدرك منه شيئاً يُذكر .

وفيما يلي نُورد الشّاهد الأول منْ آيات العلم ، والذي يدور رَحَاهُ حول التحذير منْ إرجاع العلم إلى الذات دون الله تعالى ، حيث يقول تبارك وتعالى على لسان قارون – منْ بني إسرائيل – وهو يردّ على منْ وجّه له النصيحة منْ قومه إزاء ما آتاه تعالى من

---

(١) فلاته ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

(٢) البخاري ، مرجع سابق ، كتاب (العلم) ، باب (ما يُستحب للعالم إذا سُئِل أيّ الناس أعلم فيكل العلم إلى الله) ، ج ١ ، حديث رقم (١٢٢) ، ص ٥٦ .

النِّعم المتوالية ، بأنْ لا يغتر بما توصل إليه من الحياة الهنيئة والأموال الكثيرة ؛ فتكون سبباً في إعراضه عن الخير واستكباره على الحق ؛ فقال تعالى عنْ جواب قارون لنصيحة قومه : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [سورة القصص : الآية ٧٨] .

قال الإمام السّيوطي – رحمه الله تعالى – : " في قوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ يقول : على خير عندي وعلم عندي ، وأخرج ابن أبي حاتم عن السُّدي رضي الله عنه في قوله : ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ يقول : علم الله أني أهل لذلك " (١) .

إنّه ينبغي على العالم أنْ يردّ علمه إلى واهبه ومُعطيه ، والذي لولاه لَمَا اسْتطاع أنْ يصل إلى ما وصل إليه من المستوى العلمي والنضج العقلي ، فأوّل ما يبدأ به طالب العلم الاعتراف لله ﷻ بالفضل ، وأنّه لولا توفيق الله تعالى له بأنْ هيّئ له أسباب طلب العلم لَما تمكّن منْ طلبه ، ولو بذل في سبيل ذلك الْمُهَج والأنفس وكلّ نفيس وغال .

إنّ العُجب بالعمل الذي يقوم به الإنسان والعلم الذي تحصَّل عليه ، ما هو إلا تمرد من الإنسان على ربِّه ﷻ ، لأنه قابل هذه النعم بغير ما أُريد لها من الشكر ، وقد يكون ذلك سبباً لمحق بركة نعمة العمل والعلم على حدّ سواء ، فلا يستفيد العامل بعمله ولا ينتفع العالم بعلمه ، وما ذلك إلا لأنه لم يؤدّ شكر النعم لواهبها ومُعطيها وهو الله ﷻ .

وفي الآية الكريمة إشارة لطيفة إلى أنّ الاغترار بالعلم محطّ عقوبة الله ومُسبّب لسخطه – والعياذ بالله – وما ذلك إلا لأنه نُكرانٌ للجميل الذي أوْلاه الله تعالى إياه من التوفيق للعلم والعوْن على طلبه ، سواء كان علم دينٍ أو أيَّ علمٍ منْ علوم الدّنيا النافعة ، فعلى أهل العلم الصّادقين أنْ يُكثروا من الثناء على الله تعالى بما هو أهلُه ، وأنْ تَلْهَج ألسنتهم بشكره ﷻ على نعمه في السّر والعَلَن ، كما أنّ عليهم استخدامها في مرضات الله تعالى ، والنَّوْءِ بها عنْ مواطن غضبه ومُسببات سخطه .

إنّ على أهل العلم كذلك مسؤولية تعليم طلابهم وتعويدهم على استقبال النعم عامة ونعمة العلم خاصة بالحمد والثناء على الله تعالى ؛ الذي تفضَّل بجوده وأنزل نعمه على

---

(١) السيوطي ، مرجع سابق ، ١٩٩٣ م ، ج ٦ ، ص ٤٤٠ .

عباده، فالشكر في حدّ ذاته سمةٌ منْ سمات التقوى التي ينبغي على طالب العلم أنْ يتحلّى بها، فالتقوى مفتاحٌ لباب العلم ، فمنْ مَلَك مفتاح العلم ؛ استطاع أنْ يَلِج بواسطته إلى قلعة العلم ؛ كما قال تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٨٢] ، والمستقرئ لصفحات الواقع ؛ يجد أنَّ العلماء الذين عُرفوا بالوَرَع والتقوى ، قد حَوَوْا في ثنايا صُدورهم الكمّ العظيم من العلم ،وما ذلك إلا مِصداقاً لوعد الله تعالى في الآية السّابقة، فإذا ما صَدَرت التقوى منْ قلب العبد ، وارْتسمت معانيها على لسانه وجوارحه ، فأصبحت أقواله وأفعاله ترجمة صادقة لِما حواه قلبه ؛ جاء الوعد الإلهي بمنح العلم لذلك العبد التقي .

ومن الفوائد التربوية في هذه الآية كذلك استخدام أُسلوب القَصَص ، والتذكير بأحوال الأمم الغابرة ، والانتفاع منها في أخذ العِبْرة والعِظَة منْ قصص منْ سَبَق ، ولا شك أنَّ أفضل أنواع القصص ما ورد منها في كتاب الله ﷻ ؛ لأنَّ القصّة القرآنية " ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه ، وإدارة حوادثه ، كما هو الشأن في القصّة الفنية الحرة ؛ التي ترمى إلى أداء غرض فني طليق ، إنما هي وسيلة منْ وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية " (١) .

حيث يستفيد المعلم منْ حُبّ الإنسان لسماع القَصَص ، وما جُبل عليه من استخلاص الدروس والفوائد منها ، فيقوم بسرد عددٍ من القَصَص النافعة والهادفة إلى تغيير سلوك المتعلّم من السّلبية إلى الإيجابية ، سواءً كانت قصصاً قرآنية أو نبويةً ، أو منْ قصص التاريخ الماضي والمعاصر ، لأنَّ الإنسان مفطورٌ على تقليد العُظماء من الناس ، وذلك لأنه يحب أنْ يصل إلى ما وصلوا إليه منْ تحقيق مآربهم في حياتهم ، وما حصل لهم من المكانة والسّؤدد في مجتمعاتهم ، فيقوم المتعلّم بمحاكاة أفعالهم ، وتلمُّس خُطاهم ، فتتحرك في نفسه الهمّة والطموح للّحاق بِركْبهم والسير على مِنْوَالهم .

إنَّ " المعلم البارع يستطيع منْ خلال مهارات السَّرد القصصي أنْ يُثير الحيوية في أحداث بعيدة عنْ أذهان الطلاب في زمانها ومكانها ، فتتحول منْ أخبار جامدة لا تعنيهم إلى أدوات لزرع الأفكار فيهم ، وإثارة المشاعر والأحاسيس النبيلة ، كما يجعل منها أدوات

---

(١) قطب ، سيد ، التصوير الفني في القرآن ، القاهرة ، دار الشروق ، د.ت ، ص ١١٧.

لنقد الصّور السّيئة في حياتنا..ولذا فإنّ على المعلم أنْ يسعى - بعد الانتهاء منْ سرد القصة التي لديه - إلى السّماع منْ طلابه عن الانطباعات التي تركتها تلك القصة في نفوسهم ، وعن المفهومات التي استخلصوها منها " (١) .

مع الانتباه إلى أهمية ذكر القصة المشابهة لحال المقصود وعْظُهُ بسرد مشاهد القصة عليه ، وأنْ تكون أوجه الشبه كبيرة بين الحالة الماثلة أمامنا وبين القصة المذكورة لأجلها .

وفي موقف آخر شبيهٍ بموقف قارون السّابق ، يخبرنا ﷻ عنْ حال الإنسان وموقفه في حالتي الضّراء والسّراء : ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر : الآية ٤٩] .

قال الإمام ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - : " إنما كنى عن النعمة بقوله ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾ لأنّ المراد بالنعمة : الإنعام ، ﴿عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ عندي ، أي : خير علمه الله عندي ، وقيل : على علم من الله بأني له أهل ، قال الله تعالى : ﴿بَلْ هِىَ﴾ يعني النعمة التي أنعم الله عليه بها ﴿فِتْنَةٌ﴾ أي : بلوى يُبتلى بها العبد ليشكر أو يكفر ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ ذلك استدراج لهم وامتحان ، وقيل : ﴿بَلْ هِىَ﴾ أي : المقالة التي قالها ﴿ فِتْنَةٌ ﴾ " (٢) .

إنّها حقاً لفتنة عندما تتحول النعم الممنوحة للمرء إلى سبب منْ أسباب الانحراف بها عن المقصود منْ إعطائها وهو شكر الله تعالى بها ، واتخاذها سبيلاً لمعصية الله ﷻ والكِبر والبَطَر على الناس ، فعلى العبد أنْ يعلم أنّ النعم عندما تعقب حالة الضر ، فقد يعقبها كذلك مُوجة بأُساء أُخرى تعصف بها وتُذهبها ، إنْ لم يحافظ عليها العبد بشكر الله تعالى عليها ، فبالشكر تقرُّ النعم وبالكفر تَفرُّ النعم ، فمنْ أراد أنْ يُقيّد النعم فعليه أنْ يمنع وقوع أسباب زوالها منْ قِبَل نفسه ، فيتوجَّهُ أولاً إلى واهبها بالشكر ؛ شكراً بقلبه بأنْ يُدرك بأنّ هذه النعم مُنْزلَة عليه منْ عند الله ﷻ ، وشكراً بلسانه بأنْ يكثر على لسانه الحمد والثناء على الله تعالى نظير إكرامه له بالنعم ، وشكراً بفعله بأنْ يستخدمها في طاعة الله تعالى ويُجنبها الاستخدام اللامشروع .

---

(١) بكار ، عبدالكريم ، بناء الأجيال ، الرياض ، المنتدى الإسلامي ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م ، ص ١٧٠ -١٧١ (باختصار) .

(٢) ابن الجوزي ، مرجع سابق ، ١٤٠٤ هـ ، ج ٧ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

إنَّ بصائر أهل العلم قد وصلت إلى درجة من النضج والتفتح ؛ ما يمكن معه أنْ تُدرك حقيقة الامتحان الكائن وراء إنزال النعم على العباد ، فهي محطة ابتلاء واختبار ، لِيُرى منْ يضعها حيث يشاء الله تعالى منْ مراضيه ، ومنْ يتصرف فيها حيث يريد هو دون محبة الله تعالى لتلك الإرادة الإنسانية ، فمنْ أنار العلم بصره وبصيرته عَلِم عِظَم المسؤولية الملقاة على عاتقه تِجاه تلك النعم ،فهو يسعى جاهداً إلى إرضاء الله تعالى بحسن استخدامها، فلا يضعها إلا فيما يحب مولاه ﷻ .

كما يتميز أهل العلم بالثبات في مواقفهم في السَّراء والضَّراء ، في المحنة والمنحة ، فهم غير مُتذبذبين في تَوجُّهاتهم ، ففي حالة النعْمَاء يُقرّون بفضل الله تعالى وينسبون النعم إليه ، لا إلى علمهم ، فهم لا يغترون بعلمهم كما يفعل البعض ، حينما يجعل منْ علمه سبباً لحصول النعم له ، ظناً منهم أنَّ الله تعالى فضّلهم على غيرهم لما يعلم منْ تمكنهم في العلم ، وكأنَّ النعم المنْزلة عليهم كانت مكافأة على علمهم ، وأنهم على استحقاق لها ، وليست منْ باب جُود الله وإكرامه على الخلق أجمعين .

ثم هَاهُم أهل العلم في حالة البأْساء صامدون لها صمود الجبال الرواسي ، مُلْتجئون إلى ربهم ﷻ ومتضرعون إليه ، راجين منه كشف الضّر عنهم برحمته ، وإبدالهم بتلك الحال فرجاً منه بكرمه وتفضله لا باستحقاقهم وأهليتهم لها ، وأما منْ لم يكنْ له حظٌ وافر من العلم ؛ فشخصيته مُتذبذبة ، وآراؤه مُترددة ، وتوجّهاته مُترنحة ؛ فتارة يدعو الله عند البلاء ليكشف ما حلَّ به من الضّر ،وتارة يجحد فضل الله – تعالى – عليه عند النعماء ويرى أنه مُستحق لها ؛ لا فضلاً من الله وجُود .

وفي الآية الكريمة حثٌ على طلب العلم النافع الذي يظهر أثره الإيجابي على سُلوكيات حامله ، وإلا فما فائدة العلم إذا لم يعمل العالم بمقتضيات علمه ، فالعلم الحقّ هو الذي يُثبت صاحبه عند الشّدائد ، ويُدعمه في رخاء الحياة ، بينما منْ لم ينتفع بعلمه ، نجده قد تخلّى عن الالتزام بأخلاقيات علمه عند أول مصيبة تنزل عليه ، فتجده يتصرف كجاهل لا علم له ، وعند حُلول النِّعَم وزوال النِّقَم ينسب الفضل بحصول ذلك إلى علمه القاصر ، الذي لم ينفعه ساعة الأزمات .

ومنْ فوائد الآية كذلك قِلَّة العلماء العاملين بعلمهم ، وفُشُوّ الجهل عند كثير من الناس ، فعلى المرء أنْ يحرص على أنْ يكون في صفّ القِلّة العاملة ، وألا يكون مع الغالبية الجاهلة ، فالحق أحقُّ أنْ يُتبع .

إنَّ منِ اكْتنز شيئاً من العلم في صدره ، فعليه أنْ يُدرك " أنَّ علمه وفهمه وجودة ذهنه وفصاحته وغير ذلك من النعم ، فضل من الله عليه وأمانة عنده ليرعاها حق رعايتها ، وأنَّ العُجب بها كفران لنعمتها ، فيعرضها للزوال ، لأنَّ معطيه إياها قادراً على سلبها منه في طرفة عين " (١) .

الخلق الثالث : حفظ العلم والحذر منْ أسباب النسيان :

لقد " جَرت العادة أنْ نتحدث عن الحفظ والتعلّم والنسيان كما لو كانت أشياء منفصلة ، وهي في الواقع أمور مرتبطة بعضها ببعض ، ولا يمكن فصلها إلا بمقاييس غاية في الدقة " (٢) ، وأمَّا آيات العلم فقد تحدثت عن الحفظ والنسيان كوجهين لعملة واحدة ، وربطتهما بالتعلّم ربطاً وثيقاً ، حيث اعتبرتهما خصيصتان مكْنونتان في الإنسان ، ولكلٍ منهما تأْثيره على الإنسان ، ففي الصّغر يقوى الحفظ ، وأما النسيان فيشتدّ عُوده ويقوى تأْثيره على الإنسان مع ازدياده في العُمر ، كما بينت آيات العلم فضل الحفظ على العلم وحثت عليه ، وأوضحت خطر النسيان على العلم وحذرت منه .

ونظراً لأهمية الحفظ في طلب العلم ، وما يشكله منْ أثرٍ كبير في نجاح عملية التعلّم ، فقد اعتنت آيات العلم بهذا الأمر اعتناءً بالغاً ، وذلك لِمَا يُضْفيه الحفظ على العلم منْ ربط أجزائه بعضها ببعض ، قديمها وحديثها ، حتى تصبح الدروس المحفوظة كالخرز المنضود المتصل بعضه ببعض ، فكلّما اعْتنى طالب العلم بشدّ الدروس بعضها إلى بعض بالحفظ المستمر ؛ كلما كانت الدروس السّابقة واللاحقة أكثر اتصالاً وارتباطاً منْ ذي قبل .

وعلى الضّفة الأخرى منْ نهر العلم ، وفي مقابل الحفظ نجد آفة النسيان التي تختلف في درجاتها منْ شخص لآخر ، وما يترتب على تراكمها على العقل البشري منْ مساوئ على عملية التعلّم ؛ حيث أنَّ منْ لم يتعاهد محفوظاته العلمية بالتكرار والمطالعة المستمرة ؛

---

(١) القاسم ، مرجع سابق ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) محمود ، إبراهيم وجيه ، التعلّم : أسسه ونظرياته وتطبيقاته ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٤ م ، ص ٣٥ .

فإنها ستكون وبلا شك عُرضة لأنْ يحتويها النسيان كُلياً أو جُزئياً – حسب درجة المراجعة– وينقلها بالتالي إلى عالم العدم ، بعد أنْ كانت في عالم الوجود .

ونظراً لخطورة النسيان على العلم المحفوظ ، فقد نوّهت آيات العلم أيضاً بآثاره السّلبية ؛ ليحذر طالب العلم منها بالابتهال إلى ربه ﷻ بأنْ يُجنبه المرحلة التي تشتدّ فيها وطْأة النسيان على الإنسان ، وهي مرحلة أرذل العمر ، كما كان النبي ﷺ يفعل ؛ حيث روى الإمام البخاري – رحمه الله تعالى – عنْ سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه كان " يُعلّم بنيه هؤلاء الكلمات كما يُعلّم المعلّم الغلمان الكتابة ، ويقول : إنّ رسول الله ﷺ كان يتعوذ منهن دُبر الصّلاة : اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أنْ أُرد إلى أرْذل العمر وأعوذ بك منْ فتنة الدنيا وأعوذ بك منْ عذاب القبر" (١) .

ولذلك ينبغي على طالب العلم الديمومة والاستمرار في المراجعة للمحفوظ ، حتى لا ينتقل – مع شدة جرَيان نهر العلم وقلة تأْثير ضفة الحفظ – إلى ضفة النسيان .

ونبدأ بالحفظ لأهميته ؛ حيث بينت آيات العلم أنّ الحفظ منْ خصائص أهل العلم المتضلّعين فيه ، كما قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : الآية ٤٩] .

قال الإمام الشوكاني – رحمه الله تعالى – : " ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ يعني : القرآن ﴿ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ يعني : المؤمنين الذين حفظوا القرآن على عهده ﷺ وحفظوه بعده " (٢) .

في هذه الآية الكريمة بيانٌ لأهمية حفظ العلم في الصّدور ، وأنه لا يقل أثره عنْ حفظه في السّطور بل لَرُبما كان حفظ العلم أفضل منْ تقييده بالكتابة ، لأنه قد تعتري الكتابة عوامل مختلفة وكثيرة ، فتنال منه مالم تنلْ مما هو مُستودع في القلوب ، فما هو مُسطّر على ألواح العلم قد تصل إليه أيدي البغي إما بإزالته كلياً ، أو تحريفه بإضافة أو

(١) البخاري ، مرجع سابق ، كتاب (الجهاد والسّير) ، باب (ما يتعوذ من الجبن) ، ج ٣ ، حديث رقم (٢٦٦٧) ، ص ١٠٣٨ .
(٢) الشوكاني ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٢٠٧ .

نُقْصان ، في حين أنّ العلم المكنون في الصّدور يستحيل تغييره أو تحريفه ، فالحفظ أشدّ ثباتاً وأعمق رسوخاً من الكتابة ، بشرط أنْ يجد العلم المحفوظ منْ يتعاهده بالمراجعة والتكرار .

إنّ على أهل العلم أنْ يُشجعوا طُلاب العلم على استظهار ما تعلّموه غيباً ، وأنْ يُبينوا لهم أهميته ومكانته منْ بين القدرات العقلية الأخرى التي تُساعد الإنسان على التعلُّم ، وأنْ يُدْنوا منهم منْ كان متميزاً في حفظه ، وأنْ يُنمُّوا فيهم هذه الموهبة ، وأنْ يَرْعوها حقَّ رعايتها ، وأنْ يعتنوا بسقْيها والطلبة صغاراً ،حتى تُثمر في مستقبل الأيام عالماً حافظاً جامعاً لكلّ صُنوف العلم بين جنْبيه .

وكذلك على القائمين على شؤون التربية والتعليم أنْ يضعوا الحوافز المادية والمعنوية لبذل المزيد من الاهتمام والعناية بقدرة طلبة العلم على الحفظ ، وأن يُنظّموا لها المسابقات المتنوعة ، كمسابقة حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية والمتون العلمية والأبيات الشعرية...إلى غير ذلك منْ صنوف العلم المختلفة ، وأنْ يرصدوا لها الجوائز المحفّزة للطلاب لكي يُشاركوا فيها ، ويعملوا على إثارة ما لديهم منْ ودائع استُودعت فيهم ، حتى تتفجر تلك المواهب في مثل تلك المسابقات ، فتنهمر سُيولها على عقلية صاحبها ، وتنْساب على جوارحه انسياباً ، فتخرج الخزائن منْ أكمامها ، وتُثمر طالباً يافعاً حِفْظُه ، يشتد عُوده مع مرور الأيام والسّنون .

وعلى طالب العلم أنْ يُحافظ على هذه المكْرُمة الربّانية التي أكرمه الله تعالى بها ؛ وذلك بأنْ يصُونها عنْ كلّ ما يُؤثر عليها ،ويأتي على رأس تلك المؤثرات الذنوب والمعاصي، فإنّ وقوعها من العبد حائلٌ دون صفاء الذهن ورسوخ الحفظ ، كما أنّ عليه أنْ يُديم المراجعة لما حُفِظ بين الفَيْنة والأُخرى ، فإنه منْ أهم أسباب ثبات المحفوظ ورسوخه في الذاكرة ، " والناس يتفاوتون في ذلك ؛ فمنهم منْ يثْبت معه المحفوظ مع قِلّة التكرار ، ومنهم منْ لا يحفظ إلا بعد التكرار الطويل ، فينبغي للإنسان أنْ يُعيد بعد الحفظ ؛ ليثبت معه المحفوظ " (١) .

---

(١) ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي بن محمد ، الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ ، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ط٢ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٣ م ، تحقيق : فؤاد عبد المنعم ، ص ٤٣ .

وعلى طالب العلم أنْ ينتبه إلى " حقيقة علمية مفادها أنَّ التكرارات التي نقوم بها دون أنْ يصاحبها نية أو رغبة في التعلّم ، قد لا تمكننا منْ حفظ المادة المتعلقة ، مما يعني أنَّ التكرار في حدّ ذاته لا يعتبر عاملاً مؤثراً في إحداث التعلّم ما لم يكنْ مُوجّهاً " (١) .

وكذلك على طالب العلم أنْ يتحيّن الفرص المناسبة للحفظ سواء كانت مكاناً أو زماناً ، فيبتعد عنْ أماكن الضوضاء والإزعاج ، ويتخير الأوقات التي يكون الذهن فيها صافياً غير مشغول ولا مهموم .

وأما ما يتعلق بالنسيان ؛ فقد ألْمحت آيات العلم إلى المرحلة التي يتمكن النسيان من الإنسان ، واعتبرته طَور الضعف العقلي الذي يمر به الإنسان – مرحلة أرْذل العمر – وما يتبعه منْ نسيان المحفوظ الذي كان معلوماً لديه فيما مضى ، فقال تعالى عنْ ذلك : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [سورة النحل : الآية ٧٠] .

قال الإمام القرطبي – رحمه الله تعالى – : " ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ يعني : أرداه وأوضعه ، وقيل : الذي ينقص قوته وعقله ويُصيّره إلى الخرف ونحوه ، وقال ابن عباس : يعني إلى أسفل العمر ؛ يصير كالصّبي الذي لا عقل له ، والمعنى متقارب... ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ أي : يرجع إلى حالة الطفولية فلا يعلم ما كان يعلم قبلُ من الأمور ؛ لفرط الكِبر ، وقد قيل : هذا لا يكون للمؤمن ؛ لأنَّ المؤمن لا يُنْزع عنه عُلمه ، وقيل : المعنى : لكيلا يعمل بعد علم شيئاً ، فعبر عن العمل بالعلم لافتقاره إليه ؛ لأنَّ تأْثير الكِبَر في عمله أبلغ منْ تأثيره في علمه " (٢) .

وفي تصوير أدق لمراحل الإنسان المشاهدة بالعَيان والغيبية بالأرحام ، اعتبرت آية العلم في سورة الحج مرحلة نسيان العلم إحدى المراحل التي يمرّ بها بعض البشر ، إنْ لم تدركهم المنيّة قبل ذلك ، فقال تعالى عنْ هذه المراحل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ

---

(١) توق ، محي الدين وآخر ، أساسيات علم النفس التربوي ، نيويورك ، نشر جون وايلي وأولاده ، ١٩٨٤م ، ص ٢٣١ .

(٢) القرطبي ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١٤٠ – ١٤١ (باختصار) .

لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [سورة الحج : الآية ٥].

قال العلامة السّعدي - رحمه الله تعالى - عنْ مرحلة النسيان في الآية : "﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾ منْ قبل أنْ يبلغ سنّ الرشد ، ومنكم منْ يتجاوزه ، فيُرد إلى أرْذل العمر ؛ أي : أخسّه وأرذله ، وهو سنّ الهرم والتخريف الذي به يزول العقل ويضْمحل ، كما زالت باقي القوى وضعفت ، ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ أي : لأجل أنْ لا يعلم هذا المعمر شيئاً ،مما كان يعلمه قبل ذلك ، وذلك لضعف عقله " [1] .

وهكذا نُدرك مدى الخطورة التي يُشكّلها النسيان على ذاكرة الإنسان ، وما يترتب على وجوده ؛ حيث يصبح الإنسان جاهلاً لما كان قد علمه ، وذلك تحت وطْأة اشتداد مرحلة الضعف العقلي ، والتي يمر بها كثير من الناس ، ولا أدلّ على خطورة هذه المرحلة من استعاذة النبي ﷺ منها ، حيث جاء عند الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - عنْ أنس بن مالك رضي الله عنه قال " كان رسول الله ﷺ يتعوذ يقول : اللهم إني أعوذ بك من الكسل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من البخل " [2] ، وما ذلك إلا لما تُشكله هذه المرحلة الخطيرة منْ أثر سلبي بالغ على عقلية الإنسان بعامة ، وذاكرته خاصة .

ومنْ فوائد هاتين الآيتين الكريمتين كذلك الاهتمام بأخذ العلم ممن اشتُهر بقوة حفظه وسلامة عقله منْ جميع المؤثرات العقلية ؛ كفقد الذاكرة كُلياً أو جزئياً أو دخول الإنسان في مرحلة الشيخوخة التي يلتبس فيها الفهم على العقل ، وتتداخل عليه الأفكار وتتزاحم فيه المعلومات ، فلم يعد يستطع ترتيب أفكاره ، ولا تنظيم معلوماته ، ولا تذكر محفوظاته ، ولا القدرة على الفهم بشكل جيد .

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٤٨٣ .

(٢) البخاري ، مرجع سابق ، كتاب (الدعوات) ، باب (التعوذ منْ أرْذل العمر) ، ج ٥ ، حديث رقم (٦٠١٠) ، ص ٢٢٤٣ .

إنَّ على طالب العلم الحذر منْ أخذ العلم من العلماء الذين وقع بعضهم فريسة للهَرَمِ والتخليط والتلبيس ، فقد تختلط عليه الأوراق ، فيُدخل موضوعاً ما في موضوع آخر والطالب لم يشعر بذلك ، أو قد يُغير في الأحكام التشريعية ، فيُحلل الحرام أو يُحرم الحلال وهو لا يدرك ذلك ، فتنقل فتاواه عبر الأقطار ، فيقع الناس في المحظور وهم لا يعلمون ، ولذلك كانت المسؤولية عظيمة على طالب العلم في البحث عن العلماء الحفَّاظ ، والبعد عنْ أخذ العلم ممن ابْتُلي بهذا الداء .

وقد فَطِن علماء السَّلف لهذا الأمر ، وأصدروا صرخات تحذيرية للعلماء الذين تصدّروا لتدريس طلبة العلم ، والذين بلغوا من العمر مبلغاً ، يُخشى عليهم فيه التخليط لما حوته عقولهم من العلم ، ووجّهوا لهم نصائح بالتوقف عن التدريس حِفاظاً للعلم الذي معهم ، وصوْناً له منْ إدخال أجزائه بعضها ببعض ، أو ربما حذفها تحت تأْثير النسيان ، وهو في نفس الوقت تحذير لطالب العلم حتى لا يقع في الأضرار الخطيرة الناجمة عنْ أخذ العلم من العلماء الذين بلغوا من الكِبَر عِتيّاً ، وممنْ حذّر منْ هذا الأمر – على سبيل المثال – الخطيب البغدادي – رحمه الله تعالى – والذي أفرد في كتابه الجامع لأخلاق الراوي وآداب السَّامع باباً خاصاً في هذا الشأن ، وسماه : [باب قطع التحديث عند كبر السنّ مخافة اختلال الحفظ ونقصان الذهن] ، وساق في هذا الباب بسنده عن الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد قوله : " فإذا تناهى العمر بالمحدث فأعجب إليَّ أنْ يمسك في الثمانين ، فإنه حدّ الهرم ، والتسبيح والاستغفار وتلاوة القرآن أوْلى بأبناء الثمانين ،فإنْ كان عقله ثابتاً ، ورأْيه مجتمعاً ، يعرف حديثه ويقوم به ، ويجري أنْ يحدث احتساباً ؛ رجوْت له خيراً " (١) .

كما أنَّ على طالب العلم الحذر منْ أسباب النسيان ، ومنْ أهمها " المعاصي وكثرة الذنوب ، والهموم والأحزان في أُمور الدنيا ، وكثرة الاشتغال والعلائق " (٢) ، فإنَّ ذلك مما يُمهد الطريق ويجعله مُعبداً لحضور النسيان وغلبته على عقل الإنسان .

إنَّ الآيات الكريمة السَّابقة التي تحدثت عن الحفظ والنسيان ، قد كشفت لنا مدى الترابط الوثيق بين الحفظ والتعلُّم والنسيان ، وأنه لا يمكن فصلها إلا بمقاييس غاية في الدقة ،

---

(١) الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٤٣٥ .

(٢) الزرنوجي ، برهان الإسلام ، كتاب تعليم المتعلّم طريق التعلُّم ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، د.ت، تحقيق : مروان قباني، ص١٣٢ .

ويعتبر الحفظ والنسيان عمليتين ملازمتين للتعلُّم ، فما نتعلّمه يجب علينا أنْ نحتفظ به ، وعلى قدر احتفاظنا به ، يكون انتفاعُنا منه وانتفاع غيرنا به ، وبالتالي استمرار العملية التعليمية في عطائها واستمرار حركتها ، وما يثمر عنْ ذلك منْ تحقيق العملية التعليمية لأهدافها وجني ثمارها .

الخلق الرابع : القدرة على إنجاز صعاب المهام :

إنَّ أُولي العلم بالفعل هم أكثر الناس قدرة على إنجاز ما يُوكل إليهم منْ مهام ، وبالتحديد تلك المهام التي تُوصف بالصّعوبة ، والتي لا يقدر عليها أيّ إنسان ، بلْ لابدّ لها منْ رجل عليم بها ، ينْبري لها كما ينبري الأسد على الفريسة صعبة المنال ، فيُنجز العالم مهمته على أكمل وجْه ، كما يُجهز الليث على هدفه في أسرع وقت وأقلّ جهد .

وقد تجلّى ذلك في حديث القرآن عنْ نبي الله سليمان عليه السلام وملكة سبأ ، حينما طلب سليمان عليه السلام ممنْ يستطيع منْ جنوده أنْ يُحضر له عرش بلقيس بسرعة ، وقبل أنْ يأْتوا إليه مُذعنين ، فقال لمنْ حضره من الجنّ والإنس : ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾ [سورة النمل : الآيتين ٣٨ - ٣٩] ، غير أنه كان بذلك الموقف رجل عنده من العلم ما يُمكّنه - بإذن الله تعالى - أنْ يأتي بالعرش في مدة وجيزة أقلّ من المدة التي حددها ذلك العفريت ، فقال تعالى عنْ تلك المبادرة العجيبة التي سجّلها ذلك العالم وسطّرها القرآن الكريم عبر التاريخ ، تخليداً لذكراه وتعليماً للأمة جمعاء بأهمية إسناد المهام لمنْ هو أهلٌ لها منْ أهل العلم ، فقال تعالى عنْ ذلك العالم : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [سورة النمل : الآية ٤٠] .

قال الإمام السّعدي - رحمه الله تعالى - : " ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ قال المفسرون : هو رجل عالم صالح ، عند سليمان يُقال له : (آصف بن برخيا) كان يعرف اسم الله الأعظم ، الذي إذا دُعيَ به أجاب ، وإذا سُئلَ به أعطى ، ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ؛ بأنْ يدعو الله بذلك الاسم فيحضر حالاً ، وأنه دعا الله فحضر ، فالله أعلم:

هل هذا هو المراد ، أم أنّ عنده علماً من الكتاب يقتدر به على جلب البعيد وتحصيل الشديد " (١) .

لم يكنْ مُستغرباً ذلك العرض العجيب الذي طرحه ذلك العالم على نبي الله سليمان عليه السلام ، لأنه كان يملك من المؤهلات العلمية ما يُساعده على أداء المهام الصّعبة في أسرع وقت وأقلّ جهد وأكمل وجْه ، وهذا هو المتوقع دائماً حينما يُوضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، وهو أيضاً ما ينبغي أنْ يكون عليه أرْباب المِهن الذين استُوكلوا عليها ؛ بأنْ يُنجزوا تلك المهام الموكلة إليهم بشكل جيد وفوق ما هو مُتوقعٌ منهم .

ومما يُستفاد منْ هذه الآيات الكريمة أنّ على أهل العلم أنْ يُبرزوا مواهبهم وقدراهم العلمية والعقلية وحتى الجسدية منها ، والتي تُظهر لولي الأمر كفاءهم واقْتدارهم على تولي المهام المختلفة ، وفي مقدمتها تلك المهام التي تتطلب كفاءات عالية وقدرات خارقة ، فإنه إذا تمّ ذلك نَعُم الناس بسير أعمالهم بطريقة سَلِسَة وسريعة وفعّالة ، وبدون تأخير ومماطلة كما هو مُشاهد اليوم في كثير من الأعمال العامة المتعلقة بحاجات الناس .

وعلى القائمين على مهمة اختيار القياديين لمختلف الأنشطة بعامة ومجالات التربية والتعليم بخاصة ؛ أنْ يبحثوا عن الكفاءات العلمية المناسبة لكلّ منصب ، وأنْ يُولُّوا خِيار القوم على مختلف النشاطات الصّغيرة منها والكبيرة على حدّ سواء ، حتى يصبح الذين يقومون بخدمة الناس بالجملة – ومنهم المعلمون – من الأكفاء والصُّلَحَاء ، فترتقي بذلك الأمة ككل ، ويعلُو مستوى إنتاجها ، وتسمو قدرات أفرادها بلْ وتتفجر الطاقات الكامنة في نفوس منْ يكون الاختيار حَلِيفه ؛ حتى يُبرز أفضل ما لديه منْ إمكانات جسدية وقدرات عقلية .

الخلق الخامس : التواضع :

التواضع خُلُق الأنبياء – عليهم الصّلاة والسّلام – ووارثيهم من العلماء ، وهو خُلقٌ عزيز لا تكاد تجده في الأمة من الناس إلا قليل ، وذلك لأنّ فيه إخضاع للنفس البشرية وإذلال لها ، في الوقت الذي تشعر فيه بالتعالي والسُّمو والغطرسة والكِبر على منْ دونها من الناس ، وأعظم درجة منْ درجات التواضع الخضوع والتذلل لله جل جلاله ، كما قال المصطفى ﷺ

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٥٥٤ .

في الحديث الذي رواه عنه أبو هريرة ﷺ : " ما نقصت صدقة منْ مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه " (١) .

ومن التواضع لله ﷻ ألا يتكبر المسلم على إخوانه المسلمين ، وأنْ يخفض لهم جناح الذّل من الرحمة ، وأنْ يمدّ لهم يد المعونة والتكافل ، فالعالم يُلين جانبه لطالب العلم ، والغني يُساعد الفقير ، والقويّ ينصر الضعيف .

ولأهمية التواضع ومكانته العالية في الإسلام فقد أشارت آيات العلم إلى ذكره في أبهى صوره وأجلّ مقاماته وأعظم درجاته ؛ ويكون ذلك : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ ﴾ يوم القيامة ، فيوجّه لهم ربّ العزة والجلال السّؤال العظيم في ذلك اليوم العصيب : ﴿ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾ ، حينها يبرز التواضع في أجمل حُلَله ، فترد الرسل – عليهم الصَّلاة والسَّلام – على ذلك السّؤال الكريم قائلة : ﴿ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [سورة المائدة : الآية ١٠٩] .

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – بعد أنْ سرد جملة منْ أقوال أهل التأْويل في تفسير هذه الآية ،ثم رجّح بعدها قول ابن عباس – رضي الله عنهما – منْ بين تلك الأقوال؛ حيث قال : " وأوْلى الأقوال بالصّواب قول منْ قال : معناه لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا ؛ لأنه تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم : ﴿ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ أي : أنك لا يخفى عليك ما عندنا منْ علم ذلك ولا غيره منْ خفي العلوم وجليها ، فإنما نفيَ القوم أنْ يكون لهم بما سُئلوا عنه منْ ذلك علم لا يعلمه هو تعالى ذكره ، لا أنهم نفوا أنْ يكونوا علموا ما شاهدوا ، كيف يجوز أنْ يكون ذلك كذلك ، وهو تعالى ذكره يخبر عنهم أنهم يخبرون بما أجابتهم به الأمم وأنهم سيشهدون على تبليغهم الرسالة " (٢) .

لقد كان ذلك الجواب البشريّ الخاشع المتذلل ، للسّؤال الإلهي العالي المتكبر ، يحمل في طيّاته جميل التواضع وأرْفعه ، وأعظمه وأجلّه ، حيث تبرأ الأنبياء – عليهم الصَّلاة والسَّلام – مع وافر علمهم – مما كان معهم من العلم ، لأنهم إنْ ركنوا أنفسهم إلى علمهم

---

(١) النيسابوري ، مرجع سابق ،كتاب (البر والصلة والآداب) ، باب (استحباب العفو والتواضع) ، ج ٤ ، حديث رقم (٢٥٨٨)، ص ٢٠٠١ .

(٢) الطبري ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٢٦ .

وأجابوا ؛ فقد أخبروا منْ هو أعلم منهم بسرائر أعمالهم ودواخل نفوسهم ، فضلاً عنْ ظواهرها وعلانية أفعالهم ، فكان من اللائق في ذلك الموقف أنْ يكون الأنبياء - عليهم الصَّلاة والسَّلام - في قِمّة الأدب مع الله تعالى - وقد كان منهم ذلك - وأنْ لا ينسبوا إلى أنفسهم شيئاً من العلم وهم واقفون أمام أعلم العالمين ، بلْ هو واهب العلم كلّه ﷻ .

إنَّ على العلماء وطلبة العلم خاصة والأمة عامة أنْ يحذوا حذو الأنبياء - عليهم الصَّلاة والسَّلام- في التحلّي بخلق التواضع ، وأنْ يكونوا كما قال تعالى عنْ أتباع النبي ﷺ : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الفتح : الآية ٢٩] ، ويأْتمروا بأمر الرسول ﷺ الذي قال : " إنَّ الله أوحى إليَّ أنْ تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد " (١) .

فعلى المسلم أنْ يُرخي لإخوانه المسلمين كنفه وأنْ يُلين لهم جانبه ، وأنْ يسعى في قضاء حوائج أدْناهم ، كما يُهرول في خدمة أعلاهم ، فالمحك الحقيقي الذي يظهر معه التواضع هو قبول الحق منْ أيّ شخص كان ، والتعامل مع عامة الناس من الفقراء وذوي الحاجة ، كالتعامل مع الخاصة منْ وُجهاء القوم وأثريائهم .

ومنْ ثمار التواضع وآثاره على طالب العلم أنك تراه شغوفاً بالعلم ، لا يستنكف أنْ يستفيد ما لا يعلمه ممنْ هو دونه منصباً أو نسباً أو سناً ، بلْ يكون حريصاً على الفائدة حيث كانت ، والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها - وقد ضرب السّلف الصّالح أرْوع المثُل وأصدقها في تواضعهم مع الآخرين ، ومنها تلك المرويّات المأْثورة عن الإمام الشّافعي ، حيث قال عنه الحميدي - وهو تلميذه - : صحبت الشّافعي منْ مكة إلى مصر، فكنت أستفيد منه المسائل ، وكان يستفيد مني الحديث ، وقال الشّافعي مرةً للإمام أحمد بن حنبل : أنتم أعلم بالحديث مني ، فإذا صحَّ عندكم الحديث ، فقولوا لنا حتى آخذ به ، قال ابن جماعة بعد ذكر تلك الآثار المروية عن التواضع ومبيناً فائدة التواضع لطالب العلم : قالوا منْ فوائده : أنْ لا يمتنع الفاضل من الأخذ عن المفضول (٢) .

---

(١) أبو داود ، مرجع سابق ، كتاب (الأدب) ، باب (في التواضع) ، ج ٤ ، حديث رقم (٤٨٩٥) ، ص ٢٧٤ .

(٢) ابن جماعة ، مرجع سابق ، ص ٦٠ - ٦١ (بتصرف) .

فحري بالعالم " أنْ يتحلى بهذا الخلق الحميد ، ويتعامل على أساسه مع الناس ومع تلاميذه ، وأنْ يحرص عليه أشد الحرص أكثر منْ غيره ، وأنْ لا يتعالى على طلابه أو يتكبر عليهم...فإنَّ التواضع يرفع منْ قدر الإنسان ، ويزيده شرفاً وعزّاً ، ويجعله قدوة حسنة لغيره من الطلاب " (١) .

إنَّ " التواضع يدفع المرء إلى طلب مزيد من العلم منْ أيّ أحد ، ولو كان أصغر منه سناً وأقلّ منه قدراً ، وآفة العجب وما يترتب عليها تمنع العالم من الاستزادة من العلم ، إذْ يظنّ نتيجة لإعجابه أنه قد أحاط بالعلم ، والرضا عما وصل إليه ، وهنا يتكرر القول بأنَّ منْ ظنّ أنه علم فقد جهل " (٢) .

وقد أجمل بعضهم أهم صور تواضع المعلم لطلابه في الصّور الآتية :

١) " السّلام على التلاميذ .

٢) عدم الاستنكاف منْ أخذ الفائدة منْ طلابه .

٣) الاستماع للطالب أثناء المناقشة .

٤) عدم الاستعلاء والتكبر على الطلاب . " (٣) .

الخلق السّادس : الجرأة في الحق :

الصدع بالحق منْ سِمات العلماء الراسخين في العلم ؛ الذين زهدوا فيما عند الناس ورغبوا فيما عند ربِّ الناس ، فكان ذلك دافعاً لهم إلى قول الحق المرّ عند كثير من الناس ، فلم يأبهوا بغضب الآخرين منْ قول الحق ، بلْ خافوا نقمة ربهم ﷻ وغضبه عليهم إنْ هم كتموا الحق و لم يبينوه للغير مخافة مَقْتهم ، وخاصة السَّادة والوجهاء منهم ، والذين يخشون ذهاب منزلتهم ومكانتهم بين الآخرين إنْ هم اتبعوا الحق ؛ الذي يرفض تقديسهم وتعظيمهم منْ دون الناس .

(١) البقعاوي ، صالح بن سليمان المطلق ، مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين منْ منظور التربية الإسلامية ، الدمام ، دار ابن الجوزي ، ط١ ، ١٤٢١هـ ، ص ١٨٦ (باختصار).

(٢) حسان وجميل الدين ، حسان محمد ونادية ، مدارس التربية في الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م ، ص ٢١٣-٢١٤.

(٣) البقعاوي ، مرجع سابق ، ص ١٩٠ - ١٩٢ (باختصار) .

إنَّ على العلماء مسؤولية قول الحق وتبيانه للناس كافة بلا مداهنة أو مداراة لأحد ، لأنَّ السَّاكت عن الحق ما هو في حقيقته إلا شيطان أخرس ، وإنْ تمّثل في زيٍّ إنسان صالح ، فقول الحق مطلب عزيزٌ وجودهُ ، قليلٌ قائلهُ ، والسّكوت عنه كثيرٌ وقوعهُ ، كثير فاعلُهُ ، كما قال تعالى : ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [سورة الزخرف: الآية٧٨].

وقد تحدثت آيات العلم عن الصدع بالحق كخلقٍ لصيق بالعلماء الصّادقين ، الذين أدُّوا أمانة الحق الذين يحملونه بنشره بين الناس ، رضيَ منْ رضي ، وسخطَ منْ سخط ، فالحق منْطقُهُم وإليه ممشاهُم وعنه مدافعتُهُم وبه مخاصمتُهُم وله انتصارهُم ، فلما كان هذا حالهم في الدنيا أنزلهم الله تعالى ذلك المنزل يوم القيامة ؛ فأهل العلم كذلك يصدعون بالحق يوم يقوم الأشهاد ، ويشهدون عليهم شهادة الحق ، فهم شهداء الله تعالى في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة النحل : الآية ٢٧] .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – : " وفي هذا فضيلة أهل العلم ، وأنهم الناطقون بالحق في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وأنَّ لقولهم اعتباراً عند الله وعند خلقه " (١) .

وقال الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى – : " وهم السَّادة في الدنيا والآخرة ، والمخبرون عن الحق في الدنيا والآخرة " (٢) .

وفي آية أُخرى وموقف آخر شبيهان بتلك الآية وذلك الموقف السّابقين ، يقول تعالى مُخبراً عنْ أهل العلم الذين وقفوا موقف المنافح عن الحق في الدنيا في وجه الباطل وأهله ، وهم على حالهم ذلك في الآخرة ؛ حيث يقومون نفس الموقف ويُواجهون أهل الباطل بنفس الجرأة والقوة التي عُهدت منهم في الدنيا ؛ فيقولون : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٣٩٢ .

(٢) ابن كثير ، مرجع سابق ، ١٤٠١ هـ ، ج ٢ ، ص ٥٦٨ .

فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة الروم : الآية ٥٦] .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – : " ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ أي : منَّ الله عليهم بهما ، وصارا وصفاً لهم ، العلم بالحق والإيمان المستلزم إيثار الحق ، وإذا كانوا عالمين بالحق ، مُؤثرين له ، لزم أنْ يكون قولهم مُطابقاً للواقع ، مناسباً لأحوالهم ، فلهذا قالوا الحق : ﴿ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أي : في قضائه وقدره الذي كتبه الله عليكم وفي حكمه ، ﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ ﴾ أي : عُمِّرتم عمراً يتذكر فيه منْ تذكر ويتدبر فيه المتدبر ويعتبر فيه المعتبر ، حتى صار البعث ووصلتم إلى هذه الحال ؛ ﴿ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ ، فلذلك أنكرتموه في الدنيا ، وأنكرتم إقامتكم في الدنيا وقتاً تتمكنون فيه من الإنابة والتوبة ، فلم يزل الجهل شعاركم ، وآثاره من التكذيب والخسارة دثاركم " (١) .

لقد شرف الله تعالى أهل العلم بذكر منقبتهم في قول الحق ، وكافأهم الله تعالى نظير صبرهم على عداوة الناس لهم لصدعهم بالحق ؛ بأنْ جعلهم يقومون نفس المقام الذي قاموه في الدنيا ، وصدعوا بالحق في الآخرة كما صدعوا به قبل ذلك في العاجلة ، إلا أنَّهم في الآخرة يقولونه وهم أعزّاء مُكرَّمون بحضرة الملك العزيز الجبار ، وأما في الدنيا فكانوا يُعانون الأمرَّين مما يلاقونه منْ كارهي الحق البُغاة على أهله ، فشتّان بين الموقفين ، وحُقَّ لأهل العلم أنْ تقرَّ أعينهم ، وأنْ تهدأ أنفسهم بوعد الله لهم بأنْ يُنزلهم منازل العزّ والكرامة والسُّؤدد يوم القيامة .

وبناءً على ما سبق فقد تقرر في هاتين الآيتين الكريمتين تطبيق مبدأ الجزاء منْ جنس العمل ، حيث جازى الله تعالى أهل العلم القائمين بالحق في الدنيا ؛ أنْ أقامهم في نفس الموقف الذي قامُوه منْ قبل ، وشهدوا على أعدائهم أهل الباطل – الذين لم يتبعوا الحق في الدنيا – بالخسران والثبور ، وكما أسلفنا فقد قالوا الحق في الآخرة وهم أعزّاء ، تطييباً لِخواطرهم بعد أنْ كانوا يصدعون به في الدنيا وهم في موقف ضعف وذلّ ، بسبب المجابهة العنيفة الصّادرة منْ مُناصري الباطل .

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٥٩٤ .

ولذلك كان لزاماً على أهل العلم أنْ يستمروا في نشر الحق والذّود عنه والصدع به، مهما كان مع الباطل منْ أتباع كُثُر ، أوْ وسائل دفاعية مُتعددة الأغراض سريعة التأْثير ، ليست كتلك التي بأيدي أهل العلم ، فما أعدّ الله تعالى لهم من المكرُمات الربّانية والوعود الإلهية يوم القيامة ، ما يُعينهم على تحمّل المشاق في طريق الصدع بالحق .

وعلى أهل العلم أيضاً أنْ يبثُّوا روح التفاني في الصدع بالحق في نفوس طلابهم ، حتى ينشأ جيل إسلامي يهون عليه بذل الغالي والنفيس في سبيل الصدع بالحق ، ونشره بين الناس ، لا يأبه بما يُلاقيه منْ عداوة الباطل وشراسة أهله ، فالحق لا بدّ له أنْ ينتصر ، وأهله لا بدّ لهم أنْ يظهروا على مُخالفيهم ولو بعد حين .

إنّ على المعلمين أنْ يربُّوا طلابهم على الجرأة والشّجاعة في قول الحق ؛ حتى ولو كان ذلك لا يُوافق هوى كثير من المعلمين ، ومنْ ذلك أنْ يُدربوا الطلاب على تصحيح المعلم إنْ هو أخطأ في معلومة ما أثناء شرحه للدرس ، على أنْ يكون تنبيه المعلم في إطار الأدب وحدود الاحترام ، وعلى المعلم في المقابل أنْ يتلقى الحق الصّادر من الطالب بصدر رحب ، بلْ عليه كذلك أنْ يشكره ، ويُثني عليه أمام الطلاب ، حتى يحذو حَذْوه ويقتدوا بفعله .

كما حكى القرآن الكريم في آية منْ آيات العلم موقف أهل العلم الراغبين عنْ شوائب الدنيا ؛ منْ هؤلاء المغترين والمتعلقين بها ، فقال تعالى عنْ أهل العلم وهم يُخاطبون المنقادين لأطماعهم : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [سورة القصص : الآية ٨٠] .

قال الإمام الشوكاني – رحمه الله تعالى – : " ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ وهم أحبار بني إسرائيل ، قالوا للذين تمنوا : ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾ أي : ثواب الله في الآخرة خير مما تمنَّوْنه ، ﴿ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ فلا تمنوا عرض الدنيا الزائل الذي لا يدوم ، ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ أي : هذه الكلمة التي تكلم بها الأحبار وقيل : الضمير يعود إلى

الأعمال الصّالحة ، وقيل : إلى الجنة ؛ ﴿ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴾ على طاعة الله والمصبرون أنفسهم عن الشّهوات " [1] .

لقد أدرك العلماء بفضل بصيرتهم العلمية حَقَارة الدنيا وسرعة فنائها وانقضاء أجلها، الأمر الذي زهَّدهم في الدنيا ورغّبهم في الأجر الباقي والثواب الدائم يوم القيامة ، فكانوا يرون اندفاع الناس وراء الفاني وترك الباقي منْ نِتاج العمى الذي أصاب بصائرهم ؛ فشلّها عن استبصار الخير ، وأصبحوا لا يَعُوون حقيقة الخطر الذي هم عليه ، بينما أدرك العلماء بمنظار العلم أنّ ذلك هو طريق الهلاك ، فقاموا بواجبهم تجاه العلم الذي معهم وتجاه أُمتهم ، وحملوا على عواتقهم مسؤولية الصدع بالحق ، فأناروا الدرب لسالكيه بنور العلم ، وأرشدوا التائه عن الحق إلى ضالته ، وأخذوا على أيْدي السّفهاء الذين يسعون إلى إغراق أنفسهم والأمة منْ ورائهم في مستنقع الشّهوات والملذات ؛ التي تجر على مُتبعيها الويْل والخسران ، وأظهروا للناس حقيقة باطلهم ، ودعوهم إلى صلاحهم وفلاحهم في العاجلة والباقية .

إنّ على طلبة العلم أنْ يُصبّروا أنفسهم على عناء الطّلب ، وأنْ يكونوا على ثقة بما أعدَّ الله تعالى للعلماء من الثواب الجزيل يوم القيامة ، وأنْ يُبلغوا الناس ما عندهم من الحق ، مُستخدمين في ذلك أرْوع الأساليب وأفضل السُّبُل وأحدث الطرق في الدعوة إلى الخير .

لقد " ربط الإسلام أيضاً بين الأخلاق الفردية والأخلاق العامة للمجتمع ، ورفض التفرقة بينهما كما تفعل بعض المجتمعات اليوم " [2] ، حيث تميز الإسلام بنظرته الشّاملة والمتوازنة ، والتي لا تُغلّب جانباً على حساب جانب آخر ، فالإسلام يحرص على أنْ يكون كلٌّ من الفرد والمجتمع صالحاً ، ودعا إلى إصلاح الفرد وجعله مواطناً صالحاً ، وحثّه على أنْ لا يحيا لنفسه فقط ، وإنما ينبغي أنْ يتعدى نفعه وصلاحه إلى أُمته ، حتى تكون لَبِنات المجتمع قويةً ومتماسكةً .

---

(1) الشوكاني ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ١٨٧ .

(2) السامرائي ، نعمان عبد الرازق ، مباحث في الثقافة الإسلامية ، الرياض ،مكتبة المعارف ، ط١ ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م ، ص ٥٥ .

الخلق السّابع : الثبات على الحق وإنْ قلّ أتباعه :

إنَّ الوصول إلى الحق ليس بالأمر الصّعب ، ولكنَّ الثبات عليه والتمسك به في خِضم أمواج الفتن المتلاطمة وظلماتها المتعاقبة ؛ يجعل من الصّعوبة بمكان أنْ يثبت المحق على الحق ، خاصة إذا كان أتباعه قلائل وأعداؤه كُثُر ، وليس معه من الإمكانات ما يُساعده على الصُّمود طويلاً في وجْه الآخر الذي يملك من القدرات ما يُعزّز فرص وجوده على ساحة المعركة الدائرة بين الحق وأهله منْ جهة ؛ والباطل وأهله منْ جهة أُخرى ، إلا أنَّ سُنن الله تعالى الجارية في خلقه ماضية ؛ ومنها أنَّ الحق منتصر لا محالة عاجلاً كان ذلك أم آجلاً .

وقد حثّت آيات العلم المؤمنين بالحق بأنْ يثْبتوا على ما هم عليه من الحق ، بلْ وَدَعَتْ إلى أكثر منْ ذلك ؛ حيث وجّهت أهل الحق إلى أنْ يُنافحوا عنْ مبادئهم بكلّ ما أُوتوا منْ قوة ، حتى ينْدحر الباطل وأهله ، ويبقى الحق عزيزاً ظاهراً ظافراً ، ويستطيع أهله الاستمرار في نشر الخير الذي معهم بمنْأى عنْ مقاومة الآخر ، وقد تمثّل ذلك حين وَفَد على النبي ﷺ وَفْد نصارى نجران ؛ واختلف الفريقان في حقيقة عيسى بن مريم عليه السلام ، ففي الوقت الذي ادّعى أهل نجران أنَّ عيسى بن مريم عليه السلام هو ابن الله – تعالى الله عنْ ذلك عُلواً كبيراً – ثبت النبي ﷺ على الحق وأخبرهم أنَّ عيسى بن مريم عليه السلام عبدالله ورسولُه وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه ، فلما لم يقبل أهل نجران الحق الذي جاء به النبي ﷺ دعاهم إلى المباهلة ، في خطوة لم تكنْ معروفة منْ قبل ، وذلك لأجل الدفاع عن الحق والثبات عليه حتى آخر رَمَق في هذه الحياة ، فقال تعالى مخاطباً نبيه محمد ﷺ : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ٦١] .

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى – : " قال تعالى آمراً رسوله ﷺ أنْ يباهل منْ عاند الحق في أمر عيسى بعد ظهور البيان : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ

﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ أي : نحضرهم في حال المباهلة ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ أي : نلْتعن ؛﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ أي :منا ومنكم" [1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – : " وقد امتثل النبي ﷺ قول الله فدعاهم إلى المباهلة ، فعرفوا أنهم إنْ باهلوه أنزل الله عليهم لعنته ، فأقروا بالجزية وهم صاغرون " [1] .

لقد كان رسوخ النبي ﷺ على الحق رُسوخ الجبال الشمّ الرّواسي التي لا تُزحزحها أعاصير الرياح وَهَيَجَان الأتربة ، فلم تُغْرِه زينة القوم وأُبّهتهم عن الثبات على الحق ، بلْ أصرَّ النبي ﷺ على موقفه الصّائب ، ودافع عنه بشتى الوسائل الممكنة ، حتى انخذل أهل الباطل وسلّموا له الأمر في نهاية المطاف .

إنّ هذه الآية الكريمة تحمل في طيّاتها العديد من الفوائد التربوية ؛ ومنها تربية أهل العلم على الصّمود في وجْه المتغيرات المتوقعة والمستغربة ، وأنْ يكونوا على أتمّ الاستعداد لمواجهة الآراء المخالفة ، وتفنيدها بالحجج الدامغة والبراهين السّاطعة والأدلة الواضحة ، فلا يبقى لدى المراقب أيّ مجال للشك في بيان الحق من الباطل ، وأنّ الحق راجحةٌ كفّته على كفّة الباطل ؛ الذي سُرعان ما يتلاشى ويضْمحل .

ومنْ فوائد هذه الآية الكريمة كذلك البَدَاءَة بعرض الحق ، والبَدَاءَة في الذّود عنه ، والبَدَاءَة في محاربة الباطل ، فلا ينتظر أهل العلم الجانب الآخر ليعرضوا ما عندهم منْ تُرّهات الباطل ، بلْ عليهم المسابقة بإظهار ما عندهم من الخير ، فإن اغترّ أهل الباطل بطاقاتهم وعرضوا ما عندهم من الشر ، فعلى أتباع الحق المسارعة أيضاً في دحضه وردّه على الفور بدون تراخٍ أو تَوَانٍ ، لأنّ السّكوت عنه يمكّنه منْ أنْ يستشري خطره في المجتمع ، فلا بدّ من الإسراع في إزالة ضرره عن الغير ، فإنْ تمكّن الباطل وانتشر فعلى أصحاب الحق أنْ يجتثّوا هذه الشّجرة الخبيثة منْ جذورها ، وأنْ يبدؤوا الآخر بوضع الفيصل بينهم ، والذي لا يبقى للباطل معه قائمة ، ولا يستطيع أهله إلا النكوص على العقبين ، والرجوع إلى الوراء وإلى نقطة الصفر بالتحديد .

---

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ١٤٠١ هـ ، ج ١ ، ص ٣٦٨ – ٣٦٩ .

(١) ابن تيمية ، مرجع سابق ، ١٤٠٤ هـ ، ج ١ ، ص ٣٢٠ .

لقد كان في ذلك الموقف النبوي الكريم تربية عظيمة للأمة عامة ولأهل العلم خاصة، فلا بدّ على محاضن التربية والتعليم بمختلف مستوياتها أنْ يزرعوا في نفوس طلبة العلم حبَّ الحق وتعظيمه في قلوبهم وبيان أهميته ومكانته ، والأثر الإيجابي الناجم عن التسليم به والانقياد له ، فإنَّ ذلك يُعتبر النَّواة الرئيسة للثبات على الحق والدفاع عنه ، مهما كانت الظروف والإمكانيات .

الخلق الثامن : الرفق بالمتعلّم :

لقد امتنَّ الله ﷻ على رسوله ﷺ بأنْ جعله رفيقاً رقيقاً على أصحابه ﷺ ، وهو السّبب الذي جعل الناس يحبونه أكثر منْ أنفسهم ، ويشتاقون إلى رؤيته أكثر منْ أبنائهم ، ويستجيبون لتعليمه إياهم ، وينقادون لأمْرِه لهم على الفور في المنشط والمكره ولو كان خلاف ما تهواه أنفسهم ، كما بيَّن ﷻ شأن نبيه ﷺ لو لم يكنْ على تلك الحال من الّلين والرفق بأصحابه ﷺ ؛ فإنَّ الناس بالتالي سينفرون منْ حوله ،ولَمَا تعلَّم أحد من الرسول ﷺ عند ذلك ؛ حيث يقول تعالى ممتناً على رسوله ﷺ بهذه النعمة : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [سورة آل عمران :الآية ١٥٩].

ولذلك فإنَّ على كلّ مربٍّ أنْ ينتهج نهج النبي ﷺ في معاملتهم مع طلبة العلم ، "فيعاملهم معاملة الأب المشفق الرحيم ، ويكون في مودة وشفقة ورحمة بهم ، لا عنفاً ولا قسوة عليهم ، حيث تمثل جزءاً من اللين والرفق بهم ، مع مراعاة ظروفهم ، والتودد لهم ، والترحيب بهم ، وعدم الاستعلاء عليهم والتكبر ، وتقبل ما يصدر عنهم منْ تصرفات ، ومعاملتهم بالرفق وعدم الازدراء أو الاستهجان " (١) .

وقد أشادت آيات العلم بموقف نبي الله إبراهيم ﷺ ، والذي قدَّم الأنموذج المثالي في الرفق بمنْ يرشده ويُعلّمه ، حتى ولو كان ذلك المتعلّم كافراً ، حيث دعا إبراهيم ﷺ أباه آزر إلى الحنيفية السَّمحاء ، وعلَّمه طريق الرشاد والسّلامة في الدنيا والآخرة ؛ يقول تعالى مخبراً عنْ إبراهيم ﷺ وهو يُخاطب أباه : ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [سورة مريم : الآية ٤٣] .

(١) البقعاوي ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – عنْ ذلك الخطاب المفْعم بالرحمة واللّين : " وفي هذا منْ لطف الخطاب ولينه ما لا يخفى ، فإنه لم يقلْ : يا أبت أنا عالم وأنت جاهل أو : ليس عندك من العلم شيء ، وإنما أتى بصيغة أنّ عندي وعندك علماً ، وأنّ الذي وصل إليّ لم يصل إليك و لم يأتك ، فينبغي لك أنْ تتبع الحجة وتنقاد لها " [1] .

لقد مدَّ إبراهيم عليه السلام يَدَ الرحمة والشّفقة إلى أبيه ؛ مُرغباً له الخير ، ومُرهباً له الشر ، ومُبيناً له الطريق المستقيم ، كما سعى جاهداً إلى إخراج والده من الظلمات إلى النور ، ومنْ غَياهب الكفر إلى صفاء الإيمان ، وأخذ يحاول في إقناعه بأنّ ما يقوله ليس منْ فراغ ، وإنما جاءه ذلك العلم منْ عند الله جل جلاله ، واتّبع في تعليمه أُسلوب الرفق واللّين ، وسنَّ للأمة منْ بعده مبدأ الرفق والعطف على المتعلّمين ؛ فهو شعار كلّ مربّ ، ودثار كلّ معلم في معاملته مع طلابه .

إنّ " شعور المتعلّم بعطف مُعلمه عليه وبرفق معاملته له ؛يُكسبان المتعلّم الثقة بالنفس ويُشعرانه بالاطمئنان إلى معلمه ،فيساعده هذا الشّعور على تحصيل العلم بسهولة أكثر" [2].

كما قال الحافظ ابن رجب – رحمه الله تعالى – : " وبكلّ حال يتعين الرفق في الإنكار " [3] .

فعلى أهل العلم أنْ يُحسنوا العِشرة مع طلابهم ، وأنْ يخفضوا لهم جناح المعاملة بالرحمة والعطف والشّفقة واللّين ، حتى تنعكس آثار تلك المعاملة الحسنة على سلوك طلابهم العِلمي والعملي ، ففي الجانب العلمي تزداد قابليتهم لطلب العلم ؛ نظراً لما يُقابَلون به منْ لِين القول وشفقة الفعل منْ لدنْ مُعلميهم ، فالطالب إذا أحبَّ مُعلّمه أحبَّ تبعاً لذلك مادته التي يُدرسها ، فتجد الطلاب يتهافتون على حضور درسه لِطيب مَعْشَرِه ، وأما منْ لم يُعرف بالعطف في قولِه والرحمة في فعله من المعلمين ؛ فإنّ الطلاب يتهافتون عنْ درسه ، فَرَقاً منْ معاملته السّيئة في قوله وفعله ، وأمّا على الجانب العملي فإنّ الطالب إذا تعلّم منْ مُعلمه العلم النافع والسّلوك الحسن منْ قوله وفِعله ؛ أثّر ذلك أيضاً على سلوك الطالب فتجده رحيماً في

---

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٤٤٤ .

(٢) سليمان ، فتحية حسن ، المذهب التربوي عند الغزالي ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ط ٢ ، ١٩٦٤م ، ص ٣٣ .

(٣) ابن رجب ، أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب ، جامع العلوم والحِكم في شرح خمسين حديثاً منْ جوامع الكلم ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م ، ص ٣٨٨ .

معاملته مع الغير ، رفيقاً بمنْ يُعلّمه ، فتنتشر الرحمة بين أفراد المجتمع كلّه ، ويرحم بعضهم بعضاً ، ويعطف بعضهم على بعض .

الخلق التاسع : عدم الْحَرج منْ نفي العلم عن النفس :

لقد تقرَّر آنفاً – في الفصل الثاني – أنَّ منْ أخلاقيات العالم التي يجب أنْ يتصف بها خُلق الأمانة العلمية ، حيث يلزمه بمقتضى هذا الخلق أنْ ينسب القول إلى قائله والفكرة لمخترعها ، ومنْ أمانة العلم كذلك أنْ لا يتحدث الإنسان إلا فيما يعلم ، وأنْ يقف عند الأمر الذي يجهل حقيقته ، ويقول لما لا يعلم : لا أعلم ، فإنَّ ذلك لا يُعدَّ منْ قبيل العيب والمنْقَصَة ؛بلْ عدَّها علماء السّلف من الأمور المحمودة التي تُذكر فتشكر ، ويُفتخر بذكرها .

ومنْ شواهد هذا الخلق العظيم منْ آيات العلم قول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة ص : الآيات ٦٧ – ٧٠] .

قال الإمام الشوكاني – رحمه الله تعالى – : " ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴾ أي: ما أنذرتكم به من العقاب ، وما أبينه لكم من التوحيد هو خبر عظيم ونبأٌ جليل ، منْ شأنه العناية به والتعظيم له ، وعدم الاستخفاف به...وجملة : ﴿ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ توبيخ لهم وتقريع لكونهم أعرضوا عنه ، ولم يتفكروا فيه ، فيعلمون صدقه ، ويستدلوا به على ما أنكروه من البعث ، وقوله : ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ استئناف مسوق لتقرير أنه نبأٌ عظيم ، والملأ الأعلى هم : الملائكة ،﴿ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ أي : وقت اختصامهم...أي : ما كان ليَ فيما سبق علم بوجْه من الوجوه ، بحال الملأ الأعلى وقت اختصامهم والضمير في ﴿ يَخْتَصِمُونَ ﴾ راجع إلى الملأ الأعلى ، والخصومة الكائنة بينهم هي في أمر آدم " (١) .

وهاك توجيهاً آخر من العليّ الحكيم إلى النبي الكريم ﷺ ؛ حيث يُبين ﷻ لنبيه ﷺ ما يقوله حينما يُوجه إليه المشركون السّؤال المعتاد عنْ موعد قيام السّاعة ، التي لا يعرف متى قيامها أحد من الخلق ، لا ملك مقرب ولا نبي مُرسل ، ومع ذلك فقد علّم المولى –

---

(١) الشوكاني ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٤٤٣ (باختصار) .

تبارك وتعالى – نبيه أنْ يقول عندما يُسأل عنْ أمر لا يعرف جوابه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الملك : الآية ٢٦] .

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى – : " ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي : لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله ﷻ ، ولكنه أمرني أنْ أخبركم أنَّ هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه ، ﴿ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي : وإنما عليَّ البلاغ وقد أديته إليكم " [(١)] .

لقد كان هذا التوجيه الربَّاني الكريم تربية عظيمة للنبي الكريم ﷺ ولأمته منْ بعده ، حيث لم يُقحم النبي ﷺ نفسه في أُمور الغيب التي لا يستطيع أنْ يُدرك كُنْه حقيقتها بدون الوحي الإلهي ، ولم يُسند إلى نفسه علم ما لم يعلم ، وبالتالي فلم يمتنع النبي ﷺ منْ نفي العلم عنْ نفسه في الأمور التي لم يُوحَ إليه شيء من العلم بخصوصها ، لأنَّ الإنسان منهيٌّ عن الحديث فيما لا علم له به ، ومسؤول عنْ كلّ ما يصدر منه منْ قول أو فعل ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٣٦] .

وها هو ذا نبيٌّ منْ أنبياء الله – تعالى – وهو هود ؑ ؛ الذي أجاب قومه بنفس ما أجاب الرسول ﷺ كفار قريش ، فعندما طلبت عادٌ منْ نبيها هود ؑ أنْ يأتيهم بالعذاب الذي وعدهم جرّاء إصرارهم على عبادة الأصنام ؛ بين لهم أنَّ علم هذا الأمر لا يعلمه أحد إلا الله ، ولا يعلمه هو ، فقال لهم : ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ [سورة الأحقاف : الآية ٢٣] .

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – في هذه الآية : " يقول تعالى ذكره : قال هود لقومه عاد :إنما العلم بوقت مجيء ما أعدكم به منْ عذاب الله على كفركم به عند الله، لا أعلم منْ ذلك إلا ما علّمني ، ﴿ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ ﴾ يقول : وإنما أنا رسول إليكم من

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ١٤٠١ هـ ، ج ٤ ، ص ٤٠٠ .

الله ، مُبلغ أبلغكم عنه ما أرسلني به من الرسالة ، ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ مواضع حظوظ أنفسكم فلا تعرفون ما عليها من المضرة بعبادتكم غير الله وفي استعجال عذابه" (٢).

لقد كان تصرفاً سليماً وفعلاً حميداً منْ نبي الله هود ، إذْ أجاب قومه بما يخجل منه الآن الكثير ممنْ وُسموا بالعلم ، فلم يجد حرجاً منْ نفي العلم عنْ نفسه بشأن ما سُئل عنه، حتى وإنْ كان المقصود من السّؤال التعجيز لا التعليم ، فالموقف ثابت والجواب واحد ، فلا يُؤثر كون السّائل جاء مُستفهماً أم مُتعنتاً في نفسيّة منْ وُجه إليه السّؤال أنْ يكون الجواب بنفس الوَتيرة ، {فالعلم عند الله} عبارة لا يتردد في قولها منْ وقر الإيمان في قلبه ، وجعل مخافة الله ﷻ نصب عينيه ، فهو لا يفتي بغير علم ،حتى لا يقع في سخط الله تعالى ، والتوقف وقول لا أعلم ، أهون عليه منْ أنْ يقول كلمة واحدة بغير علم .

كما أنّ في ختام هذه الآية الكريمة لفتة تربوية عظيمة ، وهي بيان كيفية التعامل مع السّائل المتعنت ، وذلك عنْ طريق تبيان حقيقة السّائل الذي جاء للتعجيز لا للتعليم ، فالتصرف الصحيح عندها أنْ يُقال له : كما أني لا أعلم جواب سُؤالك التعجيزي ؛ فأنت أيضاً جاهل عمّا ينفعك ، بأنْ وجّهت لي سُؤالاً ؛ أنت تعلم أنه لا يعرف الإجابة عليه أحد من الخلق ، وتركت السّؤال عمّا ينفعك ويُصلح أمرك في الدنيا والآخرة ، ولا شك أنّ في ذلك إدارةٌ لدفّة السّؤال ، وتوجيهه إلى الوِجْهة الصحيحة ؛ وهي أنْ يكون القصد من السّؤال إزالة الجهل عنْ ذهن السّائل ، وليس تثبيت الجهل في ذهن المسؤول .

إنّ على أهل العلم أنْ يقتفوا آثار نبيهم محمد ﷺ والأنبياء – عليهم الصّلاة والسّلام- منْ قبله في الشّفافية والمصداقية والتجرد من الأهواء ، والامتناع عن التحدث فيما لا علم لهم به ، وألا يصدر منهم أيّ تصرف إلا بعد علم مُسبق بصحة ما يقولونه ويفعلونه ، وأمّا ما لم يثبت عندهم صحته أو جَهُل عليهم حقيقته ؛ فعليهم التوقف فيه وعدم التسرع بالدخول في نفق لا يُعلم ما نهايته ، ولا يُدرى ما نتيجة الإقدام المتهور فيه ، فالإقحام الخالي من التفكير العقلاني والتخطيط المسبق لكلّ ما يصدر عن الإنسان ؛ يُعرضه للتخبط في التنفيذ والتيْه عنْ تحقيق الهدف المنشود .

---

(٢) الطبري ، مرجع سابق ، ج ٢٦ ، ص ٢٥ .

كما لا يخفى عليهم موقف الملائكة الكرام منْ قبل ذلك ؛ والتي ردَّت على سؤال المولى -تبارك وتعالى- لهم عنْ مسمَّيات الأشياء التي كانت محور اختبار التفضيل الدائر بينها وبين آدم عليه السلام ، فلما لم تعرف الجواب على السّؤال الإلهي ؛ أجابت بقولها :﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة البقرة : الآية ٣٢] ، فتجردت الملائكة – عليها السّلام – منْ علمها ، وأحَالت علم المسؤول عنه إلى علم الله عز وجل ، وهذا ما ينبغي أنْ يكون عليه من التصق بالعلم حتى صار معروفاً بأنه منْ أهله ؛ أنْ يقول لما لا يدري : لا أدري ، ولما لا يعلم : لا أعلم ، لأنه طريق السّلامة والنجاة منْ مغبة الوقوع في إجابة خاطئة قد تُوبق أُخراه ومنْ قبل ذلك دُنياه .

تُرى ما يُضير العالم أنْ يقول لما لا يعلمه ، لا أعلم ، أو الله أعلم ،أو العلم عند الله ، وقد جمع هذا الخلق الكريم العديد من الفوائد والمنافع لمنْ يتخلّق به ، ومنها أنّ الالتزام بهذا الخلق النبيل يُورث التواضع في قلب فاعله ، لأنه قد أدرك حقيقة العلم الذي وصل إليه ، وأنه علم محدود تنقصه جوانب كثيرة من البحث والتحقق ، ولا أدلَّ على ذلك منْ عدم قدرته على الإجابة عنْ كلّ أمر يُسأل عنه ، وفي المقابل فإنّ تمسكه بهذا الأدب الرفيع يُكسبه عُلوّاً في المكانة وشرفاً في المنزلة ورفعة في القدر في أعين الناس ، ويزداد الآخرون ثقة بعلمه ، لأنهم عرفوا منه أنه لا يتحدث إلا فيما هو متيقن منْ صحته وثُبوته ،كما اشتُهِر بين الناس بأنه يتوقف عنْ كلّ ما لا يعلمه أو يشك في رجحان صحته ، فلا يُجيب في أيّ مسألة يُسأل عنها حتى يتريث أولاً ، ويُلِمّ بجوانب موضوع السّؤال ثانياً ، ثم يتثبت من الصّورة النهائية للإجابة على السّؤال المطروح قبل أنْ تصدر منه أيّ فتوى .

إنّ منْ فوائد الالتزام بهذا الأدب النبوي الكريم ؛ أنّه يفتح آفاق البحث العلمي أمام المتخلق به ، لأنه يريد أنْ يبحث عنْ إجابة الأسئلة التي وُجّهت إليه و لم يستطع الإجابة عليها ؛ لأنه يجهل الجواب الشّافي عن السّؤال الموجه إليه ، وأما في حالة التسرع بلا رويّة ولا تثبت ولا تحقق ، فإنه يجعل فاعل ذلك يصرُّ ويستكبر على رأيه وإنْ كان خاطئاً ، ولا يسعى للتأكد منْ مدى صحة ما أجاب على ما سُئل ، لأنه قد يتبين لديه بعد البحث أنّ إجابته للسّؤال كانت خاطئة ، ولا يستطيع البَوْحَ للسّائل بأنه قد أجابه إجابةً خاطئةً ، لأنه يخجل أنْ يعترف بخطئه أمام الغير .

وعلى أهل العلم أيضاً أنْ يغرسوا هذا الخلق الحميد في نفوس طلابهم ، وذلك مـــنْ خلال التطبيق الفعلي له على محكّ الواقع ، فالطالب حين يسأل مُعلّمه عنْ أمر قدِ استشكل عليه ، ولم يستطع المعلم الإجابة على سؤاله ، فيُبادره بتلك الكلمة الرائعة : لا أعلم ؛ فـــإنّ ذلك يزرع تلقائياً في قلبه محبة هذه الكلمة ، وتصبح هذه الكلمة ديْدنه وخُلُقه حينما يُسأل عنْ أي شيء ليس عنده فيه علم ، فتجد لسانه ينطلق بخفة وطلاقة بتلك الكلمة ، ويقـــول على الفور : لا أعلم .

الفصل السادس :

(المضامين التربوية المرتبطة بآداب الحوار)

- الأدب الأول : النهي عن الجدال بغير علم .
- الأدب الثاني : استحضار الدليل .
- الأدب الثالث : طلب الدليل من الآخر .
- الأدب الرابع : الأسلوب الأمثل في التعامل مع المتعنت .

توطئة :

يُعتبر الأُسلوب همزة الوصل بين الهدف المنشود تحقيقه وبين الشخص الذي يسعى إلى الوصول إلى ذلك الهدف ، ومنْ جانب آخر فإنَّ تحديد الهدف بدقة ، يُساعد في رسم الطريقة وتحديد الأُسلوب الأمثل الذي يمكن منْ خلاله أنْ يتحقق ذلك الهدف ، والطريقة في التربية تعني : " مجموعة الأنشطة والإجراءات التي يقوم بها المدرس ، والتي تبدو آثارها على ما يتعلّمه التلاميذ " (١) .

فكلما اعتنى العالم باختيار الأسلوب الأنجع في تعليمه ؛ كلما كان ذلك أدْعى إلى تحقيق الهدف بأفضل صورة وأقلّ جهد .

إنَّ المعلم الناجح هو ذلك المعلم الذي يستطيع أنْ يُؤثر فيمنْ حوله من المتعلمين ، ويجعلهم يتقبلون لِمَا يُمليه عليهم منْ مفردات التربية المرغوبة ، كما يستطيع أنْ يعمل على تغيير مبادئهم المخالفة للتربية المقصودة غَرْسها في نفوسهم ، وذلك منْ خلال مخاطبة العقول وتوجيه الانفعالات وإثارة العواطف الكامنة في ذَوَاهم .

ولكي يصل المعلم إلى هذه النتيجة الإيجابية فإنَّ عليه أنْ يعمل على تنويع أساليبه التربوية ، ولا شك أنَّ منْ أجود الأساليب التربوية النافعة للمعلم والمتعلّم على السَّواء هو أُسلوب الحوار ، حيث يُعدّ الحوار منْ أكثر الأساليب المستخدمة شيوعاً بين الأوساط التربوية خاصة وفي مختلف الأوساط المتعلّمة بعامة ، فالحوار هو وسيلة التخاطب والتفاهم بين الفئات المثقفة ، وأما الأوساط التي تفتقد إلى العلم ؛ فإنها – بالتالي – أشد افتقاراً للحوار الهادف المبني على أُسس علمية ، لأنَّ الفاقد للشيء لا يُعطيه ، ولأنَّ غير المتعلّم لا يستطيع أنْ يُدير حواراً علمياً بنَّاءاً ، مُنطَلَقه الحجة والبرهان ، ومُستنده القياس العقلي فيما لم ينزل فيه نص ، وهدفه في نهاية المطاف إقناع الطرف الآخر بترك وِجهة نظره الخاطئة ، والنُّزوح عنها إلى المعتقد الصّائب ،وذلك عبر وسائل مُتدفقة بالحكمة والرفق بالطرف الآخر ، لأنه قد يظنّ في قَرَارة نفسه أنه على حق،ولو كان يعلم خطأها مُسبقاً لَمَا تمسك بها.

يهدف أُسلوب الحوار إلى تنشيط قدرات المتعلّم العقلية ، حيث يسعى المربي إلى تدريب المتعلّم على أُسلوب الحوار الفعَّال ، ويعمل على إكسابه آداب الحوار وأخلاقيّاته التي

(١) اللقاني ، أحمد حسين وآخر ، تدريس المواد الاجتماعية ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٩٧٤م ، ص ١٧٨ .

ينبغي أنْ يتحلّى بها المحاور ، لأنّ الحوار إذا ما أُحسِنت إدارته ، واستُخدمت فيه كآفة الحجج الممكنة لإقناع الآخر ، فإنه أُسلوب ناجح في توضيح الحق ، وكشف أغْوار الباطل بطرقٍ مقنعة مُفحمة ، ويُساعد في الأخذ بيد الآخر نحو الحق بالحكمة والموعظة الحسنة .

فالحوار إذاً هو " أنْ يتناول الحديث طرفان أو أكثر ، عنْ طريق السّؤال والجواب ، بشرط وِحدة الموضوع أو الهدف ،فيتبادلان النقاش حول أمر معين ، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يُقنع أحدهما الآخر ، ولكنّ السّامع يأْخذ العبرة ، ويكون لنفسه موقفاً " (١) .

ويرى الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله تعالى – أنّ للجدال صورتان مُتباينتان ، تختلف إحداها عن الأُخرى باختلاف موقف المناظر فيهما ، وهما :

" ١– مجادلة مماراة : يماري بذلك السّفهاء ، ويجاري العلماء ، ويريد أنْ ينتصر قولُه، فهذه مذمومة .

٢– مجادلة لإثبات الحق وإنْ كان عليه : فهذه محمودة مأْمور بها " (٢) .

وللحوار جملةٌ من الآداب ينبغي علينا معرفتها قبل أنْ ندْلُف إلى موضوع الحوار في آيات العلم ، ويُقصد بآداب الحوار : " القواعد السّلوكية التي ينبغي الالتزام بها عند المحاورة " (٣) ، ومنْ تلك الآداب ما يلي :

١ – التجرد في طلب الحق : ويُقصد به الإخلاص لله ﷻ في إقامة المحاورة ، وأنْ يكون الغرض منها إنقاذ الطرف الآخر منْ خطر الاستمرار في أفكاره المنحرفة ، وكلما كانت النية خالصة لله ﷻ ؛ كلما كان ذلك أدْعى إلى توفيق الله تعالى لذلك المناظر ، ولذلك ينبغي " التجرد في طلب الحق وتوصيله إلى الآخرين ، بحيث لا يكون هم المرء الانتصار لرأْيه ، وإنما همه طلب الحق وإيصاله للآخرين " (٤) .

---

(١) النحلاوي ، عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، دمشق ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٧٩م ، ص ٢٠٦ .

(٢) العثيمين ، محمد بن صالح ، كتاب العلم ، الإسكندرية ، دار الإيمان ، د.ت ، تحقيق : عصام السيد السهيلي ، ص ٢١١ .

(٣) الصويان ، أحمد بن عبد الرحمن ، الحوار : أصوله المنهجية وآدابه السّلوكية ،الرياض ، دار الوطن للنشر ،ط١ ،١٤١٣هـ ،ص٧٧ .

(٤) العودة ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

كما أنه لا ينبغي أنْ يكون قصده " الظفر بالخصم والسّرور بالغلبة والقهر ، فإنه منْ دأْب الأنعام الفَحُولة ، كالكباش والدّيكة " [1] .

٢ – الحذر من الْمِرَاء : وهو الجدال والمنافحة بشراسة لرد الحق ، وإظهار الباطل في صورة الحق ، وذلك بتلبيس الأدلة على المستمع ، وقلْبها ومنْ ثمّ جعْلها في صالحه بعد أنْ كَادَت تهدم مبدأه بالكلية ، وذلك باتباع وسائل بالغة في الْخُبث والدهاء ، أو ردّها بالكلية بدعوى بُطلانها أو ضعفها ، ولا شك أنّ ذلك كلّه يُنافي الصدق والوضوح الذي ينبغي على المحاور أنْ يتحلى به .

٣ – حسن الإنصات : لكي يكون الحوار هادفاً فإنه ينبغي أنْ يكون بالدرجة الأولى هادئاً ؛ ولكي يكون هادئاً فإنه ينبغي على الأطراف المتحاورة أنْ تتحلّى بآداب الإنصات والاستماع للطرف الآخر ، واحترام الرأْي المغاير ، والبعد عنْ رفع الصوت بالتلفظ بالسِّباب أو انتقاص المستمع والتقليل منْ شأنه ، أو اتهام الطرف الآخر بسوء نيته وخُبْث مقصده منْ وراء محاورته ، فإنها منْ أهمّ الأسباب الجالبة للضوضاء ، والمبعدة للجوّ الهادئ للمحاورة .

٤ – ترتيب الأفكار : لا بدّ لكي تكون الأفكار مُرتبة أنْ يسبق تلك الأفكار تخطيط وتنظيم كاملَيْن لكلّ ما يتوقع المحاور أنْ يعرضه على مسامع الطرف الآخر أثناء المحاورة ، وهذا يعني أنْ يتصور المحاورة في ذهنه تصوراً تقريبياً ، مبنياً على موضوع المحاورة والمعطيات المتوفرة لديه عن المحاورة ، كأهدافها والمباحث التي سيتم الحديث حولها ، وإعطاء كلّ فِكرة حقّها من البحث والتحريّ ، كما أنّ على المحاور أثناء المحاورة أنْ يبدأ بذكر المقدمات قبل عرض النتائج ، حتى تكون هناك سَلاسة منطقية في عرض الأفكار ، وعلى المحاور أنْ يكون على استعداد تام بمفاجآت المحاورة ، كالمباغتة من الطرف الآخر بأُمور جانبية لم يكنْ يتوقعها ؛ حتى لا تُؤدي إلى بعثرة أوراقه وتداخل أفكاره أثناء المحاوره .

---

(١) الجويني ، أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله ، الكافية في الجدل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، ص ٣١٨ .

٥ – عدم التهاون مع المخالف : إنَّ التقليل منْ قيمة الطرف الآخر " قد يُــؤدي إلى عدم الجدّ في القيام بالحجة ، وهذا يفعله البعض إذا ناظره صغير أو غير نِحْرير ، فيقطعه منْ حيث اعتقد ضمان ظهوره عليه" [١] .

ومما يُقال في هذا الأدب كذلك " ألا يحتسب خصمه حقيراً ، قليــل الشــأْن ؛ لأنَّ ذلك يُؤدي إلى عدم الجدّ والاجتهاد في القيام بحجته ، فيكون ذلك ســبباً لغلبــة الخصــم الضعيف له ، وغلبة القرن الحقير أشنع منْ غلبة القرن العظيم " [٢] .

---

(١) العثمان ، حمد بن إبراهيم ، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسّنة ، الكويت ،مكتبة ابن القيم ، ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م ، ص ٥٣٤ .

(٢) الشنقيطي ، محمد الأمين ، آداب البحث والمناظرة ، القاهرة ، مكتبة ابن تيمية ، د.ت ، ج ٢ ، ص ٩١ .

آداب الحوار في آيات العلم :

لقد أوْلَت آيات العلم موضوع الحوار أهمية بالغة ، وطرقته منْ أبوابٍ شتى ، ومن زوايا متعددة ، وألْقت الضوء على عدد من المحاور الرئيسة ذات العلاقة بآداب الحوار المبنية على أُسس علمية ، حتى تتم المحاورة في جوّ علمي هادف ، والتي منْ شأْنها أنْ تُؤثر تأثيراً بالغاً في كيفية سِير الحوار ، ومدى تحقيقه لأهدافه المرْجوّة ، و يمكن أنْ نستخلص منْ آيات العلم آداب الحوار التالية :

الأدب الأول : النهي عن الجدال بغير علم :

لقد ندّد الله ﷻ بمنْ يجادل الغير بدون الاعتماد على أدلة شرعية ، أو حقائق علمية ، أو براهين واقعية ، أو حُجج كونية ، لأنه في واقع الأمر إنما يُدافع عن الجهل ، ويدعو إلى الدخول في بوتقة الجهلاء والعَوْمِ في دوَّامة الأوْهام والظنون ، فيصبح بذلك داعٍ إلى الضّلالة والخسران للفرد والمجتمع على حدّ سواء ، فقال تعالى في غير ما موضع منْ آيات العلم عنْ حال هذا المجادل : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [سورة الحج : الآية ٨ -- سورة لقمان : الآية ٢٠] .

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – : " يقول تعالى ذكره : ومن الناس منْ يخاصم في توحيد الله وإفراده بالألوهية بغير علم منه بما يخاصم به ، ولا هدى يقول ، وبغير بيان معه لما يقول ولا برهان ، ﴿وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ يقول : وبغير كتاب من الله أتاه لصحة ما يقول ، ﴿مُّنِيرٍ﴾ يقول : ينير عنْ حجته ، وإنما يقول ما يقول من الجهل ظناً منه وحسباناً " (١) .

كما بين تعالى السّبب الذي جعل منْ بعض الفِئام من الناس تسعى إلى دفع الحق ودحضه بالشُّبه المنحرفة ، وتدعوا إلى الدخول في الباطل بلا تفكير ولا تحقيق ، ألا وهو تتبع خطى الشيطان ؛ كما قال تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [سورة الحج : الآية ٣] .

---

(١) الطبري ، مرجع سابق ، ج ١٧ ، ص ١٢٠ .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – " ومن الناس طائفة وفرقة سلكوا طريق الضّلال ، وجعلوا يجادلون بالباطل الحق ، يريدون إحقاق الباطل وإبطال الحق ؛ والحال أنهم في غاية الجهل ، ما عندهم من العلم شيء ، وغاية ما عندهم تقليد أئمة الضّلال ، منْ كلّ شيطان مريد ؛ متمرد على الله وعلى رسله ، معاند لهم ، قد شاق الله ورسوله ، وصار من الأئمة الذين يدعون إلى النار " (١) .

لقد أوْدَى الجهل بأصحابه إلى أنْ جعلهم أُجَراء للشيطان ، كما أوقعهم في حبائله منْ حيث لا يشعرون ، فأصبحوا بالتالي يُنازعون الله ﷻ في حقوقه ، ومنْ أعظمها حقُّه – جلّ وعلا – في الألوهية وإفراد العبادة له دون ما سواه ، وما ذلك إلا لأنّ غشاوة الجهل كانت كثيفة السَّماكة على أعينهم ، وليس عندهم من العلم – ولو الشيء اليسير – ما يُزيلون به عَمَى الجهل عنْ أبصارهم ، فَنَجَمَ عنْ ذلك أنْ صاروا يُجادلون أهل الحق في أمورٍ لا مجال للجدال فيها ، ووجّهوا سِهامهم لِلْمَسَاس بأبسط البدهيات ، التي لا تقبل النقاش حولها لرسوخها وثبوتها ، ولا حتى مجرد التفكير فيها .

ومنْ هنا يتبين لنا أنّ المحاوِر إذا كان عدواً للعلم فهو بلا شك صديق للجهل ، وإذا كان يدعو في مناظراته إلى اعتناق مذهبه الباطل ، فهو بالتأكيد يُحارب المذهب الحق ، ولذلك كان لزاماً على الأكْفاء منْ أهل العلم أنْ ينبَرُوا لمحاورة هؤلاء الجهلة ؛ الذين سرعان ما تزول أقدامهم ، وتضْمحل أفكارهم ، لأنّ ما بُني على باطل فهو باطل ، والباطل لا يستطيع مُواجهة الحق وأهله ولو برهة من الزمن .

إنّ المحاور إذا كان يفتقد إلى الأساس العلمي الذي يُمكّنه منْ إقامة الحجة على منْ ناوأه ،ونصْر مذهبه على منْ غَايَرَهُ ، فإنه سيكون من السّهولة بمكان أنْ يتغلّب عليه الخصم؛ لأنه لا يملك منْ وسائل المناعة العِلْمية ما يصدّ به رِماح التُّهم التي يُوجهها له الآخر ، وبالتالي فهو غير مُؤهل تأهيلاً عِلمياً لدخول المناظرات العلمية ؛ التي تقوم أجِنّدتها على الأدلة العليمة والبراهين العقلية .

وعليه فإنّ على المعلم مسؤولية عظيمة في تربية الجيل الصّاعد بأنْ يبتعدوا عن الجدال بغير علم لأنه منْ قبيح الأفعال ، وأنْ لا يُدخلوا أنفسهم في حِوارات مهما تنوعت

(١) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٤٨٢ .

موضوعاتها ، إلا منْ بعد أنْ يستكملوا الموضوع مَدَار الحوار دراية وبحثاً ، ويُشبعوا موضوع الحوار طرْقاً وقراءةً ، حتى إذا بدأت فصول المناظرة ؛ استطاعوا أنْ ينتصروا للحق في هـذا الموضوع ، وأنْ يُذهبوا عنه ما أُلبِس فيه من الباطل ، فيضيئوا الطريق لِسالكيه ، ويُوضِّحوا الحق لِمُريديه .

ومما ينبغي على المعلم غرْسُه في نفوس طلابه أنْ يتبعوا أُسلوب المجادلة بالتي هي أحسن ، واتباع الذّوق الرفيع في الإنصات والحديث وإبداء الرأي ، وأنْ يترفّعوا عنْ رذائل الأقوال كالسِّباب وقبائح الأفعال كقطع الحديث عن المحاوِر بدون مُبرر ، وأنْ يتحلّوا بالصّفات الحميدة التي يدعوا إليها الحق ؛ والذين هم منْ جنوده المنافحين عنه ، وذلك لأجل أنْ يُعطوا صورة حسنة عنْ مبادئهم التي يدعون إليها ، كما يتضح في المقابل عَوَر مبادئ الآخر وبطلانها ؛ وذلك منْ خلال طريقة حديثه وأُسلوب حِواره .

الأدب الثاني : استحضار الدليل :

محاورة بلا دليل ، ما هي في الحقيقة إلا حديث الرُّكبان ، ولا تستحق أنْ يُطلق عليها مُسمّى نقاش علمي ، لأنها تفتقد إلى أبسط ضوابط الحوار العلمي ، ألا وهو استحضار الدليل ، وتقديمه للطرف الآخر ، للدلالة على صدقه ، وإظهار الموقف الضعيف للخصم الذي يفتقر الدليل ، وإذا خَلَت المحاورة من الأدلة والبراهين ، فإنه سيحلّ محلّ الدليل قطعاً الخصومة والجدال بغير علم ، وهذا ما قررنا شناعته وأوضحنا خطأه في الأدب السّابق، وقد نبّهت آيات العلم على أهمية استحضار الدليل ، ومنْ ذلك قوله تعالى عنْ نبيه عيسى ابن مريم عليه السلام ، حيث استدل الله عز وجل به على وقوع البعث الذي أنكره المشركون ، وبين أنه دليل قاطع وعلامة واضحة يُستدل بها على قُرْب يوم القيامة ، فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الزخرف : الآيتين ٦١ - ٦٢] .

قال الإمام الواحدي - رحمه الله تعالى - : " ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي : وإنّ عيسى ، ﴿ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ بنـزوله يُعلم قيام السّاعة ، ﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ ﴾ لا تشكُّوا فيها " (١) .

---

(١) الواحدي ، مرجع سابق ، ١٤١٥ هـ ، ج ٢ ، ص ٩٧٧ .

لقد احْتوت هاتان الآيتان العديد من المضامين التربوية ، ونذكر منها على سبيل الإجمال لا الحصر ، أنّه لا بدّ لكلّ منْ أراد الدخول في حوارٍ مع رأي مخالف لرأيه ، أنْ يستصحب معه ما يُثبت للآخر وللمستمع أنّ الحق كلّه معه ، وأنّ الباطل كلّه مع الخصم ، وذلك لأنّ الكلام المجرد مما يُعززه ويُقوي جانبه من الأدلة ، لا يَعْدو أنْ يكون كلاماً تُشتته ذرّات الهواء التي تنقله قبل أنْ يُلامس مسامع المحاور الآخر ، وذلك لتهافته وضعفه ، ولو كان الكلام الْمَقُول قوياً لوجد صاحبه من الحجج ما يُعضد جانبه ، ويُقوي شوكته في المحاورة .

ومنْ فوائد الآيتين الكريمتين كذلك أنّ على المحاور الذي أثبتت الأدلة صحة دَعْواه ، أنْ يدعو الطرف الآخر إلى ترك الجدال بلا علم ولا بينة تُؤيده ، وأنْ يحثه إلى اتباع الحق الذي جاء به ، وألا تأخُذه العزّة بالإثم والأنفة والغرور ، فتمنعه من الانصياع للحق ، وعلى الطرف الثاني أنْ ينقاد للحق على الفور بدون تراخٍ ، لأنّ في إصراره على الاستمرار بالتمسك برأيه المرجوح ، دلالة واضحة على تمكن الشيطان منْ نفسه ، وعلى ركونه إليه ، بالرغم منْ عداوته الظاهرة للإنسان ، ومنْ كان الشيطان نصيره ، فحريّ أنْ يكون هذا النصير أوّل منْ يخذلُه ، ويتخلّى عنه في وقت الأزمات ، ويجعل صاحبه في حَيْرة منْ أمره عندما لا يجد منْ ينصره إذا أُلجم بالحجج والبراهين ،كما يجعل منه شخصاً مُتذبذب التوَجُّه، فهو إنْ بقي على قوله الخاطئ فُضح أمرُه بين الناس ، وعُرف أنه من دعاة الضّلالة ، وإنْ أراد الرجوع إلى الحق ؛ فسيحول الشيطان بينه وبين الحق ، بإيهامه بأنّ الحق معه تارةً ، وتصعيب العودة إلى الحق وتعظيم أمر الرجوع في نفسه تارة أُخرى .

ومنْ هذا المنطلق ينبغي على أهل العلم استحضار الدليل في محاوراتهم مع الآخر ، والحذر كلّ الحذر من الوقوع في مصيدة الشيطان بترك الاستدلال بالأدلة ، بحجة أنّ قولهم مسموع ، أو أنّ رأْيهم مقبول ، أو أنّ كلامهم مأخوذ به عند الناس ، فكلّ تلك الاعتبارات ، لا مُقام لها على ساحة الحوار العلمي ، فالغلبة هناك لمنْ معه الدليل الواضح ، والهزيمة هنالك لمنْ كانت جُعبته خاوية منْ وضوح الدليل .

وعلى المربين أنْ يُربوا الناشئة على أنْ لا يُقحموا أنفسهم في مُغامرات الحوارات بدون التسلّح بسلاح الدليل والبرهان ، لأنّهم إنْ لم تكن معهم الأدلة ؛ انصرف الناس عنهم

وتركوا دعواهم ، واتجهوا إلى الرأي الآخر المقترن بالحجة ، وأخذوا به كفعل ، بعد أنْ قَبِلوه كَفِكْرٍ .

ومن الفوائد كذلك التزام الموضوعية والمصْداقية ، وذلك بذكر الأدلة الواضحة ، التي ليس فيها التباس ، أو غموض ، أو ضعف ووَهَن ، لأنَّ البُنيان إذا كان أساسُه ضعيفاً ، فإنه مُعرض للانهيار في أيّ وقت تهبّ عليه رِياح القوّة ، المنبعثة من الأدلة الصّريحة والواضحة والصّحيحة التي لا يثبت أمامها وَهَن الدليل ولا ضعف الحجة .

الأدب الثالث : طلب الدليل من الآخر :

يأْتي في المرحلة التالية لمرحلة استحضار الدليل ، أنْ يطلب المحاور – المستحضر للدليل – الدليلَ من الطرف الآخر ، ليثبت مدى صحة آرائه منْ عدمها ، ومنْ لم يستوفي هذا الشرط ويذكر الدليل الذي يعضد رأْيه ، فقد انكشف لمستمع الحوار عوَر مبدئه الخالي من الدليل .

لقد قدَّم القرآن الكريم حواراً موضوعياً رائعاً ، كان هدفه دفع ما كانت الجاهلية تزعمه منْ تحليل بعض الأنعام وتحريم البعض الآخر ؛ تقوّلاً على الله ﷻ وافتراءً عليه ، حيث يقول المولى تبارك وتعالى في هذا الصّدد : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٤٣] .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى – : " هذا بيانٌ لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرموا من الأنعام ، وجعلوها أجزاء وأنواعاً بحيرة وسائبة ووصيلة وحاماً ، وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها في الأنعام والزروع والثمار ، فبين تعالى أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشاً ، ثم بين أصناف الأنعام إلى غنم وهو بياض وهو الضأْن ، وسواد وهو المعز ذكره وأنثاه ، وإلى إبل ذكورها وإناثها ، وبقر كذلك ، وأنه تعالى لم يحرم شيئاً منْ ذلك ولا شيئاً منْ أولادها ، بلْ كلّها مخلوقة لبني آدم ، أكلاً وركوباً وحمولةً وحلباً ، وغير ذلك منْ وجوه المنافع ؛ كما قال : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٖۚ ...الآية ﴾ [سورة الزمر : الآية ٦] ، وقوله تعالى : ﴿ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ

عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ﴾ ردّ عليهم في قولهم : ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ ...الآية﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٣٩] ، وقوله تعالى : ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أي : أخبروني عنْ يقين كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه من البحيرة والسّائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك ؟ " (١) .

لقد وُظِّف الحوار في الآية السّابقة للكشف عنْ مزاعم المشركين ، حيث طلب الحق ﷻ من المشركين على لسان رسوله محمد ﷺ ، أنْ يأْتوا بمستند صحيح يعتمدون عليه في زعمهم بأنَّ الله حرم عليهم بعض الأزواج منْ بهيمة الأنعام ، وبنفس هذا الأسلوب في إدارة الحوار وطلب الدليل من الآخر لإثبات ادعائه ؛ يقول تعالى على لسان هؤلاء المشركين الذين ردوا على طلب الله تعالى منهم الدليل بعذر أقبح منْ ذنب ، ثم كرر تعالى عليهم طلبه بأنْ يظهروا الدليل الذي يُبين صدق ما ادَّعوه ، فقال تعالى عنْ هذا الحوار : ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٤٨] .

قال الإمام القرطبي – رحمه الله تعالى – : " والمعنى : لو شاء الله لأرسل إلى آبائنا رسولاً ، فنهاهم عن الشرك وعنْ تحريم ما أحلّ لهم فينتهوا ، فاتبعناهم على ذلك ، فردَّ الله عليهم ، فقال : ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ﴾ أي : أعندكم دليل على أنَّ هذا كذا ، ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في هذا القول ، ﴿وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ ، لتوهموا ضعفكم أنَّ لكم حجة " (٢) .

لقد كان هذا الحوار في قِمَّة الموضوعية والجدية في إظهار الحق ، حيث وجَّه تعالى النداء لهؤلاء المكابرين على الحق ، وطلب منهم ما يُدعم موقفهم في قضية تحريم بعض الأنواع منْ بهيمة الأنعام ، وحينما لم يملك هؤلاء الأدلة البيّنة على فعلهم ذلك ، احتجوا بالقدر على أفعالهم الشّنعاء ، وهنا يتكرر طلب الدليل منهم مرةً أُخرى ؛ لأنَّ احتجاجهم

---

(١) ابن كثير ، مرجع سابق ، ١٤٠١ هـ ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

(٢) القرطبي ، مرجع سابق ، ج ٧ ، ص ١٢٨ .

بالقدر ليس بدليل ، وليس من الصّواب أنْ يحتج المرء على فعل المعصية بالقدر ، وهكذا على المنافح عن الحق أنْ يفعل في مجادلة خصومه ، فيكون دَيْدنه معهم وموقفهم منهم على أساس الدليل ، فيظهر بُرهانه الذي يُوضح مدى صحة ما جاء به ، ثم يطلب منْ محاوريه أنْ يــأْتوا بالأدلة المؤكدة لصدقهم ، فإنِ انتفى هذا الشرط منهم كان ذلك نصراً للحق وأهله ، وهزيمة ساحقة يُمنى بها الباطل وأهله .

إنّ في هذا الحوار تربية عظيمة لأهل العلم بأنْ يَتَتَرَّسُوا بتُرس الــدليل ، ثم يُوجهــوا سهام الدليل إلى الخصم ، فإنه إنْ لم يكنْ معه دليل ؛ فقد أُصيب في مقتل ، ولهذا لَزِم أهــل العلم – علماء وطلبةً – أنْ يطلبوا الدليل من الطرف الآخر ، فإنْ كان دليلُه يتصف بالقوة والوجَاهة ، كان حريّاً على أهل العلم أنْ يقبلوا منه رأْيه الذي نصره الدليل ، وأما إنْ كان دليله ضعيفاً ، أو ليس بدليل في الأصل ، فعلى أهل العلم عندها أنْ يُفندوا أدلته ، ويُبينــوا ضعفها وسَقطها ، كي ما ينتبه الغافل منْ غفلته ، ويستيقظ المنخدع بأوهام الباطــل مــنْ سُباته ، ويتبصر الحقيقة التي كانت خافية عنه دهراً من الزمن ، فيعود إلى جادة الصّــواب ، ويتخلّى منْ متابعة آراءٍ باطلة ومعتقدات فاسدة .

ومنْ أمثلة هذا الحوار الموضوعي المؤسس على تفنيد حجج الخصم ، والإلحــاح في طلب الدليل من المجادل ، إنْ كان ثمة دليل ، قول الله تعــالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة الأحقاف : الآية ٤] .

قال العلامة السّعدي – رحمه الله تعالى – : " ﴿ قُلْ ﴾ لهؤلاء الذين أشــركوا بــالله أوثاناً وأنداداً ، لا تملك نفعاً ولا ضراً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، قل لهم – مبيناً عجز أوثانهم ، وأنها لا تستحق شيئاً مــن العبــادة – : ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ هل خلقوا منْ أجرام السّماوات والأرض شيئاً ؟ هل خلقوا جبالاً ؟ هل أجــروا أنهاراً ؟ هل نشروا حيواناً ؟ هل أنبتوا أشجاراً ؟ هل كان منهم معاونة على خلق شيء مــنْ ذلك ؟ لا شيء منْ ذلك ، بإقرارهم بأنفسهم ، فضلاً عنْ غيرهم ، فهذا دليل عقلي قــاطع على أنّ كلّ منْ سوى الله فعبادته باطلة ، ثم ذكر انتفاء الدليل النقلــي ، فقــال : ﴿ ٱئْتُونِي

بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ ﴾ الكتاب يدعو إلى الشرك ، ﴿ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ ﴾ موروث عن الرسل يأمر بذلك ، من المعلوم أنهم عاجزون أنْ يأتوا عنْ أحد من الرسل بدليل يدل على ذلـك ، بلْ نجزم ونتيقن أنّ جميع الرسل دعوا إلى توحيد ربهم ، ونهو عن الشرك به...فعُلِمَ أنّ جدال المشركين في شركهم غير مستندين فيه إلى برهان ولا دليل ،وإنما اعتمدوا على ظنون كاذبة، وآراء كاسدة ، وعقول فاسدة " [1] .

إنّ القوة في الحق مطلوبة ، والمنافحة عنه أمام مُناهضيه حاجة مُلحّة ، فإنه لو لم يجد الحق منْ ينصره لانْكمش أثره في الناس ، ولَظهر الباطل إثْر ذلك وشاع أمره بينهم ، إلا أنّ أهل الحق منْ ذَوِي الفِطَر الغَيُورة وفي مقدمتهم طلبة العلم في كلّ مكان وزمـان ، تـأْبى نفوسهم الزّكيّة استِشْراء خطر المبادئ الهدّامة بين طبقات المجتمع ، فيَهبُّون حينئـذ لنصـرة الحق ، لإخراج الناس منْ جور الباطل إلى عدل الحق .

ومنْ فوائد هذه الآية الكريمة استخدام كافة الوسائل الممكنة ، والكفيلة في تضـييق الخِناق على الخصم ، حتى لا يجد أمامه بدٌّ من التسليم والإذعان للحق ، فَحين يعجز المحاور عن الإتيان بالدليل النقلي الصّادر منْ وحي السّماء ، يُوجَّه له طلب آخر ، لاستحضار نوع آخر منْ أنواع الأدلة ، ألا وهو الدليل العقلي ، المبني على التأمل فيما حول الإنسـان مـنْ ذرّات الكون الفسيح ، وما يحكم ذلك كلّه منْ سنن كونية ثابتة ، فإنْ لم يستطع الاستدلال بدليل عقلي كذلك ، فهذا يدل على خِوَاء أفكاره ، وخُلوّها من المنهجية العلمية المسـتندة على الدليل ، وبالتالي يفقد هذا المحاور مصْداقيته أمام الناس ، ومنْ ثَمَّ لا يجـد لـه أتباعـاً يتبعونه عنْ قناعة ؛ إلا منْ كان على شاكلته .

ومنْ عظيم الفوائد المكنونة في هذه الآية الكريمة الحثُّ على الاسـتفادة مـنْ علـم التاريخ في مجادلة أهل الأهواء ؛ الذين يعملون على تَموِيه الحقائق ، وتلبيس الباطـل علـى الناس وتزيينه في أعينهم ، وذلك منْ خلال استدلالهم بوقائع تاريخية ماضية ، لا يعلم مدى صحة أسانيدها إلا خَوَاص أهل العلم ، فينبغي على محاوِر الحق أنْ يعمل على تفعيل معرفته بالتاريخ ، سواءً كان ذلك منْ جانب المعرفة بتاريخ نشوء فكرة محاوِر الباطل ، ومَنْ قامت على أكتافهم تلك الفكرة وما أحوالهم ، أو كانت منْ جانب النظر في أسانيد تلك الوقـائع

(1) السعدي ، مرجع سابق ، ١٤١٧ هـ ، ص ٧٢٤ (باختصار) .

التاريخية ، فقد تكون تلك القصة مكذوبة على التاريخ نفسه ، ولربما استدل الطرف الآخر بدليل ضاربةٌ جذوره في أعماق التاريخ ، فمنْ لم يكن له دراية دقيقة بذلك الدليل التاريخي، لم يستطع دحضه والرد عليه ، وذلك لجهله بحقيقة تاريخ الدليل وتاريخ أنصاره .

وما قيل في أهمية المعرفة بعلم التاريخ ؛ ينطبق بالقياس على ضرورة الاضطلاع والإلمام – ولو بصورة جزئية – بسائر العلوم ، لأنها تساعد المحاور في دفع الشُّبه الدينية والتاريخية والجغرافية...التي يبثّها فريق الباطل ، فيظهر بجلاءٍ – بعد تمحيصها وتدقيقها– وجْه الباطل القاتم المظلم ، والذي كانت تُغطيه وتُزينه تلك الشُّبه المختلفة ، والتي قام على تفنيدها وإزالتها نخبة منْ أهل العلم البارِعين في تخصصاتهم ،والمضْطلعين على التخصصات الأخرى .

الأدب الرابع : الأسلوب الأمثل في التعامل مع المتعنت :

إنه وبعد أنْ يعرض مُناصر الحق دليله ، ويُوضح براهينه التي تُثبت للمراقب صحة مبدأه ، وبعد أنْ يطلب منْ مُناصر الباطل أنْ يعرض دليله ويُبين حُججه التي يُدافع بها عنْ مذهبه ، بعد ذلك كلّه يُعلم الحق من الباطل ، وذلك بانخذال فريق الباطل عن القدرة في إحضار دليله وما ذاك إلا لأنّ الباطل إذا ظهر وفشا في مجتمع ما ؛ فإنّ انتشاره لا يعني أنه قام على دليل وبينة مُقنعة ، وإنما يدلّ على اغْترار عدد لا يُستَهان به منْ أفراد المجمع بالشُّبه التي يقوم عليها الباطل ، ويُدَنْدِن لها أتباعه الناعقون له ، ثم إنَّه وفي اللحظات الأخيرة والحاسمة منْ هذا الحوار العلمي الهادف ؛ قد يصدر ممن انهزم مبدأه وانْتَكس مذهبه وانْخَنَست شُبَه وانْطفأَت شُهُبُه ؛ قد يقوم بتوجيه آخر سِهامه المسْمومة ، على أمل يائسٍ بائسٍ ، ليصيب بها المنتصر ، ويرميه بآخر حبائله ؛ كي ما يُطوّق بها عُنُقَ الحق ، ويحول بينه وبين حَسْم المحاورة لصالحه ، فيتقدم الباطل المنهزم إلى الحق المنتصر ،بمحاولة أخيرة ويُوجه له سؤالاً ؛ ليس الهدف منه التعليم ، وإنما الهدف منه التعنت عنْ متابعة الحق الذي انتصر في جميع جولات المحاورة ، ويقصد كذلك إفحام الحق وإظهاره في صورة لا يُحسد عليها ، فينفر عنه منْ كان متابعاً له ويتوقف منْ همَّ بالانضمام إلى فريق الحق عن انضمامه ، رَيْثما يتبين له الحق جلياً واضحاً أبْلجاً ، كوضوح الشّمس في رابعة النهار .

لقد بينت آية كريمة منْ آيات العلم في سورة الإسراء ؛ الأسلوب الأمثل والطريق الأنجع في التعامل مع السّائل المتعنت ، وذلك منْ خلال حوار قصير ، يشتمل على سؤال

مُعجز وإجابة مُفحمة ونتيجة مُبْكتة ، حيث يقــول ﷺ عـــنْ هـــذه الخِصَـــال الثلاثـــة :
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [سورة الإسراء : الآية ٨٥] .

قال الإمام الواحدي – رحمه الله تعالى – عنْ سبب نزول هذه الآية : " عنْ عبد الله قال : إني لَمَع رسول الله في حرث بالمدينة ، وهو متكئ على عسيب ، فمر بنا نـــاس مـــن اليهود ، فقالوا : سلوه عن الروح ، فقال بعضهم : لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون ، فأتاه نفر منهم فقالوا له : يا أبا القاسم ما تقول في الروح ؟ فسكت ثم قام فأمسك بيده علـــى جبهته ، فعرفت أنه ينـــزل عليه ، فأنزل الله عليه : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾...وقال عكرمة عن ابن عباس : قالت قـــريش لليهـــود : أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل ، فقالوا : سلوه عن الروح ، فنـــزلت هذه الآية " (١) .

وهكذا يتضح لنا مما سبق أنَّ السُّؤال عن الروح لم يكنْ دافعه البحث عن المعرفـــة ، وإنما كان لأجلّ التعنّت ، ومحاولة البحث عما يتصورون أنه يُوقع النبي ﷺ في مأزق حَرِج ؛ فلعلهم يظفرون منه ولو بسكوت وعدم إجابة ، فخيَّب الله تعالى مَسْـــعاهم ، وذكّـــرهم – ومنْ هم على نفس الشَّاكلة – بحقيقة أنفسهم وقصور علمهم ، حيث أورد في " هـــذه الآية ما يزجر الخائضين في شأن الروح المتكلفين لبيان ماهيته وإيضاح حقيقته أبْلغ زجـــر ، ويردعهم أعظم ردع ، وقد أطالوا المقال في هذا البحث بما لا يتم له المقام ، وغالبه بلْ كلُّه من الفضول الذي لا يأْتي بنفع في دين ولا دنيا ، وقد حكى بعـــض المحققـــين أنَّ أقـــوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثمانية عشر ومائة قول ، فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع ، بعد أنْ علموا أنَّ الله سبحانه قد استأْثر بعلمه ولم يُطلع عليه أنبياءه ، ولا أذن لهم بالسّؤال عنه ، فيالله العجب ! حيث تبلغ أقوال أهل الفضول إلى هذا الحدّ الذي لم تبلغه ولا بعضه في غير هذه المسألة مما أذن الله بالكلام فيه ، ولم يستأْثر بعلمه " (٢) .

وكما أنَّ الله تعالى قد تولّى بنفسه الردّ على اليهود المتعنتين في الآية السّابقة ؛ فكذلك انفرد ﷺ بالرد عليهم وعلى إخوانهم في التعنت في قبول الحق ، وهم النصارى منْ

(١) الواحدي ، مرجع سابق ، د.ت ، ص ٢٩٩ (باختصار) .

(٢) الشوكاني ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٢٥٤ .

أهل نجران ، الذين جادلوا النبي ﷺ في انتماء إبراهيم عليه السلام لهم ، فكلّ فريق منهم يدّعي أنّ إبراهيم عليه السلام كان منتمياً لهم ، فاليهود تزعم أنّ إبراهيم عليه السلام كان منتمياً إلى الملّة اليهودية ، والنصارى كذلك ، فرد الله عليهم بأوْضح بيان ، وبين لهم أنّ إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً و لم يكنْ يهودياً ولا نصرانياً ، ثم بعد ذلك وبّخهم ﷺ على فعلتهم تلك بقوله : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ٦٦] .

جاء في تفسير الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - عن ابن عباس - رضي الله عنهما قوله : " اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ ، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً ، وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانياً... وأخرج ابن أبي حاتم عن السّدي في الآية قال : أما الذي لهم به علم فما حَرُم عليهم وما أُمروا به ، وأما الذي ليس لهم به علم فشأن إبراهيم ، وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن في الآية قال : يعذر منْ حاج بعلم ، ولا يعذر منْ حاج بالجهل " (١) .

وبذلك يُعلم منْ هذه الآية الكريمة والتي قبلها قُبح المِراء ؛ وهو " الجدال فيما لا طائل منه ، فإنّ الجدال الذي لا يُراد منه الوصول إلى حق ، ولا يكون على سبيل البحث عنْ شيء واضح ، وإنما يقصد منه مجرد الجدل ، أو يقصد منه تعجيز الآخرين وإفحامهم منْ غير سبب شرعي ، أو يقصد به التشهير والإزعاج لقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشّرف والتشدق عند الناس ، وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس ، فهذا منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله " (٢) .

وبنفس الردّ القامع والأسلوب الرادع وجّه ﷺ ردّه على منْ مالَ قلبه لاتباع الحق شيئاً قليلاً ، إلا أنّ حبُّه للباطل وأهله قد غلبه ، ومنعه من الانقياد للحق ، وكان ذلك في حق الوليد بن المغيرة ؛ الذي حاور النبي ﷺ عنْ حقيقة ما جاء به من الدّين ، وبعد أنْ عرض علي النبي ﷺ جملة من الإغراءات ، والتي قُوبلت جميعها بالرفض بالنبوي ، بعد ذلك قرأ النبي ﷺ على الوليد طرفاً منْ سورة فصلت ، فكأنه بعد أنْ سمع القول الحق من النبي

---

(١) السيوطي ، مرجع سابق ، ١٩٩٣ م ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ (باختصار) .

(٢) الياسين ، جاسم بن محمد بن مهلهل ، العلم بين يدي العالم والمتعلّم ، الكويت ، دار الدعوة ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ ، ص ٣٦ .

الحق ﷺ ؛ كاد قلبه في ختام هذا الحوار أنْ يُذعن لرسالة الحق ، إلا أنه وبتأثير منْ شياطين الإنس والجنّ لم يبعد كثيراً عن الباطل حتى عاد إليه مرة أُخرى ، وانتكس قلبه في ظلمات الشرك ، بعد أنْ كاد أنْ يتطهر بنور الإسلام ؛ فقال تعالى عنْ ذلك : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [سورة النجم : الآيات ٣٣ - ٤١] .

قال الإمام الواحدي - رحمه الله تعالى - : " ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴾ أعرض عن الايمان ، يعني : الوليد بن المغيرة ، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ ، فعيره بعض المشركين على ذلك ، فقال : إني أخشى عذاب الله ، فضمن له إنْ هو أعطاه شيئاً منْ ماله ورجع إلى شركه أنْ يتحمل عنه عذاب الله ، فرجع في الشرك وأعطى صاحبه الضامن منْ بعض ما كان ضمن له ومنعه الباقي ، وذلك قوله : ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴾ أي : قطع ذلك ومنعه ﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴾ ما غاب عنه منْ أمر الآخرة حتى علم أنَّ غيره يحمل العذاب ، ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ أسفار التوراة ، وصحف ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ أكمل ما أُمر به وأتمه ، ثم بين ذلك فقال : ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي : لا تُؤخذ نفس بمأثم غيرها، ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ : عمل لآخرته ، ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ ﴾ عمله ، ﴿ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ : في ميزانه منْ خير وشر، ﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ﴾ يجزى عليه ﴿ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ الأتم " (١) .

لقد كانت تلك المناورة من الوليد في موقفه من الإسلام ؛ تُوهم المراقب لها بأنَّ الوليد إنما عاد مرةً أُخرى إلى كفره وثباته عليه لأجل اقتناعه بصحة ما ثبت عليه وخطأ ما كاد أنْ يتحوّل إليه ، ولا شك أنَّ في ذلك الفعل تضليلٌ للرأي العام ، الذي يُراقب نتائج المحاورة عنْ بعد ، ومنْ ثَمّ يبني على تلك النتائج القرار الملائم لها ، وعندها فإنَّ التصرف السّليم في مثل ذلك الموقف ، أنْ لا يُسكت عليه ، بلْ لا بدّ أنْ يُعرّى موقف ذلك المناور أمام الملأ ، وذلك بذكر الأدلة القاطعة لكلّ الطرق التي يسلكها مناظر الباطل ، والفاضحة

---

(١) الواحدي ، مرجع سابق ، ١٤١٥ هـ ، ج ٢ ، ص ١٠٤٢ - ١٠٤٣ .

لِعَوره والكاشفة لخطئه ، وذلك مستقىً منْ فعل المولى – تبارك وتعالى – مع الوليد ؛ فيُقال لذلك المناور أثبت بالدليل صحة موقفك تجاه الحق ، وإنْ لم تفعل ؛ فأنت إذاً جاهل بحقيقة الحق الذي أعرضت عنْ قبوله ، وليس لديك قناعة حقيقية بترك الحق ، وإنما هي الأهواء التي كانت تقف وراء ذلك العمل – بلْ وزيادة على ذلك – وأنت مُصر على التمسك بـالرأي الخاطئ ، الذي يتعارض مع أصول الحق المتفق مع أبسط قواعد العلم وبدهيات التعلّم .

فعندئذ يزول اللبس الذي قد علق بذهن المتابع إزاء مناورة محاور الباطل ، أو على الأقل يتوقف عنْ إبداء رأيه النهائي حول المحق والمصيب في هذه المحاورة ، ريْثما يتبين له بجلاء أيّ الفريقين أحق بالحق أنْ يكون معه ، وأيهما أوْلى بالاتباع منْ غيره .

لقد كان القرآن الكريم في غاية العلمية في حواره مع الآخر ، فقد ذكّر تعالى اليهود في الآية الأولى والنصارى في الآية الثانية وذلك المشرك في الآية الثالثة – لما رأى منهم الامتناع عنْ قبول الحق – بضآلة علمهم وجهلهم وخواء عقولهم ، وإذا كان هذا حالُهم ؛ فإنه لا يليق بهم المجادلة فيما لا علم لهم به ، ومنْ ثمَّ التعنت على الحق الذي يجهلونه ، بلْ الأجدر بهم لما تأكّد لهم قصور علمهم أنْ يقبلوا الحق وألا يرفضوا الانصياع له ، وألا يظنّ أحد منهم أنَّ علمه القاصر أقوى منْ علم الحق .

إنَّ التعنت على الحق ورفض الانقياد له ، بعد ظهور أماراته بحججه وبراهينه ، لَيُدلّ دلالةً واضحة على مدى تغلغل الحسد في نفس المتصف بهذا السّلوك ، وما نجم عنْ ذلك من امتناع صاحبه عن الاعتراف بخطئه ، ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ فحسب ، بلْ وصل بصاحبه إلى أبْعد منْ ذلك حيث جعل شُغْلَه الشّاغل أنْ يبحث عنْ مواطن القصور التي لا يكاد يخلو منها أحد ، واستغلالها استغلالاً سيئاً ، بهدف إيقاف تقدم الحق وتغيير وِجهته ، فيشغله بأسئلة لا فائدة منْ معرفة الإجابة عليها ، بلْ ربما تزيد الإجابة حيرةً لدى السّائل ، أكبر منْ حيرته قبل سماع الإجابة .

إنَّ صفة التعنت صفة مقيتة ، وخلق ذميم ، لا ينبغي على أهل العلم أنْ تكون فيهم، بلْ عليهم أنْ يُوطّنوا أنفسهم ويُدربوا طلابهم على الرجوع إلى الحق مباشرة ، دونما أيّ تردد أو تلعثم ، فهو أسلم الطرق وأنْبل الأخلاق ، وهو منْ أشدّ ما يكون على نفس الإنسان ؛ أنْ يُظهر للآخرين خطأ توجهاته التي كان يدعو إليها ويُنافح عنها ، إلا أنه وفي نفس الوقت

يُعتبر منْ أشد المحكّات التي يظهر منْ خلالها مدى ما بلغه ذلك العائد إلى الحق من التواضع ، بلْ إنَّ أعظم سِمَة منْ سِمات التواضع أنْ لا يقف المرء في وجْه الحق معانداً ، بلْ عليه أنْ يكون له تابعاً ، وعنه مُدافعاً ، وإليه داعياً ، وبه مُعلماً .

وخلاصة القول وختام الحديث عن الحوار ؛ نقول إنَّ الحوار الهادف البنَّاء يسوق المتناظرَيْن إلى إعْمال القدرات العقلية بكافة مستوياتها ، وفي مقدمتها قدرة الإنسان على التفكير المركز وسرعة البديهة في نفس الوقت ، وهي " منْ أسمى العمليات العقلية الذكية التي تسعى التربية إلى تقويتها ، لأنها المحرك الأكيد والقوي لجميع الفاعليات الإدراكية للإنسان ، والتربية في أبسط مبادئها ليست حشواً للذهن بالمعلومات ، أو حفظ الأفكار ، وإنما التربية شحذ للمواهب الفكرية في الإنسان نتيجة خبرات وتجارب وأفكار متفاعلة جميعاً في نشاطه التفكيري " (١) .

ومنْ فوائد الحوار كذلك أنه يثير " مزيداً من الانتباه واليقظة الدراسية في حلقة العلم أو غرفة الدراسة " (٢) ، وهذا يتم عند العمل بالطريقة الحوارية المبنية على إلقاء المعلم للسّؤال ودعوة الطلبة وحثهم للإجابة على ما طُرح على مسامعهم منْ أسئلة تعليمية ، ومحاولة تفعيلها منْ قِبل المعلم ، وذلك بتشجيعهم بكافة الحوافز المادية والمعنوية ، وعدم الاعتماد في شرح الدرس على طريقة الإلقاء ، تلك الطريقة التقليدية العقيمة ، التي تُورث الملل وتُسبب السَّآمة ، وبالتالي السَّرَحان وشرود الذهن لدى طلبة العلم ، بخلاف طريقة الحوار التي تجعل من الفصل كخلية نحلٍ متفاعلة بين جميع أفرادها ، فهذا يسأل وهذا يسمع وذاك يجيب ، ولأهمية استخدام طريقة الحوار في حلقة الدرس ؛ فقد كان " منْ طرائقه ﷺ التربوية إقامة الحوار والنقاش ، وطرح الأسئلة ، وإصلاح المفاهيم الخاطئة بين الناس ، وتسييرها في طريقة صحيحة " (٣) .

---

(١) الهاشمي ، عبد الحميد ، الرسول العربي المربي : إنما بعثت معلماً ، دمشق ، دار الثقافة للجميع ، ط١ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ٢٠٢.

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٠٣ .

(٣) المولوي ، محمد سعيد ، المربي محمد ﷺ : التربية النبوية - شمولها - أهدافها - طرائقها ، الكويت ، مكتبة دار العروبة ، ط ٣ ، ١٤٠٩هـ ، ص ١٢١.

وعلى ذلك فينبغي على أهل العلم الاهتمام بأسلوب الحوار اهتماماً بالغاً ، واعتباره الأسلوب الأمثل في تعاملهم مع طلابهم ، ومحاولة الاستفادة منه في تنمية القدرات العقلية لدى الطلاب ، وتنشيطها بإثارة الحوار الهادف في حلقة الدرس ، وذلك عبر إلقاء الأسئلة المتنوعة ، والتي منْ شأْنها تحريك مهارات الطلاب المختلفة نحو التفكير في إجابة ما سُئل عنه، وعلى المعلم تحريك دفّة الحوار إلى الغاية المنشودة ؛ وهي الرّفع منْ مستوى القدرات المختلفة التي يتمتع بها الطلاب إلى أعلى مستوياتها ، ومنْ ثمّ الاستفادة منها في اكتشاف المواهب المكنونة في دَوَاخلهم ، وتوجيه كلّ واحد منهم إلى المجال الذي قد يُبدع فيه أكثر منْ غيره ، وبالتالي يصبح أفراد المجتمع أفراداً منتجين ومبدعين ، كلّ بحسب ما يتمتع به منْ مقدرات عقلية أو جسمية ... الخ .

خلاصة البحث :

أولاً : الخاتمة .

ثانياً : التوصيات .

ثالثاً : المقترحات .

أولاً : الخاتمة :

توصل الباحث في نهاية بحثه عن المضامين التربوية المكنونة في آيات العلم القرآنية إلى عدد كبير من المضامين التربوية القيّمة ، والتي بتطبيقها يرتقي مستوى أداء النظام التربوي والتعليمي بخاصة ، وسائر الأنظمة التي تُدير مناحي الحياة المختلفة كالنظام الاقتصادي والصّحي ... الخ ، كما أنه وبتفعيلها تنتفع بها كافة شرائح المجتمع على اختلاف أطْيافها ، وتصبح الأمة حينها في وضعٍ يُمكنها مرةً أُخرى منْ أخذ زمام القيادة وانتزاعه بقوة العلم من الأمم الأُخرى التي قادت العالم بعلم القوة .

وفيما يلي عرض مُوجز لتلك المضامين التي تحدثت عنها الصّفحات السّابقة :

المضامين التربوية في الفصل الثاني :

١) أنَّ الإسلام هو العلم ، والعلم هو الإسلام ، ولا حياة لأحدهما بدون الآخر ، فهما وجْهان لعملة واحدة ، لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، فالعلم بدون الإسلام هو علم مادي بحت، لا يُركز إلا على جوانب المادة ، وإشباع رغبات الجسم على حساب غذاء الروح ، وتغليب الدنيا على الآخرة ، والإسلام إذا نُزع منه العلم ، رأيت مُعتنقه يُغلّب جانب الرّوحانيات كقضايا الإيمان بالغيب ، ويغفل جانب التطبيق الذي يعتمد بالدرجة الأولى على العلم ، وتتعلّق روحه بالآخرة وينسى نصيبه من الدنيا .

إذاً فلا غنى للعلم عن الإسلام ، ولا يكمل الإسلام إلا بالعلم النافع .

٢) الإسلام يدعو إلى طلب العلم بشتى صنوفه النافعة ، وبصورة متوازنة مُتكاملة ، فهو لا يُغلّب نوعاً على حساب نوع ، حيث أعطى الإسلام كلّ ذي حق حقه ، كما أنَّ العلم النافع في المقابل يدعو إلى اعتناق الإسلام وتطبيق تشريعاته . إذاً فالإسلام والعلم النافع أخَوان توْأمان لا يمكن بأيّ حال من الأحوال فصل أحدهما عن الآخر .

٣) أنَّ القرآن الكريم قد حَوَى بين دفّتيه أُصول العلوم المختلفة الدينية والدنيوية ، وهو بذلك يُشكّل الركيزة الرئيسة والمرجعية الأصلية لكلّ علم نافع ، سواء كان منْ علوم الشّريعة أم منْ علوم الطبيعة .

٤) أنّ لفظة العلم في القرآن الكريم تتمتع بمعانٍ عدة ، وهذا يعني مدى عِظم هذه الكلمة ، واتساع رقعتها اللغوية والاصطلاحية ، وشمولها لجوانب مختلفة ، وما يعنيه ذلك منْ ثقلها في ميزان اللغة عند أهل اللغة .

٥) أنه ينبغي الوقوف على حقيقة الفرق بين العلم والمعرفة ، وألا يُخلط بينهما ، ولعلّ أظهر فرق يُبين اختلافهما ؛ كَوْن المعرفة لا بدّ وأنْ تكون مسبوقة بجهل ، وأمّا العلم فلا يشترط لحصوله أنْ يكون مسبوقاً بجهل ، بدليل أنّ الله تعالى يُوصف بالعلم ولا يُوصف بالمعرفة ، ومنْ أبرز الفروق بينهما كذلك أنّ المعرفة ترتبط بذات الشيء وكُنْهِهِ ، وأما العلم فيرتبط بصفاته وأحواله .

٦) أنّ للعلم وسائل يتم الحصول عليه بها ، وهي :

أولاً : الوحي ؛ المتمثل في الكتاب والسّنة .

ثانياً : العقل والحواس ؛ ويكْمن عملهما في التفكُّر فيما حول الإنسان منْ مخلوقات حيّة وجمادات مُسخّرَة ، وظواهر كونية تحكمها سُنن إلهية ، ومحاولة الاستفادة منْ معرفة ذلك كلّه في تسخير ما في الكون منْ مخلوقات لخدمة الإنسان ، والتعرف على أفضل السُّبل لاستخدامها الاستخدام الأمثل .

المضامين التربوية في الفصل الثالث :

٧) لأهل العلم في الإسلام مكانة متميزة ومنزلة مرموقة بين أفراد الأمة الإسلامية ، فهمُ الذين يحملون الدّين بحملهمُ العلم ، وهم الذين يُدافعون عن العلم بمدافعتهم عن الدّين .

٨) وفي المقابل فإنّ على العالم مسؤولية عظيمة تجاه العلم الذي يحمله ، سواءً كان عملاً به أو نشراً له ، فالعالم الربّاني هو ذلك العالم الذي ارْتسم عِلْمه على جوارحه ، وطبّق قوله بفعله ، كما أنه يسعى جاهداً إلى نشر نور العلم بين أفراد مجتمعه بشتى الوسائل الممكنة.

٩) أنّ العلم ينقسم إلى أقسام عدة بحسب نوع القاعدة المعتمَدة في التصنيف ، فمنْ حيث الشّمول ؛ ينقسم العلم إلى قسمين :

- علم الله تعالى المطلق : الذي وسع علمه كلّ شيء منْ خلقه ؛ ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة ، لا يخفى عليه دبيب النملة السّوداء على الصّخرة الصّماء في الليلة الظلماء .

- علم البشر النسبي : الذي لا يستطيع تجاوز حدود بشريَّته ، ونطاق إنسانيَّته ؛ فالإنسان قاصرٌ عقلُهُ ؛ محدودٌ علمُهُ ، كما أنّ قدراته المختلفة لا تستطيع اختراق تلك الحقيقة وتخطيها إلى أبعد منها ، لأنها لا تستطيع الخروج عن المسار الذي شاء الله تعالى أنْ تسير فيه و لم يشأْ أنْ تخرج عنه .

وأمّا منْ حيث المحتوى ؛ فينقسم العلم إلى قسمين ، وهما :

- العلم النافع : وهو كلّ ما ترتّب على تعلُّمه والعمل به منفعة ، سواءً كان علماً دينياً أم دُنيوياً .
- العلم الضّار : وهو الذي يلحق الإنسان بتعلُّمه والعمل به ضرر على دينه ، وعلى دُنياه وأُخراه .

١٠) أنّ العلم بحرٌ لا شاطئ له ، وبالتالي لا يمكن لأحد من البشر أنْ يحويَ بين جنبيه علم الوجود كلّه ، أو أنْ يدّعي لنفسه ذلك ، ومنْ صدر منه مثل هذا القول ؛ فقد خالف الصّواب ، وحاد عن الحق ، وأدخل نفسه في دهاليز الجهل ، لأنّ من ادّعى لنفسه الكمال فقد نقص .

١١) أنّ العبرة في التفضيل بين الناس بالعلم ، وأنّ أهل العلم هم المقدّمون على غيرهم في المناصب العامة والوظائف الخاصة ، ولهم كذلك الأولوية في تولي زمام القيادة لغيرهم ، لأنّ عندهم من المؤهلات العلمية ما يُمكنهم من القيام بهذه الأعمال أكمل قيام .

١٢) أنّ على الباحثين أنْ يلتزموا الموضوعية ويتخلّقوا بالمصداقية حِيال ما يطرحونه منْ أفكار ورُؤى ، وألا يُسقطوا توجهاتهم على حقيقة الواقع ، بلْ إنّ عليهم نقل صورة الواقع نقلاً شفّافاً ، خالياً من التدخلات الذاتية والإسقاطات الشخصية على ما يُلاحظونه ، كما أنهم قد يلجئون فيما يكتبونه إلى الحاجة إلى الاقتباس منْ نُقول الغير ، وعندها فإنّ الأمانة العلمية تحتّم عليهم دينياً وذوقياً أنْ يُسند كلّ قول إلى قائله .

المضامين التربوية في الفصل الرابع :

١٣) إنّ العلم بلا عمل كالمال المكنوز الذي لا ينتفع منه صاحبه ولا ينتفع منه غيره ، فالعلم النافع حقاً ؛ هو ذلك العلم الذي يظهر أثره على سلوك حامله قولاً وفعلاً ، كما يتنعّم الآخرون بظلاله الهانئة وثماره اليانعة ؛ وذلك بالأخذ عن العلماء العلم والعمل سوياً ، حيث يتجلّى عِلمُهم في أقوالهم ، وعملهم في أخلاقهم ومعاملاتهم .

١٤) والعمل بلا علم ما هو في حقيقة الأمر إلا جهل محض ، يدلّ على مدى جهل فاعله الذي ارْتضى منْ نفسه أنْ يكون ناعقاً لأصوات الآخرين ، وإمّعةً لصدى أفعالهم .

١٥) يتبع مسؤولية العمل بالعلم أنْ ينشر العالم علمه بين الناس ، وألا يضنّ به عن الآخرين ، بلْ عليه أنْ يبذل وُسْعه في إخراج أُمته منْ غياهب الجهل إلى أنوار العلم .

١٦) إنّ منْ أدرك مسؤولية إيصال العلم للآخرين ؛ فعليه أنْ يبدأ أولاً بأقرب الناس إليه ؛ وهم الوالدان بالدرجة الأولى ، ثم الأخوة والزوجة والأبناء ثم الأقرب فالأقرب .

١٧) أنّ على العالم أنْ لا يكترث بما قد يُواجهه منْ صِعاب في طريق نشر العلم ، فهذا دأْب الأنبياء - عليهم الصّلاة والسّلام - والصّالحين منْ قبله في دَعَواهم الإصلاحية لأقوامهم .

١٨) كما أنّ عليه أنْ يقْدر لكلّ عقبة قدرها ؛ لكي يتعامل مع كلّ نوع منها بحسب أهميتها وخطورتها على الفرد والأمة ، فلكلّ نوع منها طريقة في التعامل مع أهلها ، قد لا يكون استخدامها مُجدياً مع نوع آخر منْ تلك العقبات ، كما أنه قد يكون من الضروري تقديم بعضها في العلاج على البعض الآخر ؛ وذلك لأهمية تقديمها على غيرها، ولأنّ وجودها قد يُشكّل عائقاً في علاج الصِّعاب الأُخرى إذا اجتمعت في إنسان واحد.

١٩) في أغلب الأحيان يستطيع العالم - بإذن الله تعالى - أنْ يتجاوز تلك العقاب بمقابلتها بسيلٍ جارف من الصّبر واتباع الحِكمة والحِنكة في التعامل معها ، والتحمل على ما يُلاقيه جرّاء اندماجه في المجتمع ونزوله إلى الميدان ، والتعامل مع الآخرين بلِين الجانب وحُسن المعشر وطِيب الكلام .

٢٠) لا بدّ على العالم أنْ يعتمد في دعوته للآخرين على منهجية علمية واضحة ، معلومة الأسس ، مبنية على قواعد راسخة ، فهو :

- لا يعتمد على الأوهام والظنون في نفسه ودعوته للغير ؛ كما أنه لا يقبل إطلاقاً أنْ يعتمد عليها غيرُهُ فعلاً أو تعليماً أو حواراً .
- وهو في الوقت ذاته يعتمد على العلم اليقين مع نفسه ومع الآخرين ، يقيناً ينطلق منْ معرفة النصوص الشّرعية ، والاضطلاع على الأدلة العقلية ، ويعتمد على ما تُدركه حواسّه مما حوله ، لا ما تمليه عليه عادات الآباء من الأساطير والخرافة .

٢١) التحذير منْ مغبة الوقوع في التقليد الأعمى ، الغير مبني على الدليل والبرهان والقناعة الذاتية بصحة ما يُتّبع ، وإنما هي الأهواء والعادات والتقاليد المسيطرة على كثير من الناس ، والتي جعلت منْ حالهم معها ، أشبه ما يكون بحال قُطعان الغنم ، التي تسير مع الراعي حيث يريد ، بدون أنْ يكون لهم حُرية التفكير ، وبالتالي حرمانهم منْ حُرية الرأي ، ومنْ ثَمَّ منعهم منْ حُرية التطبيق المنطلقة من القناعة الداخلية بالإقدام أو الإحجام ، وهي الحرية ذاتها التي يُنادي بها الإسلام ، والذي جعل كلّ إنسان مسؤولاً عنْ تصرفاته مسؤولية تامة ، الأمر الذي يترتب عليها الرقابة الشّديدة والعناية الفائقة لكلّ ما يصدر من الإنسان منْ قول أو فعل ؛ وذلك حتى لا يقع في عواقب وخيمة ؛ قد لا تُحمد عقباها ، وعندها فلنْ تنفعه تلك العادات ولا التقاليد ولا منْ ينعق لها .

المضامين التربوية في الفصل الخامس :

٢٢) وردت في آيات العلم القرآنية جملة من الأخلاق التي ينبغي على أهل العلم الاتصاف بها ، وتربية طلابهم عليها ، وهي :

- الإخلاص لله ﷻ في طلب العلم وابتغاء مرضاته ، وعدم القصد منْ طلبه مُراءاة الناس والتسمّع به ، فإنّ ذلك أدعى إلى ذهاب ثمرة العلم عنْ صاحبه ، وعدم انتفاعه منه ، وبالأحرى عدم قبول الغير لعلمه ؛ لأنه غير منتفع منه في ذاته .
- البعد عن الغرور بالعلم وإرجاعه إلى النفس دون الله تعالى ؛ فإنه مظِنّة سخط الله تعالى على فاعله ، إذْ لم يعترف بفضل الله تعالى عليه وينسب العلم إلى واهبه ﷻ .
- الاهتمام بمنحة الحفظ والعمل على تنميتها بشتى الطرق المتاحة ؛ ويأْتي في مقدمتها الديمومة على طاعة الله تعالى وترك معاصيه ، وبيان أثره الإيجابي في نجاح العملية

التعليمية ، والحذر منْ محنة النسيان وأسبابه ؛ ويأتي على رأسها مُواقعة الخطايا والدّنايا مع الإصرار عليها ، وما يترتب على ذلك منْ تردّي مستوى النتائج المتوخاة منْ عملية التعليم .

- التميز في إنجاز المهمات الموكلة إليهم بعامة ، وخاصة ما يُوصف منها بالصّعبة والشّاقة ، والنجاح الباهر في أدائها على أكمل وجهٍ وأفضل صورة .
- التحلّي بصفة التواضع ، وهي منْ أخلاق الأنبياء - عليهم الصّلاة والسّلام - وهي مَدْعاة لحلول رضا المولى تبارك وتعالى على العالم المتواضع ، وبالتالي إكرامه لذلك العالم بفتح مزيد منْ أبواب العلم له ،كما أنّ التواضع في الجانب الآخر يُكسبه محبة الآخرين له ، وقبولهم لعلمه ، حيث يزدادون له احتراماً وتقديراً وانقياداً ؛ كلما ازْداد لهم تذللاً وتواضعاً .
- القوة في الصّدع بقول الحق ، والجرأة في إعلانه بين الناس ، وإزالة اللبس العالق به ، وتبيانه وتعليمه للغير ، وعدم الخوف منْ لومة لائم ، أو نعقة ناعق .
- التمسك بالحق تحت أيّ ظرف كان ، مهما كان عدد مُتبعيه ، لأنّ الثبات على الحق والدفاع عنه ؛ سبب كافٍ لِلَفْت أنظار الناس إليه ، وتحريك أسئلة الاستفهام في دَوَاخلهم ،والتي قد تكون في حدّ ذاتها نقطة تحوّل لصاحبها من الباطل صوب الحق.
- اللّين في التعامل مع طالب العلم والرفق به ، وخفض جناح المعاملة له ، لأنه حينما يأخذ العلم عن العالم ، فإنه لا يقتصر على أخذ العلم منه فحسب ، بل يستقي معه الأدب والأخلاق والمعاملة الحسنة ؛ التي اسْتشفّها منْ عِشرته مع مُعلمه ، وكذلك فإنّ الرفق بالمتعلّم يُساعده على طلب المزيد من العلم ، بخلاف الغِلْظة والشدّة التي تنفر طالب العلم عن العالم وبالتالي عنْ علمه .
- عدم الحرج منْ نفي العلم عن النفس ، وعدم الاستحياء منْ قول (لا أعلم) ، فإنها تاج على رؤوس العلماء الربّانيين ، والذي يخجل أنْ يحملَه كثير ممنْ حمل بين جنبيه شيئاً من العلم وخفيَ عليه أكثر مما جمع ، فقد يُسأل البعض عنْ مسألة لم يقف على جوانبها بالبحث والتقصي ، ويتجرأ على الله تعالى بأنْ يُفتي فيها بغير علم ، فتصدر منه كلمة - جرّاء ذلك الاستكبار - قد تُوبق دُنياه وأُخراه .

المضامين التربوية في الفصل السادس :

٢٣) تضمّنت آيات العلم القرآنية عدداً من الآداب الرّاقية في الحوار مع الرأي الآخر ، وبيّنت الأساليب المثالية في كيفية إجراء الحوار على أُسس علمية ، بعيداً عن الجدال الهمجيّ والحوار العشوائي ؛ الذي يعلوه الصَّخب ويفتقد إلى المصداقية في جولاته ، وذلك لافتقاده أهم عنصر منْ عناصر نجاح الحوار ؛ ألا وهو بناء الحوار على التبادل العقلاني للأدلة بين الطرفين ، وفيما يلي عرض موجز لتلك الآداب :

- النهي عن الجدال بلا بينة ولا دليل ، لأنه جدال عقيم الفائدة ؛ مبتور الثمرة ، فلنْ يستطيع أحد أنْ يُقنع الآخرين بصحة رأيه ، ويطلب منهم متابعته ؛ ما لم يُعضده الدليل ، ويُصدقه البرهان .
- استيفاء ذكر الأدلة المبينة للحق ، والداعية إليه ، والفاضحة لِعَوَر الباطل والناهية عن اتباعه .
- طلب الدليل من الآخر ، لأنّ صاحب الحق لا يخشى أنْ يُظهر براهينه ، وإنما الذي يتخوّف منْ هذا المحك هو صاحب الرأي الشّاذ عن الحق ، والذي ليس في جُعْبته سِوى الشُّبهات التي يُلبّس بها على الحق ، وأما الأدلة الناصعة السّاطعة ، فهو منها خالي الوفاض .
- بيان الأسلوب الأمثل في التعامل مع منْ تعنّت في حواره مع الحق ، وأرْغد وأزْبد بعد وضوح الحق واندحار الباطل ، وعدم قبوله وانصياعه للحق الذي جاءه من الآخرين ، فحينئذ ينبغي على فريق الحق أنْ يُوجّه له الضربة القاضية القاصمة ، والمبينة لِنَوَاياه الخبيثة ، والكاشفة لأفكاره الهدّامة ، والفاضحة لقلة علمه ، وخلو مذهبه منْ كلّ ما يُؤيده من الأدلة النقلية والعقلية .

ثانياً : التوصيات :

استناداً على ما ذُكر آنفاً في خلاصة البحث منْ مضامين تربوية مُستنبطة منْ آيات العلم القرآنية ؛ فقد خرج الباحث في مقابل ذلك بعدد من التوصيات ؛ والتي تهدف في مجموعها إلى إيجاد الأرْضيّة المناسبة للتطبيق ، والكيفية المثلى لتنفيذ تلك المضامين ، وإني لأرْجو من الله تعالى أنْ يُهيئ لهذه التوصيات قلوباً واعيةً ، وآذاناً صاغيةً ، ومجالاً رحباً في ميدان التطبيق لمختلف جوانب العملية التربوية والتعليمية ، وهذه التوصيات هي :

١) إنشاء مراكز بحثية مُتخصصة ؛ تُعنى ببيان محاسن الإسلام في مختلف جوانب تشريعاته ، سواءً ما كان منها مُتعلقاً بجوانب العبادة ، أو ما كان مُتعلقاً بتنظيم وضبط شؤون الحياة المختلفة ، ومنْ تلك الجوانب التي ينبغي إظهار محاسن الإسلام تجاهها ؛ حثُّه على طلب العلم ، والتنويه بأهميته ، وذلك عنْ طريق بيان أثره الإيجابي على العبادات والمعاملات ، وما يتبع ذلك منْ رُقيّ وتطور في سائر مناحي الحياة المختلفة .

٢) وضع الأُطر الكفيلة بإيضاح الفرق بين الألفاظ التي قد يلْتبس على كثير من الناس فهم معانيها - بلْ قد يقع البعض في دمج المعاني للمصطلح الواحد بعضها ببعض - وذلك بإنشاء مجامع لُغوية مُتخصصة تقوم على عقد المؤتمرات وتأليف الكتب ، والتي منْ شأنها إزالة اللّبس العالق في أذهان كثير من الناس حِيال بعض الألفاظ ، كلفظي العلم والمعرفة على سبيل المثال .

٣) عقد الندوات ذات الصّلة بالشأْن التربوي ؛ والتي تهدف إلى تبيين مكانة العلماء في الإسلام ، وتحثّ أفراد الأمة على بذل المزيد من الاحترام والتقدير اللائقين بهم ، كما تحاول إيصال النظرة الإسلامية الشّاملة للعلم منْ حيث محتواه ومنفعته ، واتساع رِفْعته وعدم محدوديته ، وتوضيح أهميته كمعيار للتفضيل ومحك للتنفيذ ، وبيان ضرورة التثبت والتحقق منْ صحة ما يصدر عن الإنسان منْ أفعال وأقوال ، والالتزام بحرفيّة النقل عن الآخرين .

٤) توعية العلماء وطلبة العلم بأهمية القِران بين العلم والعمل ، وتحذيرهم من الوقوع في المفارقات التي تفصل العلم عن العمل ، وتنبيههم منْ خطر المخالفة بين ما يقولونه من العلم ، وبين ما يفعلونه منْ أفعال تخالف العلم الذي يتفوّهون به .

٥) تبصير عامة الناس بأهمية الإعداد المسبق والتخطيط القبلي ؛ الذي يسبق وقوع الفعل منهم ، لأنّه أسلم الطرق للوصول إلى الهدف المنشود بأقلّ جهد وأسرع وقت ممكن ، وذلك منْ خلال إقامة حملات التوعية على كافة وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية ، والتي تبين في مجموعها أهمية استباق العلم للعمل ، وضرورة التطبيق الحرفي للعلم في ميدان تطبيق الفعل .

٦) عقد الدورات التدريبية للمعلمين ؛ التي منْ شأْنها تبيان أهمية نشر العلم بين طبقات المجتمع ، ووضع الأولويات لذلك التعليم ، بأنْ يُدربوا على البدء بالأهم ثم المهم ، كتقديم أُولي القربى ، وتوضيح ما قد يعتري هذه العملية منْ صِعاب ومشاق ، وتدريب أهل العلم على كيفية التعامل معها وتجاوزها بنجاح واقتدار .

٧) إعداد المناهج الكفيلة بتربية النشء على الاعتماد على كلّ ما أيّده الدليل وأيقنت أنفسهم بصحته ،ونبذ ما سِوى ذلك من الأساطير والظنون ؛التي لا تغني من الحق شيئاً، وليكن مُسمّاها على سبيل المثال : (كيف تكون عِلمياً لا وهمياً ؟) .

٨) إقامة الآليات المختلفة كعقد سلسلة محاضرات خاصة لأهل العلم ترعاها إحدى الجامعات ، بهدف تعليمهم ما ينبغي أنْ يكونوا عليه من الأخلاق والآداب في علاقتهم مع ربهم ﷻ أولاً ، ومع أنفسهم ثانياً ، ومع منْ حولهم كطلبة العلم وغيرهم ثالثاً .

٩) تدريب أهل العلم عامة ومنْ تمرّس واعْتاد على جدال أصحاب الآراء الشّاذة خاصة ؛ على أفضل السُّبل وأنجع الطرق في إقامة الحوار مع الآخر ، حواراً علمياً مبنياً على إظهار ما لدى كلّ طرف من الأدلة التي تُبين مصداقيته ، وتعضد موقفه أمام الرأْي المخالف ، وتساعدهم على كيفية التعامل مع صنوف المحاورين المتوقعة ، وذلك منْ خلال إقامة عدد من الدورات المتخصصة في هذا الشأْن ، والتي يقوم عليها نخبة من المفكرين والمبدعين في هذا المجال .

١٠) ولا ننسى ختاماً دور الأسرة وقدرتها على غرس المضامين التربوية المشار إليها آنفاً في الملخص ، فإنّ على الوالدين في الأسرة مسؤولية عظيمة تجاه أبنائهما ؛ هي أعظم منْ تلك المسؤولية الملقاة على عاتق المربين الآخرين كالمعلمين والمصلحين ، وهم كذلك أقدر على التأثير الإيجابي أو السّلبي على أولادهما ، وخاصة في السّنوات الأولى من

أعمارهم ، ولذلك فإنّ على الوالدين أنْ يعملا سوياً على تنشئة نشْئِهما تنشئة إسلامية ، مُسْتوحاة من الكتاب والسّنة ، وما تضمّنا منْ مضامين تربوية رائعة ، إذا أُعملت إعمالاً مُوافقاً للمراد منْ إنزال الوحييْن ؛ خرج للأمة - بإذن الله تعالى - جيل إسلامي ذا همّة وقّادة ، وطموح وثّاب ، لا يعرف الملل ولا الكسل ، ولا يفتأ منْ محاولات الصّـــعود بأمته إلى معالي الدرجات ، والمضي بها قُدماً نحو إقامة أرْقى الحضارات .

ثالثاً : المقترحات :

تمتاز المقترحات في العادة بأنها الباب الذي يفتح آفاقاً جديدة للبحث العلمي أمام الباحثين ، لِيُشمّروا عنْ ساعد الجدّ في طرْق تلك الموضوعات التي اقْترحها الباحث ، وهذا بالفعل ما هو موجود في مقترحات هذا البحث ، إلا أنّ المقترحات في هذا البحث قد نَحَت منحىً آخر ، بالإضافة إلى كلّ ما هو مُعتاد في مثيلاتها من الرسائل ، حيث عَمَد الباحث في مقترحاته إلى تقسيمها إلى قسمين ، فالقسم الأول منها : يتضمّن مقترحات عامة ؛ كان الحديث فيها يدور عنْ رأْي الباحث في الرسائل المطروحة على ساحة القسم ، وما يلحظه عليها منْ ملاحظات جوهرية ، قد تخلّ بلبّ الموضوع وصُلبه ، وما وضعه الباحث تجاهها منْ مقترحات عِلاجية ، كبادرة منه لِتفادي تلك السّلبيات في مُستقبل الأيام وجديد الرسائل .

وأما القسم الثاني : فمقترحات خاصة ؛ تتعلق بجوانب التقصير في هذا البحث ، ووضع الحلول المناسبة لعلاجها ، مع ذكر عدد من الاقتراحات الإرشادية الأُخرى ؛ وهي وطيدة الصِّلة بموضوع البحث ، وفيما نُورد تلك المقترحات :

أولاً : مُقترحات عامة :

إنه ونظراً لكثرة الباحثين الذي يقصدون بأقلامهم صَوْب البحوث التي تتميز بالطابع الشّرعي ، إمّا - كما يظنّ البعض - سهولة المسلك البحثي فيها ، أو لأنّ عدد الباحثين الذين عبروا هذا الطريق جمٌّ غفير ، ولذلك فقد لاحظ الباحث عليها عدداً من الملاحظات ، ووضع أمامها ما يُوازيها من المقترحات ، وهي :

- تشجيع الطلاب وترغيبهم في طرق أبواب المواضيع الشّرعية منْ زاوية تربوية ، ويأْتي في مُقدمتها البحوث التي تحمل في طياتها دراسة النصوص الشّرعية ، آيات وأحاديث ، لأنّ قيمة البحث ومنزلته تكمن في موضوع البحث ، وبما أنّ المواضيع الشّرعية قد شَرُفَت بشرف الخزائن المكنونة فيها ، لذا توّجب توجيه نظر الباحثين الذي يعزفون عنها لكثرة منْ توجّه إليها ، مع تدريبهم تدريباً مُكثفاً على الكيفية المثْلى لمعالجة المواضيع الشّرعية منْ وِجْهة تربوية .

- إعادة النظر في الكيفية التي يتم منْ خلالها معالجة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية معالجة تربوية ؛ بحيث لا يكون همّ الباحث جمع النُّقول الكثيرة ، ورصّ بعضها خلف بعض ؛ دون إبداءٍ لوجْهة نظره التربوية إزاء تلك النصوص الشّرعية ، وما جمعه حِيالها من اقتباسات خارجية ، والعمل على أنْ يكون التركيز في مثل هذه البحوث على الجانب التربوي ، لأنه المقصود منْ طرق هذا النوع من البحث ، مع عدم إغفال الجانب الشّرعي عند الحاجة إليه .

مقترحات خاصة :

إنه لا بدّ لكلّ منْ أطْلق العَنان لفرس قلمه ، وأرْخى مِداده نحو فضاء الكتابة ، وأطْفأ لَهيب الفكرة بماء المحبرة ، وأسْدل ستائر أفكاره على سُطور أقلامه ، وجعل منْ بيضاء الصّحائف مقرّاً لسوداء المحابر ؛ فإنه ولا شك قد يعتري ذلك العمل شيء من النقص والتقصير في جانب أو أكثر ، وليس ذلك بمستغرب في أيّ عمل بشري ، صادر منْ إنسانٍ قدراته الذاتية محدودة ، ومحكومة بعوامل أُخرى ، تُؤثر مداً أو جزراً على تلك القدرات .

ولِتَدارك هذا النقص وتلافي ذلك الخلل ؛ فإني أُوصي إخواني الباحثين ببعض المقترحات ؛ التي منْ شأْنها – بإذن الله تعالى – قفل باب النقص وسدّ ثغرة الخلل ، وذلك عبر المقترحات التالية :

- لَمُّ شَعْث المواضيع المطروحة في ثنايا هذا البحث بشيء من التفصيل والإسهاب ، مع تخصيص المضامين التربوية المستنبطة منْ آيات العلم القرآنية بأبحاث مُستقلة لكلّ مضمون ، ومحاولة التركيز على كلّ موضوع ، وإظهار ما فيه منْ كنوز تربوية ، ووضع الأُطر الكفيلة لتطبيقها على أرض الواقع التعليمي والتربوي .
- محاولة ربط الناحية النظرية في هذا البحث بشقّها الميداني ، والتعرف عنْ كَثَب ما إذا كان للمضامين التربوية المسْتخرجة منْ آيات العلم صدىً في ميدان التطبيق التربوي ، ووضع الحلول الممكنة لمعالجة أسباب عدم التطبيق ، أو طرح العوامل المساعدة لتفعيلها تفعيلاً كفيلاً باستفادة جميع شرائح المجتمع منها ، كالأسرة والمدرسة ، والمجتمع بصفة عامة .

✍ وضع المشتقات الأُخرى لمادة (ع ل م) في القرآن الكريم بعين الاعْتبار البحثـــي ، وتخصيص كلّ مُشتقٍ منها بدراسة علمية تربوية مُستقلّة ، والعمل على إبْــراز مـــا تضمّنته تلك الآيات الكريمة المشتملة على تلك المشتقات منْ مضامين تربوية رائعـــة في المضمون ، عظيمة في التطبيق .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : القرآن الكريم وعلومه :

١) القرآن الكريم .

٢) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، التفسير الكبير ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م ، تحقيق : عبدالرحمن عميرة .

٣) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، دمشق ، مؤسسة علوم القرآن ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ ، تحقيق : محمد السيد الجليند .

٤) ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد ، زاد المسير في علم التفسير ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٣ ، ١٤٠٤هـ .

٥) ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبدالله ، أحكام القرآن ، بيروت ، دار الفكر ، د.ت ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا .

٦) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ، الدمام ، دار ابن الجوزي ، ط ١، ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م ، تحقيق : يُسري السيد محمد .

٧) ابن كثير ، إسماعيل بن عمر الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠١هـ .

٨) أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د.ت .

٩) أبو الفضل ، محمود الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د.ت .

١٠) الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، بيروت ، دار المعرفة ، ط١ ، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م ، ضبط ومراجعة : محمد خليل عيتاني .

١١) الجزائري ، أبو بكر جابر ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، المدينة المنورة ، مكتبة العلوم والحكم ، ط ٣ ، ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧ م .

١٢) رضا ، محمد رشيد ، تفسير المنار ، القاهرة ، دار المنار ، ١٣٧٣هـ .

١٣) الزرقاني ، محمد ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، بيروت ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .

١٤) السعدي ، عبدالرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٥ ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

١٥) السعدي ، محمد بن عبدالواحد ، اختصاص القرآن بعوده إلى الرحمن الرحيم ، الرياض، مكتبة الرشد ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .

١٦) السيوطي ، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين ، الدر المنثور ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٣م .

١٧) السيوطي ، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين وآخر ، تفسير الجلالين ، القاهرة ، دار الحديث ، ط ١ ، د.ت .

١٨) الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، بيروت ، دار الفكر ، د.ت .

١٩) الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٥هـ .

٢٠) عبدالباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة ، دار الحديث، ط١ ، ١٤١٧ هـ .

٢١) القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، دار الشعب ، ط ٢ ، ١٣٧٢هـ ، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني .

٢٢) القطان ، مناع ،مباحث في علوم القرآن ، الرياض ،مكتبة المعارف ،ط١ ،١٤١٣هـ .

٢٣) قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، القاهرة ، دار الشروق ، ط ١٧ ، ١٤١٢ هـ .

٢٤) المصري ،شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم ، التبيان في تفسير غريب القرآن ، القاهرة، دار الصحابة للتراث ، ط ١، ١٩٩٢م ، تحقيق : فتحي أنور الدابولي .

٢٥) الواحدي ، علي بن أحمد ، أسباب نزول القرآن ، بيروت ،دار الكتب العلمية ،د.ت ، تحقيق : كمال بسيوني زغلول .

٢٦) الواحدي ، علي بن أحمد ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دمشق – بيروت ، دار القلم–الدار الشامية ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي .

ثانياً : الحديث النبوي وعلومه :

٢٧) ابن ماجه ، محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجه ، بيروت ، دار الفكر ، د.ت ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي .

٢٨) أبو داود ، سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، بيروت ، دار الفكر ، د.ت .

٢٩) البخاري ، محمد بن اسماعيل ، الجامع الصحيح ، بيروت ، دار ابن كثير ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م ، تحقيق : مصطفى البغا .

٣٠) البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء ، شرح السنة ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، د.ت ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش .

٣١) الترمذي ، محمد بن عيسى ،سنن الترمذي ، بيروت ،دار إحياء التراث العربي ، د.ت .

٣٢) الحاكم ، محمد بن عبدالله النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م ، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا .

٣٣) الحميدي ، عبدالله بن الزبير ، مسند الحميدي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

٣٤) النسائي ، أحمد بن شعيب ، السنن الكبرى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م .

٣٥) النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف ، رياض الصالحين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٣ ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط .

٣٦) النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف ، صحيح مسلم بشرح النووي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ط٢ ، ١٣٩٢ هـ .

٣٧) النيسابوري ، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د.ت ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي .

ثالثاً : قواميس اللغة العربية :

٣٨) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، د.ت .

٣٩) الجرجاني ، علي بن محمد الشريف ، كتاب التعريفات ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

٤٠) الرازي ، محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح ، القاهرة ، دار المنار ، د.ت .

٤١) الزبيدي ، محمد مُرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، الكويت ، وزارة الإرشاد والأنباء ، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م ، تحقيق : علي هلالي .

٤٢) الفراهيدي ، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد ، كتاب العين ، دار ومكتبة الهلال ، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي .

٤٣) الفيومي ، أحمد محمد علي المقري ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، القاهرة ، دار المعارف ، تحقيق : عبدالعظيم الشناوي .

٤٤) الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني ، الكليات - معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، دمشق ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ط ٢ ، ١٩٨٢ م ، تحقيق : عدنان درويش و محمد المصري .

٤٥) المناوي ، محمد عبدالرؤوف ، كتاب التوقيف على مهمات التعاريف ، دمشق ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م ، تحقيق : محمد رضوان .

رابعاً : كتب التاريخ :

٤٦) ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن أبي بكر ،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، بيروت، دار صادر ، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م ، تحقيق : إحسان عباس .

٤٧) ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت .

٤٨) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية ، بيروت ، مكتبة المعارف ، د.ت .

٤٩) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، العبر في خبر من غبر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م ،تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول .

خامساً : كتب الجغرافيا :

٥٠) أبو خليل ، شوقي ، أطلس السيرة النبوية ، دمشق – بيروت ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م .

سادساً : المراجع العامة :

٥١) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، درء تعارض العقل والنقل ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط١ ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١ م ، تحقيق : محمد رشاد سالم .

٥٢) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، الرباط ، مكتبة المعارف ، د.ت ، جمع وترتيب : عبدالرحمن بن محمد القاسم وساعده ابنه محمد .

٥٣) ابن جماعة ، بدر الدين بن إبراهيم بن سعد الله الكناني ، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، الدمام ، رمادي للنشر ، ط١ ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م ، تحقيق : السيد محمد هاشم الندوي .

٥٤) ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي بن محمد ، الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ ، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٣ م ، تحقيق : فؤاد عبد المنعم .

٥٥) ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد ، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م ، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي .

٥٦) ابن حميد ، صالح بن عبدالله وآخرون ، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، جدة ، دار الوسيلة ، ط١ ، ١٤١٨هـ .

٥٧) ابن رجب ، أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب ، جامع العلوم والحِكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م .
٥٨) ابن عبدالبر ، أبو عمر يوسف ، جامع بيان العلم وفضله ، الدمام ، دار ابن الجوزي ، ط ١ ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م ، تحقيق : أبو الأشبال الزهيري .
٥٩) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، بيروت ، دار الفكر ، د.ت ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .
٦٠) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، دار الحديث ، القاهرة ، د.ت .
٦١) ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت .
٦٢) أبو العينين ، علي خليل ، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم ، المدينة المنورة ، مكتبة إبراهيم حلبي ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م .
٦٣) أبو الفتوح رضوان وآخرون ، المدرس في المدرسة والمجتمع ، القاهرة ، مكتبة الأنجلوالمصرية ، ١٩٧٣م .
٦٤) باقارش ، صالح سالم وآخر ، أصول التربية العامة والإسلامية ، حائل ، دار الأندلس ، ط ٢ ، ١٤١٧ هـ .
٦٥) البقعاوي ، صالح بن سليمان المطلق ، مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية ، الدمام ، دار ابن الجوزي ، ط ١ ، ١٤٢١هـ .
٦٦) بكار ، عبدالكريم ، بناء الأجيال ، الرياض ، المنتدى الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢ م .
٦٧) البيانوني ، عبدالمجيد ،رسالة المعلم وآداب العالم والمتعلم ،بيروت ، دار ابن حزم ،ط٢ ، ١٤٢٠ هـ .
٦٨) توق ، محي الدين وآخر ، أساسيات علم النفس التربوي ، نيويورك ، نشر جون وايلي وأولاده ، ١٩٨٤م .
٦٩) الجزائري ، أبوبكر جابر ، العلم والعلماء ، جدة ، دار الشروق ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ .

٧٠) جلال ، عبد الفتاح ، من الأصول التربوية في الإسلام ، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي ، المنوفية – مصر ، ١٩٧٧م .

٧١) الجويني ، أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله ، الكافية في الجدل ، بـيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ ، وضع حواشيه : خليل المنصور .

٧٢) حسان وجميل الدين، حسان محمد و نادية ، مدارس التربية في الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

٧٣) الحسن ، عبداللطيف بن محمد ، معلم في تربية النفس ، الرياض ، المنتدى الإسلامي ، ١٤٢١ هـ .

٧٤) الحمد ،محمد بن إبراهيم ، مع المعلمين ، الرياض ، دار ابن خزيمة ، ط١ ، ١٤١٨هـ.

٧٥) الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، اقتضاء العلم العمل ، بـيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٤ ، ١٣٩٧هـ ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني .

٧٦) الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، الجامع لأخلاق الـراوي وآداب السامع ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ ، تحقيق : صلاح بـن محمد بن عويضة .

٧٧) رابح ، تركي ، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨٢م .

٧٨) زاده ، طاش وآخر ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م .

٧٩) الزرنوجي ، برهان الإسلام ، كتاب تعليم المتعلم طريق التعلُّم ، بـيروت ، المكتب الإسلامي ، د.ت ، تحقيق : مروان قباني .

٨٠) الزنتاني ، عبدالحميد ، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، ليبيا – تونس ، الـدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤ م .

٨١) ساطور ، محمد رزق ، عقبات في طريق الإيمان ، جدة ، مكتبة القدس ، د.ت .

٨٢) السامرائي ، نعمان عبد الرازق ، مباحث في الثقافة الإسلامية ، الريـاض ، مكتبة المعارف ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

٨٣) سعد الدين ، محمد منير ، دراسات في تاريخ التربية عند المسلمين ، بيروت ، دار بيروت المحروسة ، ط ٢ ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .

٨٤) السعدي ، عبدالرحمن بن ناصر ، الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة ،الرياض ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع والترجمة ، ١٤٠٥هـ .

٨٥) سليمان ، فتحية حسن ، المذهب التربوي عند الغزالي ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ط ٢ ، ١٩٦٤م .

٨٦) الشاطبي ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد ، الاعتصام ، الخبر ، دار ابن عفان، ط ١ ، ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م ، تحقيق : سليم الهلالي .

٨٧) شديد ،محمد ، منهج القرآن في التربية ،بيروت ،مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٣٩٧ هـ.

٨٨) شفشق وآخرون ، محمود عبدالرازق وآخرون ، التربية المعاصرة طبيعتها وأبعادها الأساسية ، الكويت ، دار القلم ، ط ٢ ، ١٩٩٥ م .

٨٩) الشنقيطي ، محمد الأمين ، آداب البحث والمناظرة ، القاهرة ، مكتبة ابن تيمية ، د.ت.

٩٠) صليبا ، جميل ، مستقبل التربية في العالم العربي ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٦٧م .

٩١) الصويان ، أحمد بن عبد الرحمن ، الحوار : أصوله المنهجية وآدابه السلوكية ، الرياض ، دار الوطن للنشر ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .

٩٢) الطلاع ، رضوان بن ظاهر ، من فيض الخاطر مقالات وخواطر " طروحات وأبحاث تعليمية وتربوية " ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ .

٩٣) عبد العال ، حسن ، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية – التربية والطبيعة الإنسانية ، الرياض ، دار عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م .

٩٤) عبدالله ، عبدالرحمن صالح وآخر ، المرشد في كتابة البحوث التربوية ،مكتبة المنارة، ١٤٠٨ هـ .

٩٥) العثمان ، حمد بن إبراهيم ، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة ، الكويت ، مكتبة ابن القيم ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١ م .

٩٦) عثمان ، سيد أحمد ، التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي ، القاهرة ، مكتبة الأنجلوالمصرية ، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .
٩٧) العثيمين ، محمد بن صالح ، كتاب العلم ، الإسكندرية ، دار الإيمان ، د.ت ، تحقيق : عصام السيد السهيلي .
٩٨) علي ، سعيد إسماعيل ، الأصول الإسلامية للتربية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ط٣ ، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢ م .
٩٩) عمر ، عمر أحمد ، منهج التربية في القرآن والسنة ، دمشق ، دار المعرفة ، ط ١ ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦ م .
١٠٠) العودة ، سلمان بن فهد ، أدب الحوار ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ط١ ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م .
١٠١) عوض الله ، الشيخ الأمين محمد ، أساليب التربية والتعليم في الإسلام ، دبي ، دار القراءة للجميع ، ط ٢ ، ١٤١٠هـ =١٩٩٠م .
١٠٢) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، إحياء علوم الدين ، بيروت ، دار المعرفة ، د.ت .
١٠٣) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، ميزان العمل ، القاهرة ، دار المعارف ، ط١ ، ١٩٦٤م ، تحقيق : سليمان دنيا .
١٠٤) فلاته ، أحمد محمد إبراهيم ، آداب المتعلم في الفكر التربوي الإسلامي ، جدة ، دار المجتمع ، ط ١ ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .
١٠٥) القاسم ، الحسين بن المنصور بالله ، آداب العلماء والمتعلمين ، بيروت ، الدار اليمينية ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .
١٠٦) القاسم ، عبدالحكيم بن عبدالله ، سورة الصلاة ، الرياض ، المنتدى الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ .
١٠٧) القرضاوي ، يوسف ، الرسول والعلم ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م .
١٠٨) القرطاس ، قيس ، قصور العلم البشري ، الرياض ، دار الفيصل الثقافية ، ط ١ ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨ م .

١٠٩) القرني ، أحمد بن ظافر ، العلم والإيمان في الفضاء والطيران ، الرياض ، دار الشريف ، ١٤١٨هـ .

١١٠) قطب ، سيد ، التصوير الفني في القرآن ، القاهرة ، دار الشروق ، د.ت .

١١١) الكيلاني ، ماجد عرسان ، الفكر التربوي عند ابن تيمية ، المدينة المنورة ، مكتبة دار التراث ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م .

١١٢) اللقاني ، أحمد حسين وآخر ، تدريس المواد الاجتماعية ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط١، ١٩٧٤م .

١١٣) اللويحق ، عبد الرحمن بن مُعَلاّ ، قواعد في التعامل مع العلماء ، الرياض ، دار الورّاق ، ط ١ ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م .

١١٤) محجوب ، عباس ،نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم ، دمشق ، دار ابن كثير ، ط١، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٧ م .

١١٥) محمود ، إبراهيم وجيه ، التعلم : أسسه ونظرياته وتطبيقاته ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٤م .

١١٦) المرصفي ، محمد علي ، من المبادئ التربوية في الإسلام ، جدة ، عالم المعرفة ، د.ت .

١١٧) المولوي ، محمد سعيد ، المربي محمد ﷺ : التربية النبوية – شمولها – أهدافها – طرائقها، الكويت ، مكتبة دار العروبة ، ط ٣ ، ١٤٠٩هـ .

١١٨) النجار ، زغلول راغب ، أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية ، الرياض ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، رسائل إسلامية المعرفة (٦) ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م .

١١٩) النحلاوي ، عبد الرحمن ،أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دمشق ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ = ١٩٧٩م .

١٢٠) الهاشمي ، عبد الحميد ، الرسول العربي المربي : إنما بعثت معلماً ، دمشق ، دار الثقافة للجميع ، ط ١ ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .

١٢١) الياسين ، جاسم بن محمد بن مهلهل ، العلم بين يدي العالم والمتعلم ، الكويت ، دار الدعوة ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ .

سابعاً : الدوريات :

١٢٢) المريني ، الجيلالي ، مفهوم العلم في القرآن ، مجلة البيان ، لندن ، المنتدى الإسلامي ، العدد ٢٠١ ، ١٤٢٥ هـ .

ثامناً : الرسائل العلمية :

١٢٣) أبو رزيزة ، محمد علي ، آداب المعلم المسلم وواجباته خلال الموقف التعليمي ، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى ، ١٤١٦هـ .

١٢٤) الحدري ، خليل عبدالله ، منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات الجامعية المعاصرة ، رسالة دكتوراه غير منشورة مُقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى ، ١٤٢٢ هـ .

١٢٥) الراشدي ، عمر ، المضامين التربوية للتثبت والتبين في التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى ، ١٤١٨هـ .

١٢٦) زمزمي ، يحيى محمد ، آداب الحوار في ضوء الكتاب والسنة ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ، ١٤١٣هـ .

١٢٧) عبدالرحمن ، عبد الرؤوف يوسف عبدا لقادر ، أخلاق العالم والمتعلم عند أبي بكر الآجري ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى ، ١٤٠٨هـ .

١٢٨) العصيمي ، معيوض عوض حميد ، آداب المعلم والمتعلم عند الإمام العلموي من خلال كتابه (المعيد في آداب المفيد والمستفيد) ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى ، ١٤١١هـ .

١٢٩) يحيى ، سيد عباس ملا ، العلاقة بين المعلم والمتعلم عند الإمام الغزالي ، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى ، ١٤٠٦/ ١٤٠٧هـ .

الملاحق :

ملحق [أ] : آيات العلم القرآنية .

ملحق [ب] : فهرس الشواهد القرآنية .

ملحق [ج] : فهرس الأحاديث النبوية .

ملحق [د] : الخرائط .

ملحق [أ] :

آيات العلم القرآنية

آيات العلم القرآنية :

فيما يلي نُورد الآيات القرآنية - محلّ الدراسة - التي وردت فيها لفظة العلـــم ، سواءً كانت مُقترنة بـــ (ال) التعريف ، أم مجردة منها ، وقد أُخذ هذا التصنيف مـــنْ كتاب (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) لمؤلفه : محمد فؤاد عبدالباقي [1] .

وقد وردت كلمة العلم في ثمانين موضعاً منْ كتاب الله ﷻ ، مُوزعة على تسعٍ وسبعين آية كريمة ، وسيكون ذكر آيات العلم القرآنية مُرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم ، وذلك على النحو التالي :

١) قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة البقرة : الآية ٣٢] .

٢) قال الله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [سورة البقرة : الآية ١٢٠] .

٣) قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة البقرة : الآية١٤٥].

٤) قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٤٧] .

٥) قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا

---

(١) انظر ص ٥٨٧-٥٨٩ من المرجع المشار إليه أعلاه .

يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ٧] .

٦) قال الله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ١٨] .

٧) قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ١٩] .

٨) قال الله تعالى : ﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ٦١] .

٩) قال الله تعالى : ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ٦٦] .

١٠) قال الله تعالى : ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴾ [سورة النساء : الآية ١٥٧] .

١١) قال الله تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء : الآية ١٦٢] .

١٢) قال الله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [سورة المائدة : الآية ١٠٩] .

١٣) قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٠٠] .

١٤) قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٠٨] .

١٥) قال الله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١١٩] .

١٦) قال الله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٤٠] .

١٧) قال الله تعالى : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٤٣] .

١٨) قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٤٤] .

١٩) قال الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ

عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٤٨] .

٢٠) قال الله تعالى : ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٧] .

٢١) قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأعراف : الآية ٥٢] .

٢٢) قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة يونس : الآية ٩٣] .

٢٣) قال الله تعالى : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [سورة هود : الآية ١٤] .

٢٤) قال الله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة هود : الآية ٤٦] .

٢٥) قال الله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة هود : الآية ٤٧] .

٢٦) قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف : الآية ٦٨] .

٢٧) قال الله تعالى : ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة يوسف : الآية ٧٦] .

٢٨) قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [سورة الرعد : الآية ٣٧] .

٢٩) قال الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [سورة الرعد : الآية ٤٣] .

٣٠) قال الله تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [سورة النحل : الآية ٢٥] .

٣١) قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة النحل : الآية ٢٧] .

٣٢) قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [سورة النحل : الآية ٧٠] .

٣٣) قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٣٦] .

٣٤) قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٨٥] .

٣٥) قال الله تعالى : ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [سورة الإسراء : الآية ١٠٧] .

٣٦) قال الله تعالى : ﴿ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [سورة الكهف : الآية ٥] .

٣٧) قال الله تعالى : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ [سورة مريم : الآية ٤٣] .

٣٨) قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴾ [سورة الحج : الآية ٣] .

٣٩) قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ [سورة الحج : الآية ٥] .

٤٠) قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ [سورة الحج : الآية ٨] .

٤١) قال الله تعالى : ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [سورة الحج : الآية ٥٤] .

٤٢) قال الله تعالى : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴾ [سورة الحج : الآية ٧١] .

٤٣) قال الله تعالى : ﴿ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴾ [سورة النور : الآية ١٥] .

٤٤) قال الله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴾ [سورة النمل : الآية ٤٠] .

٤٥) قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النمل : الآية ٤٢] .

٤٦) قال الله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [سورة القصص : الآية ٧٨] .

٤٧) قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ [سورة القصص : الآية ٨٠] .

٤٨) قال الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : الآية ٨] .

٤٩) قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : الآية ٤٩] .

٥٠) قال الله تعالى : ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [سورة الروم : الآية ٢٩] .

٥١) قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم : الآية ٥٦] .

٥٢) قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [سورة لقمان : الآية ٦] .

٥٣) قال الله تعالى : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة لقمان : الآية ١٥] .

٥٤) قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [سورة لقمان : الآية ٢٠] .

٥٥) قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [سورة لقمان : الآية ٣٤] .

٥٦) قال الله تعالى : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سورة سبإ : الآية ٦] .

٥٧) قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [سورة ص: الآية٦٩].

٥٨) قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر :الآية ٤٩].

٥٩) قال الله تعالى : ﴿ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾ [سورة غافر : الآية ٤٢] .

٦٠) قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة غافر : الآية ٨٣] .

٦١) قال الله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ [سورة فصلت : الآية ٤٧] .

٦٢) قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [سورة الشورى : الآية ١٤] .

٦٣) قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [سورة الزخرف : الآية ٢٠] .

٦٤) قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [سورة الزخرف : الآية ٦١] .

٦٥) قال الله تعالى : ﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة الزخرف : الآية ٨٥] .

٦٦) قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الدخان : الآية ٣٢] .

٦٧) قال الله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة الجاثية : الآية ١٧] .

٦٨) قال الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة الجاثية : الآية ٢٣] .

٦٩) قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [سورة الجاثية : الآية ٢٤] .

٧٠) قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة الأحقاف : الآية ٤] .

٧١) قال الله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ [سورة الأحقاف : الآية ٢٣] .

٧٢) قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [ســورة محمد : الآية ١٦] .

٧٣) قال الله تعالى : ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [سورة الفتح : الآية ٢٥] .

٧٤) قال الله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [سورة النجم : الآية ٢٨] .

٧٥) قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [سورة النجم : الآية ٣٠] .

٧٦) قال الله تعالى : ﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴾ [سورة النجم : الآية ٣٥] .

٧٧) قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [سورة المجادلة : الآية ١١] .

٧٨) قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الملك : الآية ٢٦] .

٧٩) قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [سورة التكاثر : الآية ٥] .

ملحق [ب]:

فهرس الشواهد القرآنية.

فهرس الشواهد القرآنية الواردة في ثنايا البحث :

الرقم	الآيـــــة	الصفحة
١	قال الله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾	٢ ،٤١، ٧٤، ٨٥
٢	قال الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ... الآية ﴾	٢
٣	قال الله تعالى : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ... الآية ﴾	٥
٤	قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ ... الآية ﴾	٦ ، ٤٨، ٨٦
٥	قال الله تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ...الآية ﴾	٣٦
٦	قال الله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ... الآية ﴾	٣٦
٧	قال الله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ...الآية ﴾	٣٦
٨	قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ... الآية ﴾	٣٢
٩	قال الله تعالى : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ ... الآية ﴾	٣٣، ٢٢٤
١٠	قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ...الآيات ﴾	٣٣، ١٦٩
١١	قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي ... الآية ﴾	٣٣، ٢٢٦
١٢	قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ ...الآية ﴾	٣٤،١٣٦،٢٠٨
١٣	قال الله تعالى : ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ... الآية ﴾	٣٤
١٤	قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ... الآية ﴾	٣٤، ٧٣، ٢٢٩
١٥	قال الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ... الآية ﴾	٣٤
١٦	قال الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ... الآية ﴾	٣٤
١٧	قال الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ...الآية ﴾	٣٤
١٨	قال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ... الآية ﴾	٣٥

الرقم	الآيـــــة	الصفحة
١٩	قال الله تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ... الآية ﴾	٣٥
٢٠	قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ... الآية ﴾	٢٥،٣٥،١٥٢
٢١	قال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآ ... الآية ﴾	٣٥
٢٢	قال الله تعالى : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ ... الآية ﴾	٣٥، ١٤٩
٢٣	قال الله تعالى : ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا ... الآية ﴾	٣٥
٢٤	قال الله تعالى : ﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ... الآية ﴾	٣٥
٢٥	قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ ... الآية ﴾	٣٥،١١٥،٢٠٤
٢٦	قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ ... الآيات ﴾	٣٥
٢٧	قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ ... الآيات ﴾	٣٥
٢٨	قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ ... الآية ﴾	٣٦، ٨٢،١٥٨
٢٩	قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ ... الآية ﴾	٣٠
٣٠	قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ...الآية ﴾	٣٠
٣١	قال الله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ... الآية ﴾	٣٠، ٤٨
٣٢	قال الله تعالى : ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ... الآية ﴾	٣٠، ١٩٢
٣٣	قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	٣٠
٣٤	قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ ... الآية ﴾	٣٠
٣٥	قال الله تعالى : ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ ... الآية ﴾	٣١
٣٦	قال الله تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ... الآية ﴾	٣٢، ١١٣

الصفحة	الآيـــــة	الرقم
٣٢	قال الله تعالى : ﴿ اَعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ... الآية ﴾	٣٧
٣٢	قال الله تعالى : ﴿ فَاعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ... الآية ﴾	٣٨
٤٥	قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ... الآية ﴾	٣٩
٤٥	قال الله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا ءَايَٰتِهِۦ ... الآية ﴾	٤٠
٤٥	قال الله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ... الآيات ﴾	٤١
٤٥	قال الله تعالى : ﴿ نٓ ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾	٤٢
٤٦ ، ٥٤، ٩٦، ٢١٣	قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ ... الآيات ﴾	٤٣
٤٦	قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ ... الآية ﴾	٤٤
٤٧	قال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ ... الآية ﴾	٤٥
٥٠، ٨٤، ١١٤	قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ... الآيات ﴾	٤٦
٥٠	قال الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ ... الآية ﴾	٤٧
٥١	قال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ... الآية ﴾	٤٨
٥٢، ٧٥، ٨٥، ٩٢	قال الله تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾	٤٩
٥٣، ١٤٢	قال الله تعالى : ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ ... الآية ﴾	٥٠
٥٥ ، ٩٧	قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ ... الآية ﴾	٥١
٥٦	قال الله تعالى : ﴿ اجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾	٥٢
٥٧، ٧٦	قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ ... الآيات ﴾	٥٣
٥٩، ١٣٩	قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ... الآية ﴾	٥٤

الرقم	الآيـــــة	الصفحة
٥٥	قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ... الآية ﴾	٦٠، ٨٣
٥٦	قال الله تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ ... الآية ﴾	٦١، ١٣٨
٥٧	قال الله تعالى : ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ...الآيات ﴾	٦٢، ٨٣
٥٨	قال الله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا ...الآية ﴾	٦٣
٥٩	قال الله تعالى : ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾	٦٦
٦٠	قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ...الآية ﴾	٦٧
٦١	قال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ... الآيات ﴾	٦٩
٦٢	قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ...الآية ﴾	٦٩
٦٣	قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ... الآية ﴾	٧٠
٦٤	قال الله تعالى : ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ... الآية ﴾	٧٠
٦٥	قال الله تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ... الآية ﴾	٧٠
٦٦	قال الله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ ... الآية ﴾	٧١
٦٧	قال الله تعالى : ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ... الآية ﴾	٧٢
٦٨	قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ... الآية ﴾	٧٤، ١٤٧
٦٩	قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ... الآية ﴾	٧٩
٧٠	قال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ... الآية ﴾	٧٩
٧١	قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... الآية ﴾	٩٦
٧٢	قال الله تعالى : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾	٩٨

الرقم	الآيـــــة	الصفحة
٧٣	قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	٩٩
٧٤	قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ... الآية ﴾	١٠١، ١١٠، ١٧٢، ٢١١
٧٥	قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ... الآية ﴾	١٠٢
٧٦	قال الله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ... الآيات ﴾	١٠٣
٧٧	قال الله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ... الآية ﴾	١٠٦
٧٨	قال الله تعالى : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ... الآية ﴾	١٠٧
٧٩	قال الله تعالى : ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ ... الآيات ﴾	١٠٨
٨٠	قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ... الآية ﴾	١١٠
٨١	قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾	١١٥، ١٨٨
٨٢	قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	١١٨
٨٣	قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ ... الآيات ﴾	١١٨
٨٤	قال الله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ ... الآيات ﴾	١١٩
٨٥	قال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾	١٢١
٨٦	قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ... الآية ﴾	١٢٢
٨٧	قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا ... الآيات ﴾	١٢٣
٨٨	قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ... الآية ﴾	١٢٤
٨٩	قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ... الآيات ﴾	١٢٦
٩٠	قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ... الآية ﴾	١٢٧

الرقم	الآيـــــة	الصفحة
٩١	قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ... الآية ﴾	١٢٧
٩٢	قال الله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا ... الآية ﴾	١٢٩
٩٣	قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ... الآية ﴾	١٣١
٩٤	قال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم ... الآية ﴾	١٣٢
٩٥	قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ... الآية ﴾	١٣٤
٩٦	قال الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ... الآيات ﴾	١٣٥
٩٧	قال الله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾	١٣٥
٩٨	قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ... الآيات ﴾	١٤٤
٩٩	قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... الآية ﴾	١٤٧
١٠٠	قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم ... الآية ﴾	١٤٩
١٠١	قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ... الآية ﴾	١٤٩
١٠٢	قال الله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ... الآية ﴾	١٤٩
١٠٣	قال الله تعالى : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ ... الآية ﴾	١٥١
١٠٤	قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ ... الآية ﴾	١٥٣
١٠٥	قال الله تعالى : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ... الآية ﴾	١٥٣
١٠٦	قال الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ... الآية ﴾	١٥٤
١٠٧	قال الله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾	١٥٥
١٠٨	قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ... الآيات ﴾	١٥٥

الرقم	الآيـــــة	الصفحة
١٠٩	قال الله تعالى : ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ... الآية ﴾	١٥٦
١١٠	قال الله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ... الآية ﴾	١٥٨، ١٨٧
١١١	قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ... الآية ﴾	١٦٥
١١٢	قال الله تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ...الآيات ﴾	١٦٧
١١٣	قال الله تعالى : ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ ... الآية ﴾	١٦٨
١١٤	قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾	١٧٣
١١٥	قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم ... الآيات ﴾	١٧٤
١١٦	قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... الآية ﴾	١٧٧
١١٧	قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا ... الآية ﴾	١٧٧
١١٨	قال الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ ... الآية ﴾	١٧٧
١١٩	قال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ ... الآية ﴾	١٧٨
١٢٠	قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ... الآية ﴾	١٧٨
١٢١	قال الله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ... الآية ﴾	١٧٨
١٢٢	قال الله تعالى : ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ... الآيات ﴾	١٧٩
١٢٣	قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ... الآية ﴾	١٨٠
١٢٤	قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	١٨٢
١٢٥	قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ ...الآيات ﴾	١٨٤
١٢٦	قال الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ...الآية ﴾	١٨٥

الرقم	الآيــــــة	الصفحة
١٢٧	قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ... الآية ﴾	١٨٩
١٢٨	قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ ... الآية ﴾	١٩٤
١٢٩	قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ... الآية ﴾	١٩٤
١٣٠	قال الله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا ... الآيات ﴾	١٩٧
١٣١	قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ... الآية ﴾	١٩٩
١٣٢	قال الله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ... الآية ﴾	٢٠٠
١٣٣	قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾	٢٠٢
١٣٤	قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ...الآية ﴾	٢٠٢
١٣٥	قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ ... الآية ﴾	٢٠٢
١٣٦	قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ... الآية ﴾	٢٠٦
١٣٧	قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ... الآية ﴾	٢٠٨
١٣٨	قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ... الآيات ﴾	٢١٠
١٣٩	قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ ... الآية ﴾	٢١١
١٤٠	قال الله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم ... الآية ﴾	٢١١
١٤١	قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ... الآية ﴾	٢٢٠
١٤٢	قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ ... الآية ﴾	٢٢٠
١٤٣	قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ... الآيات ﴾	٢٢٢
١٤٤	قال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ... الآية ﴾	٢٢٤

الرقم	الآيـــــة	الصفحة
١٤٥	قال الله تعالى : ﴿ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ...الآية ﴾	٢٢٥
١٤٦	قال الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ...الآية ﴾	٢٢٥
١٤٧	قال الله تعالى : ﴿ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ ... الآية ﴾	٢٣٠
١٤٨	قال الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ... الآيات ﴾	٢٣١

ملحق [ج]:

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأحاديث النبوية الواردة في ثنايا البحث :

الرقم	الحديث	الصفحة
١	قال رسول الله ﷺ :(منْ سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ... الحديث)	٤١
٢	قال رسول الله ﷺ : (إنَّ العلماء ورثة الأنبياء) .	٤٨
٣	عن أبي رفاعة ﷺ قال : (انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب ... الحديث)	٥٤
٤	قال رسول الله ﷺ : (لو أنكم كنتم توكلون على الله حق ... الحديث)	٥٨
٥	قال رسول الله ﷺ : (يا عدي ! اطرح عنك هذا الوثن ... الحديث)	٦٣
٦	قال رسول الله ﷺ : (مفاتح الغيب خمس ... الحديث)	٧٠
٧	قال رسول الله ﷺ : (إنك لنْ تُنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ... الحديث)	٧٨
٨	قال رسول الله ﷺ : (إنَّ مثل ما بعثني الله ﷻ من الهدى والعلم...الحديث)	٨٠
٩	قال رسول الله ﷺ : (منْ ستر مؤمناً على خزية ستر الله ... الحديث)	٨٨
١٠	قال رسول الله ﷺ : (إنا أُمّة أُمية لا نكتب ولا نحسب ... الحديث)	٩٤
١١	قال رسول الله ﷺ : (كفى بالمرء إثماً أنْ يُحدث بكلّ ما سمع)	١٠١
١٢	قال رسول الله ﷺ : (الوالد أوسط أبواب الجنة ... الحديث)	١٠٧
١٣	قال رسول الله ﷺ : (ما منْ مولود إلا يُولد على الفطرة ... الحديث)	١١٥
١٤	قال رسول الله ﷺ : (ومنْ يتصبر يُصبره الله ... الحديث)	١١٨
١٥	قال رسول الله ﷺ : (نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوَعَاها ... الحديث)	١٣٤
١٦	قال رسول الله ﷺ : (منْ سئل عنْ علم فكتمه ألجمه الله بلجام ... الحديث)	١٣٤
١٧	عنْ عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت : " تلا رسول الله ﷺ ... الحديث)	١٤١
١٨	قال رسول الله ﷺ : (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ... الحديث)	١٥٤
١٩	عنْ عائشة – رضي الله عنها – قالت : (كان خلق رسول الله القرآن)	١٨٢
٢٠	قال رسول الله ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكلّ امرئ ما نوى)	١٨٣

الرقم	الحديث	الصفحة
٢١	قال رسول الله ﷺ : (إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة)	١٨٣
٢٢	قال رسول الله ﷺ : (قام موسى النبي خطيباً في بني إسرائيل ... الحديث)	١٨٦
٢٣	إنّ رسول الله ﷺ كان يتعوذ منهن دُبر الصلاة : اللهم إني أعوذ ...الحديث)	١٩٢
٢٤	كان رسول الله ﷺ يتعوذ يقول : اللهم إني أعوذ بك من الكسل ...الحديث)	١٩٥
٢٥	قال رسول الله ﷺ : (ما نقصت صدقة منْ مال ... الحديث)	١٩٩
٢٦	قال رسول الله ﷺ : (إنّ الله أوحى إليّ أنْ تواضعوا ... الحديث)	٢٠٠

ملحق [د] :

الخرائط

إنه وتخليداً لذكرى رجال الحديث ؛ الذين ضربوا لنا أرْوع الأمثلـة وأصْـدقها في طلب العلم حيث كان ، فقد أضاف الباحث إلى بحثه جوهرة ثمينة ليكتمل بـذلك العقـد الفريد الذي عَكَف على جمعه منْ خزائن كنوز آيات العلم القرآنية ، وقد حَـوت هـذه الجوهرة في مضمونها عدداً من الخرائط التي تُبين المجال العلمي الذي سلكه عدد منْ علمـاء الحديث ، والذين بذلوا في سبيل ذلك كلّ ما يمكن أنْ يُبذل ، وذلك للوصول إلى ما وصلوا إليه منْ جمع عدد هائل منْ سنّة المصطفى ﷺ القولية والفعلية والتقريرية ، والـتي يتفـاوت محصول ما قد جمعوه منْ شخص لآخر ، والتي تُثبت الحقيقة ذاتها التي قررتها آيات العلـم ، حيث أثبت لنا هؤلاء العلماء الأفذاذ برحلاتهم المختلفة في أصْقاع بلاد المسلمين ، أنّ طلب العلم يتجاوز الحدود الجغرافية والأحوال المناخية ،ليمتد ويتسع ويشمل كلّ أرجاء المعمورة، فالعلم ليس حكراً على بلد دون بلد ، أو زمن دون زمن ، أو جيل دون جيل .

وقد أردت بسوْق هذه الخرائط في هذا البحث ، لأجل أنْ تقترن الفكرة بالصّورة ، فالفكرة قد سبق ذكرها في المبحث الثالث من الفصل الثاني ؛والتي تقول إنّ العلم لا حدّ له، والصّورة تُؤيد ذلك أيضاً ، فكلّ عالم منْ هؤلاء العلماء الأفاضل لو تبين له أنّ العلم الـذي حصّله في بلد ما أوْ عند عالم ما ، لوجد ذات العلم في البلد الآخر والعالم الآخر ، لما كـان لسفرهم أي معنى ، ولما احتاج أحد منهم أنْ يضرب أكْباد الإبل شرقاً وغرباً ، هنا وهناك ، لكي يجد ضالته من العلم الذي لم يجده منْ قبل في مكان سابق .

وقد تمت الاستفادة فيما يتعلق بهذه الخرائط منْ كتاب (أطلس السّيرة النبويـة) ، لمؤلفه : شوقي أبو خليل .

وفيما يلي نُورد تلك الخرائط :

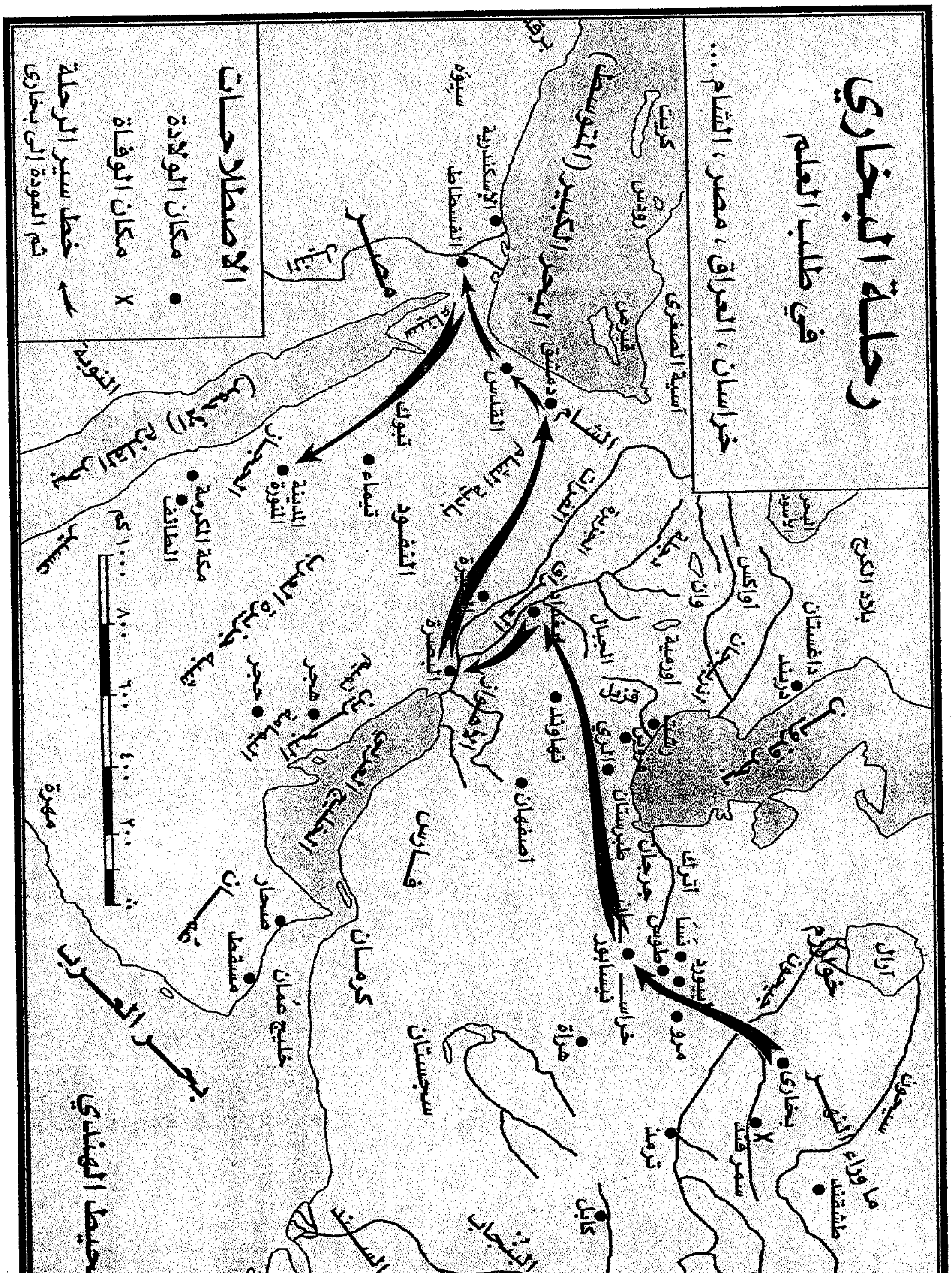

شكل (١) يبين الرحلات التي قام بها الإمام البخاري [1] .

---

(١) أبو خليل ، مرجع سابق ، ص ٢٤٢ .

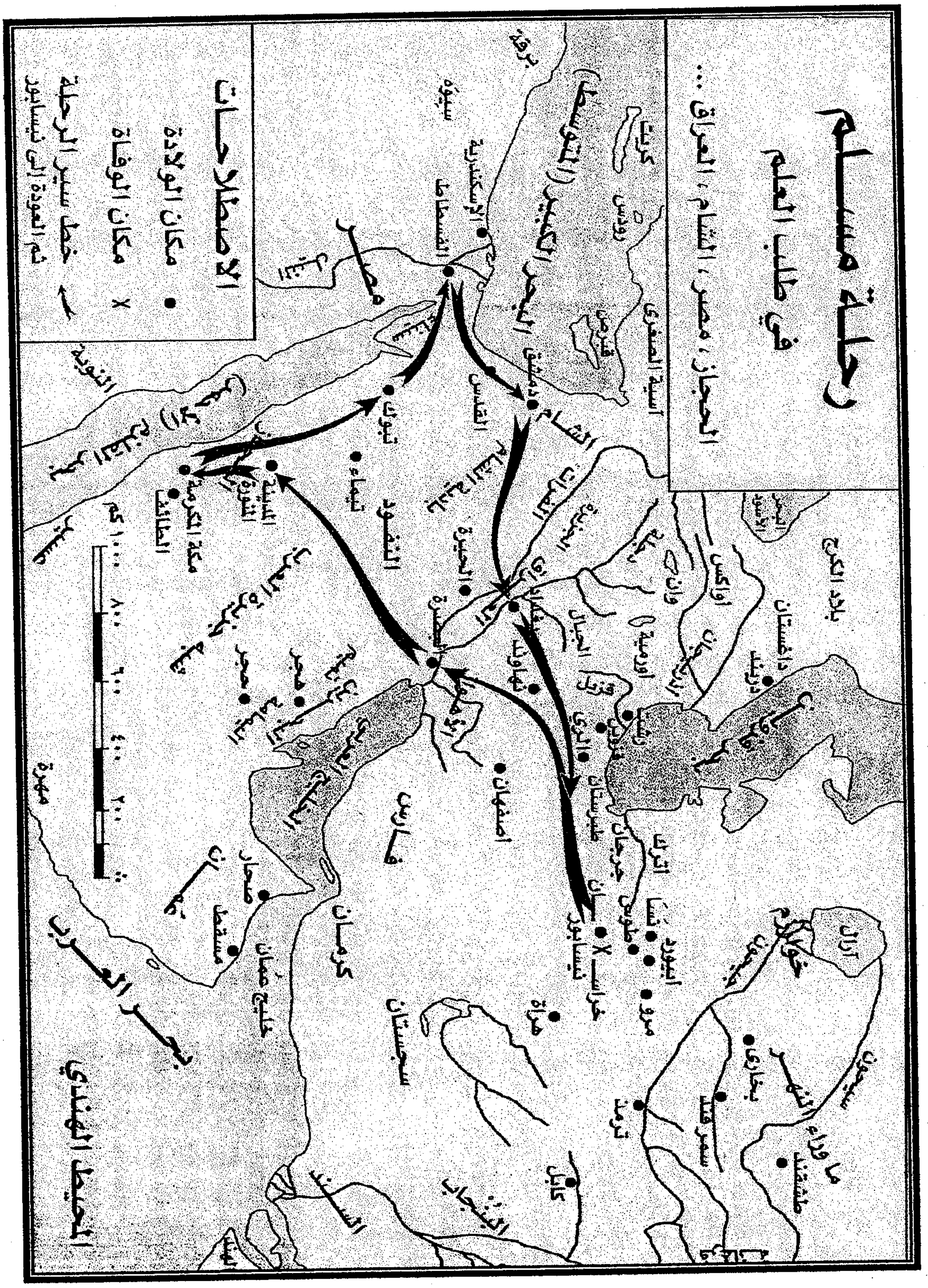

شكل (٢) يبين الرحلات التي قام بها الإمام مسلم [1] .

---

(1) نفس المرجع ، ص ٢٤٣ .

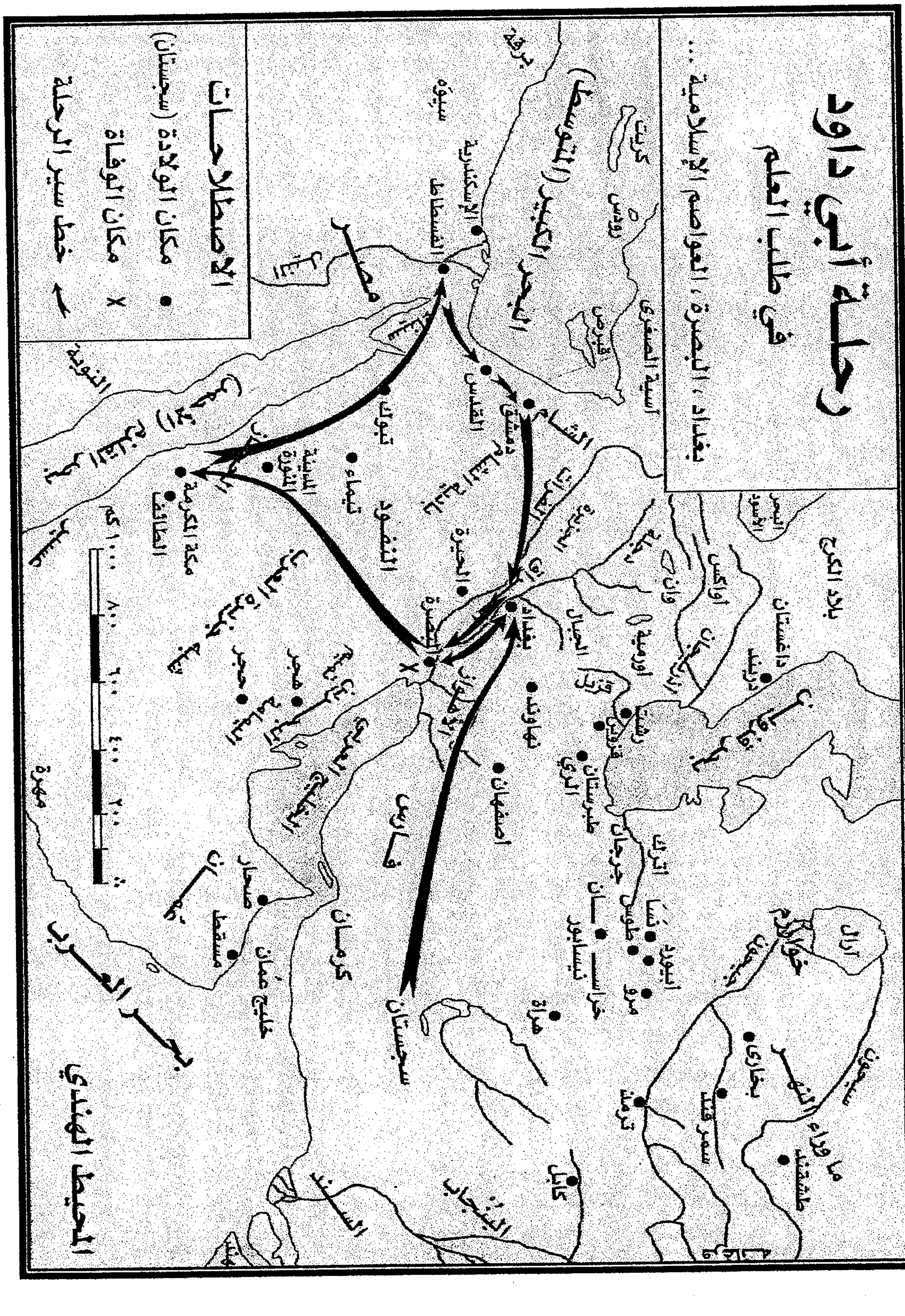

شكل (٣) يبين الرحلات التي قام بها الإمام أبو داود [١] .

---

[١] نفس المرجع ، ص ٢٤٤ .

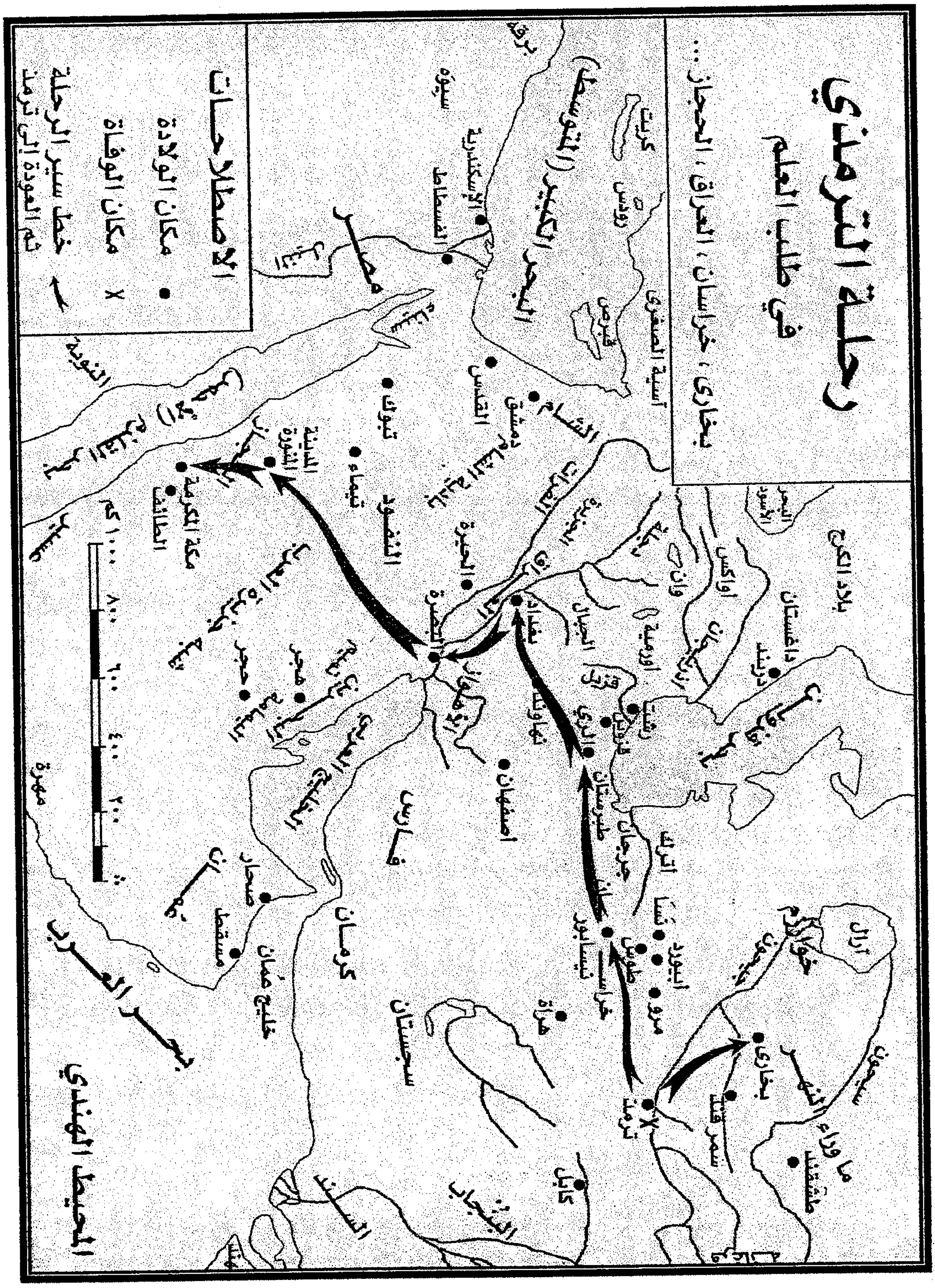

شكل (٤) يبين الرحلات التي قام بها الإمام الترمذي [1] .

---

[1] نفس المرجع ، ص ٢٤٥ .

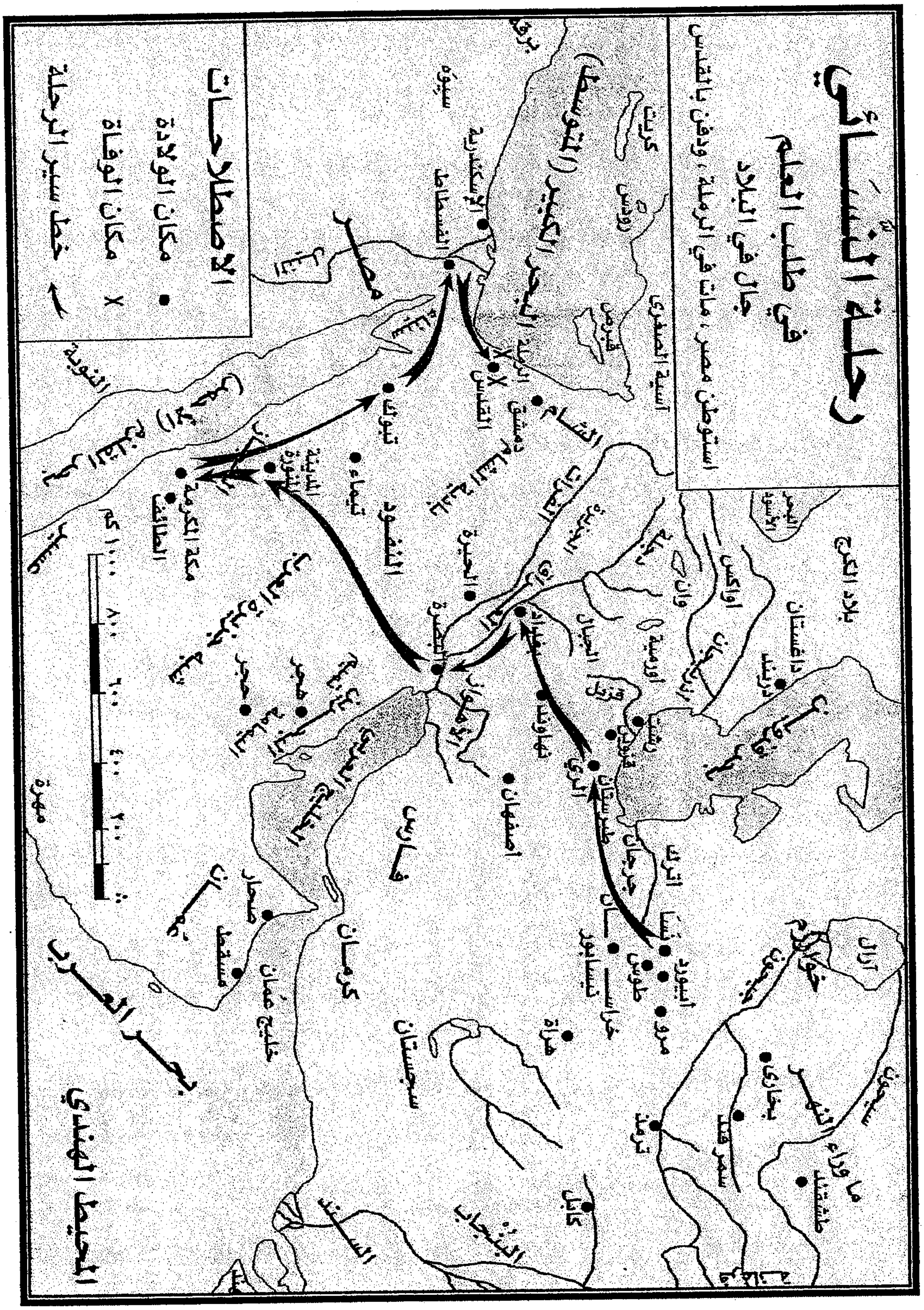

شكل (٥) يبين الرحلات التي قام بها الإمام النسائي [1] .

---

[1] نفس المرجع ، ص ٢٤٦ .

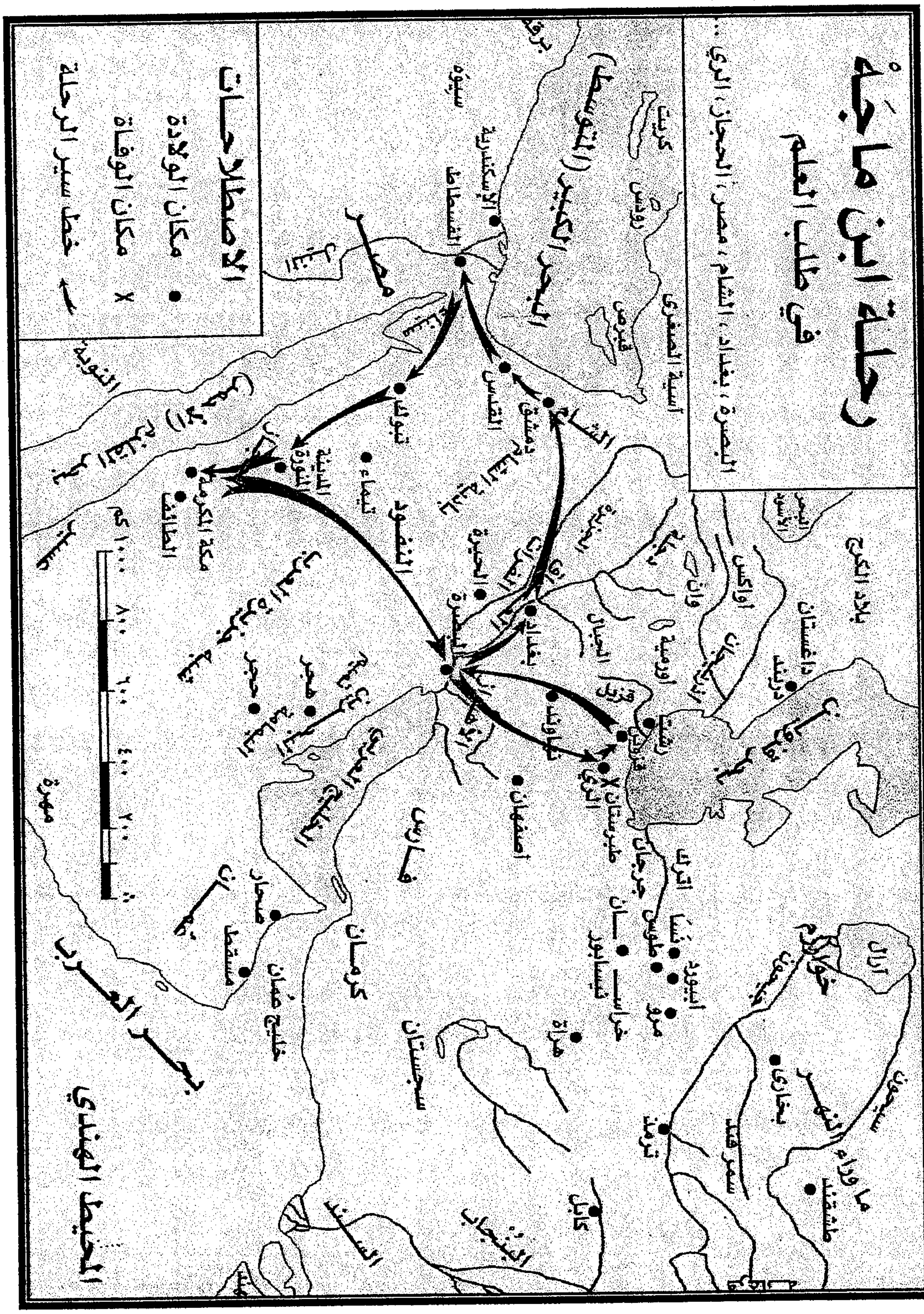

شكل (٦) يبين الرحلات التي قام بها الإمام ابن ماجه [١] .

(١) نفس المرجع ، ص ٢٤٧ .

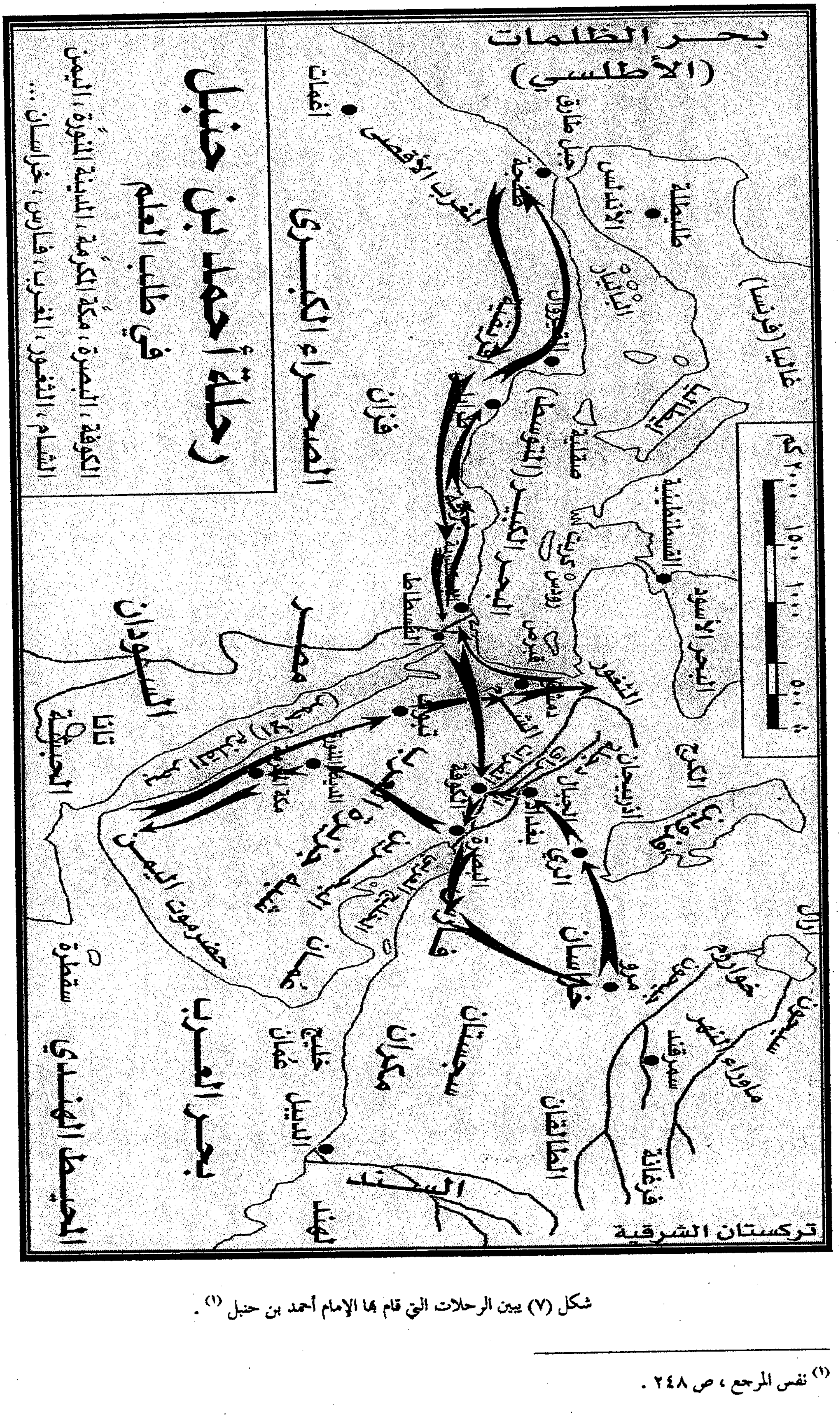

شكل (٧) يبين الرحلات التي قام بها الإمام أحمد بن حنبل [١] .

---

[١] نفس المرجع ، ص ٢٤٨ .